

العدد ١٢٥ شعبان ١٤٠٦هـ - مايو/أيار ١٩٨٦م

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى للإبداع العربي والثقافة الإنسانية

حسناء من تونس الخضراء

الفجر الكاذب

قصة جديدة بقلم نجيب محفوظ

الفيتو.. أو حق الاعتراض في مجلس الأمن

حمد عبد العزيز الكواري

ولادة غير طبيعية تثير ضجة عالمية

دكتور عامر شيخوني

قضـــايـــا مُثــارة في الأمـــم المتحـــدة

الڤيتو

أو: حق الاعتـــراض في مجـــلس الأمـــن

كانت الحرب العالمية الثانية لاتزال حامية الوطيس حينما عقدت دول الحلفاء المحاربة لدول المحور مؤتمرا في دمبارتون أوكس (Dumbarton Oaks) بجوار واشنطون عاصمة الولايات المتحدة ، وذلك في الفترة من ٢١ أغسطس الى ٧ أكتوبر ١٩٤٤ . وكان الهدف من هذا المؤتمر البحث في انشاء منظمة دولية لمجتمع مابعد الحرب تعرف باسم الأمم المتحدة . وقد حضر هذا المؤتمر في مرحلته الاولى مندوبون عن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا . وبعد ستة أسابيع انسحب مندوبو الاتحاد السوفيتي لرفضهم الجلوس مع وفد الصين حيث لم يكن الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت في حرب مع اليابان وحل محلهم مندوبون عن الصين الوطنية .

وقد أولى المؤتمر اهتماما خاصا لموضوع الأمن والسلم الدوليين لحل الخلافات الدولية بالوسائل السلمية .. ولكنه لم ينظر في تأسيس هيئات لمعالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية .

ومن أهم منجزات المؤتمر التخطيط لمجلس الأمن الذى يعتبر الأداة التنفيذية للامم المتحدة . ولابد من القول بأن معظم مقترحات دومبارتن اوكس أصبحت في النهاية جزءا من ميثاق الأمم المتحدة .

وعلى أثر مؤتمر يالتا في ٣ فبراير ١٩٤٥ ، بين الحلفاء روزفلت وتشرشل وستالين صدر بيان في ١٩٤٥/٢/٢١ ، أشير فيه الى الامور التي تم الاتفاق عليها بما فيها عقد مؤتمر سان فرانسيسكو لتأسيس الامم المتحدة وخلال مؤتمر يالتا طرح الرئيس روزفلت فكرة (الفيتو) وفق المادة ٢٧ التي أقرها مؤتمر دومبارتن اوكس ، والتي صادق عليها فيما بعد مؤتمر سان فرانسيسكو دون تغيير أو تبديل بالرغم من المعارضة الكلامية لبعض الدول الصغرى .

تبنت كل من بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، والصين الوطنية ، بمجموعها الدعوة الى عقد مؤتمر في سان فرانسيسكو ووجهت دعوة مشتركة الى ٤٥ دولة لارسال مندوبيها في ١٩٤٦/٤/٢٥ ، للنظر في صياغة ميثاق الامم المتحدة لانشاء منظمة دولية قادرة على منع تكرار حرب عالمية .

وكانت الوثيقة الرئيسية التي اعتمد عليها النقاش في صياغة الميثاق هى اقتراحات



بقلم : حمد عبدالعزيز الكواري

دومبارتن اوكس التي أعدها ممثلو الدول التي انتصرت في الحرب العالمية الثانية .

ثم دعا متبنو المؤتمر قبيل وعند أول انعقاده كلا من سوريا ولبنان والارجنتين وروسيا البيضاء واكرانيا كذلك ، وبذلك أصبح عدد الدول التي اسهمت في صياغة الميثاق في مؤتمر سان فرانسيسكو خمسين دولة ، انجزت اعمالها بعد مرور شهرين ، ووقع المندوبون على الميثاق في ١٩٤٥/٦/٢٦ ودخل الميثاق حيز التنفيذ في ٢٤ اكتوبر ١٩٤٥ بعد استكمال تصديقات العدد المطلوب من الدول الاعضاء وهو ٢٤ دولة بالاضافة الى الدول العظمى الخمس .

(٢)

يلاحظ من هذه النبذة القصيرة حول تاريخ صياغة ميثاق الامم المتحدة أن فكرة الفيتو من الاساس كانت موضع اتفاق بين الدول المنتصرة في الحرب ، وهي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا ، لتحقيق امتياز خاص لأنفسهم بوصفهم الأعضاء الدائمين في مجلس الامن .

وعندما طرحت المادة السابعة والعشرون الخاصة بالتصويت في مجلس الأمن كانت تشتمل على ثلاث فقرات ، أهمها الفقرة الثالثة التي تنص على : « أن تصدر قرارات مجلس الامن في المسائل الاخرى كافة (غير الاجرائية) بموافقة اصوات تسعة من اعضائه يكون من بينها اعضاء الاصوات الدائمين متفقة ... » .

وقد جرى نقاش حاد وطويل حول هذه الفقرة ، واستندت الدول المعارضة لهذه الفقرة في الأساس على أن فكرة الامتياز في التصويت غير ديمقراطية ، وتتنافى مع مبدأ « مساواة سيادة الدول » ولكن النقاش لم يسفر عن نتائج ملموسة وهامة ، خاصة وان الولايات المتحدة مارست ضغطا كبيرا على دول العالم الثالث ومعظمها من امريكا الجنوبية فامتنع الكثير من وفود هذه الدول عن التصويت وصودق على المادة السابعة والعشرين بشكلها الحالي ووفق مقترحات دومبارتن اوكس .

(٣)

قبل البدء في عرض شامل لنمط استخدام الفيتو من قبل اعضاء المجلس الدائمين ، لابد من التطرق الى أسباب عدم تمكن الدول الصغرى المشتركة في مؤتمر سان فرانسيسكو من إجراء بعض التعديلات على المادة السابعة والعشرين ، التي تمثل إجحافا صريحا بحقها وتحرمها من تأثير فعال في القضايا الخطيرة التي ستعالجها المنظمة الدولية الجديدة ، ويرجع ذلك في رأينا الى الأسباب التالية : —

أولا : أخذت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية دور المبادرة في إعداد مسودة الميثاق والتي تمثلت في مقترحات دومبارتن اوكس التي وافقت عليها الدول المساهمة في المؤتمر ، وأيدها الثلاثة الكبار في مؤتمر يالتا والتي تنص على حق الفيتو كامتياز خاص للدول الكبرى للمحافظة على مصالحها ، وهكذا قدمت مسودة الميثاق الى مؤتمر سان فرانسيسكو وفق هذا النمط من التفكير .

■ الفيتو امتياز للكبار تدفع ثمنه الدول الصغيرة

■ في أمريكا صراع واضح بين المدرسة المنحازة لإسرائيل والمدرسة التي تدافع عن العرب

ثانيا : كانت المعارضة للفيتو في مؤتمر سان فرانسيسكو مفككة ، ولم تبد الدول المعارضة للمادة ٢٧ صلابة شديدة بحيث يمكن اخذها في الحسبان من قبل الدول التي اقترحت امتياز الفيتو للاعضاء الدائمين وهي الدول الكبرى الخمس .

ثالثا : ان التكوين السياسي والعقائدي للدول المساهمة في مؤتمر سان فرانسيسكو كان يتضمن مجموعتين رئيسيتين المجموعة الاولى وهي أكبر عددا تشمل دول أوروبا الغربية او امريكا اللاتينية ومعظمها ان لم يكن مؤيدا لمنح امتياز الفيتو فهو لايعارضه بشدة ، أما المجموعة الصغرى المؤيدة للاتحاد السوفيتي فلا يمكنها قطعا اتخاذ أي موقف سوى التأييد التام للاتحاد السوفيتي .

فلا تبقى سوى عدة دول من آسيا وافريقيا ، وعلى الرغم من قلة عددها وضآلة خبرة مندوبيها ، فقد كان معظمها يميل الى تأييد الاتجاه الغربي وخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا وهما من أشد انصار الفيتو .

رابعا : وفضلا عما تقدم فقد هددت الدول المنتصرة في الحرب من خلال اتصالاتها الدبلوماسية بعدم انضمامها للامم المتحدة في حالة عدم حصولها على امتياز الفيتو . وأشاعت الولايات المتحدة بأن الكونغرس سوف لن يصادق على الميثاق اذا لم يتضمن حق الفيتو في مواده .

وقد أشار أحد المندوبين الآسيويين وهو وزير خارجية الفلبين آنذاك عند بحث تطبيق وتفسير المادة ٢٧ في الدورة الاولى للجمعية العامة قائلا « بأننا حذرنا بأن نحصل على ميثاق مع الفيتو أو لا نحصل على ميثاق على الاطلاق ، وكانت النتيجة بأن حصلنا على ميثاق مع الفيتو » .

بيد أنه عندما تم الاتفاق على درج صلاحية الفيتو في اقتراحات دومبارتن أوكس والموافقة عليها من قبل الثلاثة الكبار في مؤتمر يالتا واخيرا المصادقة على المادة (٢٧) في مؤتمر سان فرانسيسكو ، لم تكن الحرب العالمية الثانية قد انتهت بعد ولكنها انتهت بعد القاء قنبلتين ذريتين على هيروشيما وناغازاكي في شهر آب / اغسطس عام ١٩٤٥ ، أي بعد عدة أسابيع من التوقيع على ميثاق الامم المتحدة .

ومنذ البداية كانت المادة (٢٧) التي تمنح حق الفيتو للدول الكبرى وحدها مصدر قلق للدول الصغرى حيث انها كانت تدرك خطورة

مثل هذا الامر عليها والذى يعطي للدول الكبرى موقف السيطرة على قضايا الامن والسلم الدوليين ، ويحول دون فرض عقوبة أو ردع على أى منها أو أى طرف محسوب على هذه الدولة أو تلك من الدول الخمس ، فضلا عن أنه منح الدول الدائمة العضوية ـ كمجموعة أو على انفراد ـ عدم تحمل مسئولية تنفيذ أى اجراء يمكن ان يتخذ من قبل الامم المتحدة لايتفق مع مصالحها أو مصالح احدها بغض النظر عن المصلحة العليا للمجتمع الدولي ككل .

وبعد نقاش طويل لم تحصل الدول الصغرى في مؤتمر سان فرانسيسكو على أى تنازل أساسي حول استخدام وتطبيق الفيتو . وكل ماتحقق هو قصر الفيتو على القضايا الجوهرية ، وعدم استخدامه في القضايا الاجرائية ، كما تم الاتفاق على تناوب رئاسة المجلس شهريا بغض النظر عن نوعية العضوية .

وجدير بالذكر أن تجربة عصبة الامم كان لها دور في قصر حق الفيتو على الاعضاء الدائمين في مجلس الامن فقد كانت المادة ٢٦ من عهد عصبة الامم تنص على ان المسائل الهامة تصدر قرارات مجلس العصبة فيها بإجماع اعضاء المجلس وفيهم دول ذات مقاعد دائمة ودول ذات مقاعد تملأ بطريق التداول وقد رؤي أن منح الاعضاء الدائمين مُكْنَةَ تعطيل صدور القرارات الهامة من مجلس العصبة أمر غير منطقي وقد كانت هذه الحجة الرئيسية لانصار قصر حق الفيتو على الاعضاء الدائمين في المنظمة الدولية الجديدة التي حلت محل عصبة الامم .

(٤)

من المؤكد ان الميثاق قد عكس التسوية السلمية التي توصل اليها المنتصرون في الحرب بشكل يشنجم مع مصالحهم . غير ان زمالة وانسجام ووحدة الحرب لم تستمر في وقت السلم . وخاصة بعد تأسيس الامم المتحدة . وبدء ظهور الخلافات الاساسية بين الجانبين الغربي والشرقي . فلم تتمكن الدول الغربية أو بالاحرى الولايات المتحدة من تنفيذ رغباتها

استخدام الفيتو في الفترة من ١٩٤٦ ـ آذار/مارس ١٩٨٦

العام	الصين	فرنسا	بريطانيا	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفيتي
١٩٤٦	—	١	—	—	٩
١٩٤٧	—	١	—	—	١٣
١٩٤٨	—	—	—	—	٧
١٩٤٩	—	—	—	—	١٤
١٩٥٠	—	—	—	—	٤
١٩٥٢	—	—	—	—	٨
١٩٥٣	—	—	—	—	٤
١٩٥٥	١ (الوطنية)	—	—	—	١٧
١٩٥٦	—	٢	٢	—	٢
١٩٥٧	—	—	—	—	٣
١٩٥٨	—	—	—	—	١٠
١٩٦١	—	—	—	—	٧
١٩٦٢	—	—	—	—	١
١٩٦٣	—	—	—	—	١
١٩٦٤	—	—	—	—	٢
١٩٦٦	—	—	—	—	١
١٩٦٨	—	—	—	—	١
١٩٧٠	—	—	٢	١	—
١٩٧١	—	—	١	—	٣
١٩٧٢	١	—	٢	١	—
١٩٧٣	—	—	١	٣	—
١٩٧٤	—	١	١	١	١
١٩٧٥	—	٢	١	٦	—
١٩٧٦	—	٢	١	٥	—
١٩٧٧	—	٣	٣	٣	—
١٩٧٩	—	—	—	—	٢
١٩٨٠	—	—	—	١	٢
١٩٨١	—	٤ (بريطانيا وامريكا)	٤ (فرنسا وامريكا)	٤ (فرنسا وبريطانيا)	—
١٩٨٢	—	—	١ (امريكا)	١ (بريطانيا)	—
				٧	—
١٩٨٣	—	—	—	٢	١
١٩٨٤	—	—	—	٢	١
١٩٨٥	—	—	١	٣	—
١٩٨٦	—	—	—	٣	—
المجموع	٢	١٥	٢٠	٤٣	١١٤

■ الفيتو يعطي للدول الكبرى موقف السيطرة على قضايا الأمن والسلم ويحول دون فرض أي عقوبة أو ردع على أيٍّ منها

التي تتفق مع مصالحها السياسية بسبب استخدام الفيتو المتزايد من قبل الاتحاد السوفيتي بالدرجة الاولى ، وخاصة في فترة العقدين الاولين من قيام الامم المتحدة . فقد استخدم الاتحاد السوفيتي الفيتو منذ تأسيس المنظمة حتى عام ١٩٦٨ ، مائة واربع مرات ، في حين ان مجموع الدول الاخرى الدائمة لم تستخدمه سوى ثماني مرات في نفس الفترة .

ولابد من الاشارة بأن سبب استخدام الاتحاد السوفيتي للفيتو بهذه الكثرة ، يرجع الى رغبته في حفظ مصالحه ، بالوقوف في وجه انضمام العديد من الدول الى الأمم المتحدة ، وهى دول تخدم سياستها المصالح الغربية ، وتسير في ركاب السياسة الامريكية ، وقد استخدم الاتحاد السوفيتي الفيتو ضد بعض طلبات الانضمام بصورة متكررة عدة مرات ضد كل دولة تقدمت الدول الغربية مجددا لإلحاقها بالامم المتحدة وقد بلغ عدد المرات التي استخدم فيها الاتحاد السوفيتي الفيتو ضد طلبات الالتحاق بالامم المتحدة ٧٩ مرة خلال العشر سنوات الاولى من قيام المنظمة .

ومن بين الدول التي عارض الاتحاد السوفيتي دخولها الامم المتحدة ، اسبانيا ، ايرلندا ، البرتغال ، شرقي الاردن ، النمسا ، ايطاليا ، كوريا الجنوبية ، سيلان ، اليابان ، فيتنام الجنوبية ، لاوس ، كمبوديا ، فنلنده وغيرها ..

كما استخدم الاتحاد السوفيتي الفيتو في ١٩٥٠/١٠/١٢ ، عندما أصرت الدول الغربية على ضرورة استمرار الامين العام الاول للامم المتحدة ، تريغفي لي ، في منصبه ، وذلك بسبب تحيزه التام للسياسة الغربية بصورة عامة ، والامريكية بصورة خاصة . واستخدم الاتحاد السوفيتي الفيتو للمرة الثانية ضد اقتراح غربي عام ١٩٥٣ يهدف الى تعيين « السيربيرسن » السياسي الكندى المعروف الذى كان رئيسا للجمعية العامة عام ١٩٥٢ ، في منصب الامين العام للأمم المتحدة .

وهكذا فقد أفاد الاتحاد السوفيتي من حق استخدام الفيتو في مجلس الامن اكثر من أى عضو دائم آخر ، وخاصة في العقدين الاولين من تأسيس المنظمة . وتمكن من الوقوف ضد مشروع كل قرار يتعارض مع مصالحه السياسية .

غير أنه مع بدء ازدياد أعضاء الامم المتحدة من العالم الثالث وخاصة افريقيا بدأ تكوين عضوية الامم المتحدة يتخذ شكلا جديدا ، وأضفى على الامم المتحدة شخصية جديدة

■ أكثر الدول استخداما للفيتو هو الاتحاد السوفيتي تليه الولايات المتحدة الأمريكية

لاتوالي السياسة الغربية والامريكية ولاء مطلقا ، كما كانت عليه الحال في العقد الاول من تأسيسها ، وهكذا بدأ ينخفض عدد المرات التي يستخدم فيها الاتحاد السوفيتي حق الفيتو ، في الوقت الذى ازداد فيه استخدام الفيتو من الدول الغربية في المجلس وخاصة الولايات المتحدة ، وسبب آخر أدى الى توقف الاتحاد السوفيتي عن استخدام حق الفيتو وهو الاتفاق بينه وبين الدول الأوروبية (Package Deal) حول الموافقة على انضمام الدول التي عارضها الاتحاد السوفيتي باستخدامه للفيتو ، لقاء انضمام الدول من الجانب الاشتراكي التي عارضها الجانب الغربي .

(٥)

شكت الولايات المتحدة من الشكوى في العقدين الاولين من كثرة استخدام الفيتو من قبل الاتحاد السوفيتي ، وطلبت في الدورة الاولى للجمعية العامة عام ١٩٤٦ ادراج بند ، حول تفسير وتطبيق المادة ٢٧ ، على جدول اعمالها وفق منطوق المادة العاشرة من الميثاق .

وقد نوقش هذا البند في خمس جلسات من اجتماعات اللجنة الاولى خلال شهرى تشرين الثاني وكانون الاول عام ١٩٤٦ ، ومثل الجانب السوفيتي فيشينيسكى ، في حين مثل السناتور كونالي الجانب الامريكي ، وتمسك كل من الجانبين برأيه ، فقد اكد الجانب السوفيتي بأن استخدام الفيتو يتفق مع نص وروح المادة السابعة والعشرين من الميثاق ، وهو حق مشروع لأى عضو دائم في مجلس الأمن ، في حين أن الرأى الامريكى كان يميل الى القول بأن استخدام الفيتو بشكل متعمد ودون استشارة الاعضاء الدائمين الآخرين يعرقل اعمال مجلس الأمن ، ويخالف واجبات ومسؤوليات الأعضاء الدائمين في المحافظة على سلم العالم وأمنه ، وقد يؤدى الاكثار من استخدام الفيتو اعتباطا الى تفسخ الامم المتحدة الخ ..

ومن الكلمات الهامة التي ادلى بها مندوبو الدول الاعضاء تلك الكلمة التي أدلى بها السناتور كونالي في اللجنة الاولى في ١٩٤٦/١١/١٥ ، ضد كثرة استخدام الفيتو من قبل عضو دائم في المجلس ، وما يلى بعض مقتبسات منها : —

الجلسة العشرون — اللجنة الأولى ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٦ السناتور كونالي — الولايات المتحدة « تعتبر الولايات المتحدة مبدأ اجماع الدول الكبرى اساسا لنجاح مهمة الامم المتحدة وقد كان الاعتقاد بأن الدول الكبرى وحدها فحسب يمكنها القضاء على العدوان وفرض السلم ، وأن أى انقسام بينها يمكن ان يؤدى الى الحرب مما كان له الأثر الاكبر في اقرار الميثاق . وان اتخاذ أى قرار ضد معارضة حاسمة من الأعضاء الدائمين قد يعني الحرب وليس السلم . غير ان هذا المطلب يجب ألا يستخدم لتثبيط مهمة الامم المتحدة ، ولكنه فرض كمسؤولية خاصة على الدول الكبرى من أجل تسهيل مهمة الامم المتحدة لتحقيق روح وفحوى صيغة (يالتا) ، والتوصل الى اتفاق حول القضايا الهامة المعروضة أمام المجلس .

وتفترض الولايات المتحدة وفق نص اعلان الأربعة الكبار ألا يستخدم الأعضاء الدائمون حق الفيتو بشكل متعمد لعرقلة مهمة المجلس ، الا في حالات نادرة واستثنائية جدا . وان كسب المنافع في اداء واجباتهم كممثلين لجميع الأمم المتحدة نيابة عن سلم العالم وأمنه قد يؤدى الى تفسخ الامم المتحدة .

ان الاعضاء الدائمين في المجلس هم اعضاء الامم المتحدة قبل ان يكونوا اعضاء في المجلس ، ولا تستثنيهم عضويتهم من أى التزام ، بل بالأحرى تضفي عليهم لحساب الجميع المسؤولية الأساسية في صيانة السلم والأمن الدوليين » .

وعلى الرغم من طول النقاش حول تطبيق وتفسير المادة ٢٧ في الدورة الاولى من الجمعية العامة لم يثمر النقاش عن نتيجة ملموسة ، وكانت النتيجة ان تبنت الجمعية العامة في اجتماعها ٦١ بتاريخ ١٩٤٦/١٢/١٣ ، قرارها المرقم ٤٠ (١) بعنوان « اجراءات التصويت في مجلس الأمن » ، أهم ماورد فيه : « ترجو من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن بذل كل الجهود بالتشاور فيما بينهم ، وبين زملائهم في مجلس الامن لضمان عدم استخدام امتيازات التصويت الخاصة للاعضاء الدائمين بشكل يعرقل مجلس الأمن في اتخاذ قرارات سريعة » .

الفيتو

أوحق الاعتراض في مجلس الأمن

ولكن هذا القرار لم يساعد كثيرا في تغيير اتجاه ونمط التصويت في مجلس الامن ، مما أدى الى مناقشة الموضوع مجددا في الدورة الثانية للجمعية العامة . بناء على مبادرة الولايات المتحدة كذلك . غير ان الجمعية العامة احالت موضوع تطبيق وتفسير المادة ٢٧ الى لجنة خاصة لدراسة وتقديم تقرير عنه ، ولكن اللجنة لم تتوصل الى نتائج ملموسة ، وعليه فقد أقرت الجمعية العامة في دورتها الثالثة قرارا تحث فيه اعضاء مجلس الأمن الدائمين على التوصل الى اتفاق معين فيما بينهم سعيا للحد من استخدام الفيتو.

ومنذ عام ١٩٧٢ ، أخذ استخدام الفيتو طورا جديدا ، فقد ازداد استخدام الفيتو من قبل الاعضاء الدائمين الغربيين في المجلس وخاصة الولايات المتحدة ، وانخفض استخدامه من قبل الاتحاد السوفيتي بصورة ملموسة .

وتشير الاحصاءات بأن الولايات المتحدة استخدمت الفيتو ٤٣ مرة منذ عام ١٩٧٢ . لحد الآن منها ١٨ مرة ضد قضايا عربية ، واستخدمت في المرات الاخرى ضد استقلال ناميبيا أو للمحافظة على مصالح جنوب افريقيا ، في حين لم يستخدم الفيتو في نفس الفترة أى الاعضاء الدائمين الآخرين ضد المصالح العربية (بالرغم من انه استخدم ١٥ مرة من قبل المملكة المتحدة و١١ مرة من قبل فرنسا . وسبع مرات من قبل الاتحاد السوفيتي) .

ويرجع سبب كثرة استخدام الفيتو من قبل الولايات المتحدة ضد المصالح العربية الى تطور العلاقات الامريكية ــ الاسرائيلية بحيث اصبحت مصالح اسرائيل ، وخاصة في نظر الكونغرس لها أسبقية على مصالح الشعب الامريكي كما حدث على سبيل المثال في موضوع عجز الميزانية مما اضطر الكونغرس تخفيض بعض مواد الميزانية بالنسبة لمصروفات الدوائر الحكومية وبعض جهات الصرف الاخرى . في حين زيدت في نفس الوقت القروض والهبات لإسرائيل حتى بلغت ٤.٥ بلايين دولار عام ١٩٨٦ .

وقد نشر الاستاذ مايكل هدسون مدير مركز الدراسات العربية المعاصرة بجامعة جورج تاون مقالة في عدد فبراير ١٩٨٦ ، من مجلة (Current History) الأمريكية عن السياسة الامريكية في الشرق الاوسط.

ولا أعتقد أن السيد هدسون قد جانبه الصواب في تحليله لمدرستين فكريتين تتصارعان في تحديد السياسة الامريكية في هذه المنطقة .

المدرسة الاولى سماها مدرسة (اسرائيل أولا) وهي التي ترى في تمتع اسرائيل بقدر من القوة المتفوقة يسمح لها بأن تفرض ارادتها على جاراتها ضمانا للمصالح الاستراتيجية الامريكية في المنطقة لكونه يكبح جموح التطرف العربي المضاد لصالح الولايات المتحدة ويحد في الوقت نفسه من تدخلات الاتحاد السوفيتي في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا . وترى هذه المدرسة ان مصلحة امريكا هي في التعامل مع قضية الشرق الاوسط بشكل يسمح باحتواء الازمات ولكن لايصل الى حد السعي الجاد لاحلال السلام وقد كان وزير الخارجية السابق هنري كيسنغر من رواد هذه المدرسة ومنهم كذلك جين كيركباتريك المندوبة الدائمة السابقة لدى الامم المتحدة . وترى هذه المدرسة انه لايجب للادارة الامريكية ان تعير الكثير من الاهتمام للانتقاد للسياسة الامريكية من قبل الانظمة او الرأى العام العربي . كما ان هذه المدرسة تستند ــ بالاضافة الى ما تراه مصالح استراتيجية للولايات المتحدة ــ الى ماتسميه اعتبارات أدبية مثل كون اسرائيل بلدا ديمقراطيا ذا قيم حضارية ولكونها موئلا للشعب اليهودى الذى كان ضحية اضطهاد طويل على مدى التاريخ .

أما المدرسة الثانية فهي مدرسة التعامل مع طرفي النزاع في الشرق الاوسط على اساس من العدل والانصاف وترى هذه المدرسة ان التأييد الامريكي غير المشروط لاسرائيل في وضعها التوسعي الحالي أمر يسيء الى مصالح امريكا البعيدة المدى في العالم العربي وفي العالم الاسلامي والعالم الثالث ويتيح للاتحاد السوفيتي فرصا للتدخل في شئون المنطقة . وهو اتجاه قد يهدد في المدى البعيد مصالح امريكا الاستراتيجية في المنطقة ويعرض للخطر بالنسبة لها موارد النفط العربي وامكانيات الاسواق العربية بالنسبة لتجارة امريكا الخارجية .

■ الولايات المتحدة استخدمت الفيتو ١٨ مرة في ١٤ سنة ضد القضايا العربية

ويشير الكاتب الى أن المدرسة الاولى المنحازة لاسرائيل تسيطر على توجيه السياسة الامريكية لما لها من انصار في البيت الابيض وفي المستويات العليا في وزارة الخارجية وكذلك بالاخص مجلسي الكونغرس بفضل جماعات الضغط الصهيونية والمعونات المالية التي تقدمها للمرشحين المؤيدين لسياسة « اسرائيل أولا » .

أما المدرسة الاخرى فأنصارها ليس لهم من الوزن السياسي ما لأنصار المدرسة الأولى وان يكن من بينهم افراد المستويات الوسطى في وزارة الخارجية والدفاع وغيرهم من المتخصصين في شئون الشرق الاوسط في سائر دوائر الحكومة ولكن جهودهم في الغالب لاتخرج عن آراء يبدونها في داخل مؤسساتهم وليس في يدهم القرار النهائي ، وان كانت جماعة الضغط التي شكلها الامريكيون الذين من أصل عربي قد زادت اهميتها في السنوات العشر الاخيرة . والقليل من اعضاء الكونغرس يؤيدون المدرسة الثانية ولكنهم لايستطيعون كبح جماح الاغلبية المؤيدة لإسرائيل بغير حدود وأخيرا فان من بين كتاب الصحف بعض الاشخاص الذين يكتبون بشكل موضوعي وتسير كتاباتهم في اتجاه المدرسة الثانية ومنهم انتوني لويس من محررى صحيفة « نيويورك تايمز » وفيليب غيلين من محررى صحيفة « واشنطون بوست » وجوزيف هارش من محررى صحيفة « كريستيان مونيتور » ولا يزال الحوار مستمرا ولكن القوى السياسية وراء كل من المدرستين في حالة بينه من عدم التوازن (اهـ) .

ويشير الجدول الى استخدام الفيتو من قبل الولايات المتحدة ضد المصالح العربية خلال الفترة ١٩٧٢ ، حتى آذار مارس ١٩٨٦ ، ويبين الجدول تاريخ استخدام الفيتو ، وجلسة مجلس الامن ، ورقم مشروع القرار الذى فشل نتيجة الفيتو وكذلك موضوع مشروع القرار ، ولعام ١٩٨٢ ، حصة الاسد من الفيتو الامريكي فقد استخدم خمس مرات (بسبب طرد رئيس بلديتي نابلس ورام الله ، والاعتداء على المسجد الاقصى وغزو لبنان من قبل اسرائيل باستخدامها اسلحة امريكية الصنع المفروض ان تستخدم وفق الاتفاق الامريكي ــ الاسرائيلي لاغراض الدفاع عن النفس فقط) .

التسلسل	التاريخ	الجلسلة	مشروع القرار	الموضـــــــوع
١	١٠/ ايلول ١٩٧٢	١٦٦٢	—	الحالة في الشرق الأوسط ـ مخالفة وقف اطلاق النار ١٩٦٧ .
٢	٢٦/ تموز ١٩٧٣	١٧٣٥	—	الحالة في الشرق الأوسط ـ مخالفة وقف اطلاق النار ١٩٦٧ .
٣	٨/ كانون الثاني ١٩٧٥	١٨٦٢	—	القضية الفلسطينية
٤	٢٥/ آذار ١٩٧٦	١٨٩٩	—	وضع القدس .
٥	٢٩/ حزيران ١٩٧٦	١٩٣٨	—	القضية الفلسطينية .
٦	٣٠/ نيسان ١٩٨٠	٢٢٢٠	S13911	الحقوق الفلسطينية .
٧	٢/ نيسان ١٩٨٢	٢٣٤٨	S 14985	الاراضي المحتلة ـ عزل رئيس بلدية نابلس ورام الله .
٨	٢٠/ نيسان ١٩٨٢	٢٣٥٧	S 14985	الاراضي المحتلة ـ الاعتداء على المسجد الاقصى .
٩	٨/ حزيران ١٩٨٢	٢٣٧٧	S 15185	الحالة في الشرق الأوسط ـ حالة لبنان
١٠	٢٦/ حزيران ١٩٨٢	٢٣٨١	S 15255	الحالة في الشرق الأوسط حالة لبنان
١١	٦/ آب ١٩٨٢	٢٣٩١	S 15347	الحالة في الشرق الأوسط حالة لبنان
١٢	٢/ آب ١٩٨٣	٢٤٦١	S 15895	الحالة في الاراضي العربية المحتلة
١٣	٦/ ايلول ١٩٨٤	٢٥٥٦	S 16732	الحالة في الشرق الأوسط ـ وضع لبنان
١٤	١٢/ آذار ١٩٨٥	٢٥٧٣	S 17000	الحالة في الشرق الأوسط ـ وضع لبنان
١٥	١٣/ ايلول ١٩٨٥	٢٦٠٥	S 17459	الحالة في الاراضي العربية المحتلة
١٦	١٧/ كانون الثاني ٨٦	٢٦٤٢	S 17730	العدوان الاسرائيلي على لبنان .
١٧	٣٠/ كانون الثاني ٨٦	٢٦٥٠	S177769	خرق حرمة المسجد الاقصى .
١٨	٦/ شباط ١٩٨٦	٢٦٥٥	S177796	اجبار طائرة مدنية ليبية على الهبوط في اسرائيل .

استخدام الفيتو من قبل الولايات المتحدة ضد المصالح العربية خلال الفترة من ١٩٧٢ ـ آذار مارس ١٩٨٦

(٧)

وأخيرا يمكننا سرد الملاحظات التالية : ـ

اولا : من المفارقات أن حجج الولايات المتحدة ضد كثرة استخدام الفيتو من قبل الاتحاد السوفيتي ، في حينه ، تقارب وجهة النظر العربية حالياً نتيجة اسراف الولايات المتحدة في استخدام الفيتو .

ثانيا : من الانتقادات التي وجهت للفيتو في بداية اقراره انه يتناقض مع مقاصد الامم المتحدة المنصوص عليها في الفصل الاول من الميثاق ، وخاصة الفقرة الاولى من المادة الثانية التي تنص على مبدأ المساواة بين الدول كالاتي : « تقوم المنظمة على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع اعضائها » .

ثالثا : بعد أربعين عاما ، تغيرت ظروف الامم المتحدة وأحوال العالم ، ولم تعد كل الدول الاعضاء الدائمين في المجلس دولا « عظمى » بذات الامكانيات الاقتصادية والعسكرية الهائلة التي تميزها عن باقي اعضاء الامم المتحدة وعلى سبيل المثال ما الذى يميز فرنسا وبريطانيا عن دولة كاليابان أو المانيا الغربية ؟ لذلك فقد أصبح حق الفيتو الذى حصلت عليه بعض الدول نتيجة لمعادلات ما بعد الحرب العالمية الثانية محل تساؤل .

رابعا : مفهوم « الدولة المعادية » الذى نص عليه الميثاق في عبارة « أية دولة كانت في الحرب العالمية الثانية من أعداء أية دولة موقعة على هذا الميثاق » لم يعد مفهوما صحيحا نظريا وعمليا ، فقد انضمت الى الامم المتحدة الدول التي خسرت الحرب العالمية الثانية . وليس هناك من الدول خارج الامم المتحدة الا كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية لظروف معروفة والاتحاد السويسري الذى صوت في استفتاء عام مؤخرا بعدم الانضمام الى الامم المتحدة .

خامسا : من المعلوم ان اكثر من ثلثي اعضاء الأمم المتحدة حاليا لم يكن له رأي من قريب أو بعيد في صياغة الميثاق الذى التزموا به بانضمامهم الى المنظمة .

سادسا : باختصار اوضح العلامة « هانز مرغنثو » في كتابه الشهير « السياسة بين الامم » عيوب حق الاعتراض ومن بينها : ـ

أ) ان ذلك الحق يمنع اتخاذ الامم المتحدة لاية تدابير جماعية ضد دولة عضو دائم في مجلس الامن .

ب) نتيجة لذلك فان سلطة مجلس الامن في تطبيق احكام الميثاق التنفيذية قاصرة في الواقع على الدول الصغرى والمتوسطة التي ليست اعضاء دائمين في مجلس الامن .

ج) ان حق الأعتراض يجعل من الدفاع الجماعي عن النفس طبقا للمادة (٥١) من الميثاق حبرا على ورق ، لانه قل ان يوجد نزاع مسلح في هذا العصر لا تكون احدى الاعضاء الدائمين منحازة فيه لفريق دون فريق .

سابعا : حق الاعتراض لاينطوي على ضرر دائما ـ كما قال الدكتور حامد سلطان في كتابه « القانون الدولي » ـ بل قد يكون فيه نفع في بعض الحالات وفق الظروف التي يستعمل فيها . ولا يعيب الحق من حيث هو ان يسيء صاحبه استعماله . (ص٩٤١ طبعة ١٩٦٢)

حمد عبد العزيز الكواري

للمناقشة

في أزمة العقل العربي

بقلم: فهمي هويدي

من آفات حياتنا العقلية أن العلم الغزير يثير إعجابنا وإكبارنا بأكثر من العلم النافع أو المفيد . وأن باحثينا تشغلهم الشهادة ، بأكثر مما تشغلهم الاضافة ، وان علماءنا معنيون بالحفظ والرواية ، بأكثر من عنايتهم بالفهم والدراية .

أعرف باحثاً انفق سنتين من عمره يعد رسالة ماجستير حول كلمة « لا » . وهو أمر ربما بدا مقبولا لو أن صاحبنا كان هزويا أو هازلا ، فحرية العبث مكفولة بنص غير مكتوب في بلادنا . لكن العجيب في الأمر أن تتحول القصة الهزلية الى رسالة علمية ، يتوفر لها « مشرف » من أهل العلم على مدار السنتين ، ثم تشكل لجنة لمناقشتها ، ويحتشد لها جمهور في إحدى القاعات ، ليستمع الى المحاورة والمثالب والمناقب التى برزت فى البحث ، ثم ينهض العلماء بثيابهم الفضفاضة ، يجرونها جرا الى قاعة مجاورة للمداولة . ويعودون بعد لحظات تطل من وجوههم علائم الجدية والصرامة ، ليعلنوا على الجالسين أن الباحث قدم عملا علميا ، يؤهله لاجازة الماجستير بدرجة امتياز. فتضج القاعة بالتصفيق ، ويجفف الباحث عرقه المتصبب على جبهته ثم يقف منفرج الأسارير ليتلقى التهنئة على التوفيق الذى حالفه ، والسداد الذى أصابه ، والانجاز الذى حققه !

ولا يتوقف العجب . فنقرأ في صحف الصباح أن العالم الفلانى حصل على جائزة كذا لانه أثرى المكتبة العربية بكذا كتاب ، بينها واحد من ألف صفحة ، بعد ما قضى كذا عاما فى القراءة والبحث والتنقيب . وان سألت ما الذى أضافه « بحر العلوم » هذا الى معارفنا ، فإن أحداً لا يجيبك وفى أحسن الفروض فإنك تحال الى ذلك البيان الاحصائى الذى عمم على الملأ .

ومؤخرا قرأنا عن « عصر النهضة الثقافية » فى موريتانيا ، وكان مما استدل به لاثبات حجم الاشعاع الثقافى ما نصه : يؤثر أنه كان فى إحدى قبائل شنقيط « تجكانت » ٣٠٠ فتاة تحفظ موطأ مالك . وكان العبيد يغنون على الطبل بمقامات الحريرى ، وكان الطفل فى قبيلة « مدلش » يحفظ المدوّنة ، وهى أضخم مراجع الفقه المالكى . قبل البلوغ ، والمألوف أن يحفظ الفتى قبل البلوغ مختصر خليل فى الفقه . وألفية ابن مالك فى النحو والصرف . ودواوين الستة الجاهليين وعددا آخر من المتون .

عند العرب الأولين ، كان العابدون من النساك ، العارفون بأسرار الشرائع ، يطلق عليهم « القراء » (بتشديد القاف وضمها) . وفى العصر الاسلامى الأول ظلت الكلمة تطلق على العلماء . وفى هذا المعنى ورد الحديث النبوى (أبغض القراء إلى الله ، الذين يزورون الأمراء) . وكان ذلك أمرا طبيعيا فى مجتمع أمى لا يجيد القراءة والكتابة فيه إلا القلة .

وطوال عصور ما قبل الطباعة ، كان على أهل العلم إما أن يحفظوا أو يستنسخوا . ولان العملية الأخيرة كانت مكلفة إذا لجأ طالب العلم إلى تكليف النساخين بالأمر ، أو مرهقة إذا تولى كل منهم ذلك بنفسه ، فقد بقي الحفظ وسيلة التعلم الأساسية . حتى فى ظل استخدام الألواح ، فقد بقي الحفظ هو القاعدة ، لأن الكتابة كانت ترفع من عليها أولا بأول . ولذا فقد ظل علم الرجال يقاس « بما فى الصدور » . ويدلل على تمكن الواحد منهم وطول باعه فى العلم ، بأنه « حفظ » القرآن كله ، وكذا ألف حديث من الصحيح والغريب ، وأشعار العرب ومأثوراتهم ، وقصص وملاحم الأولين والآخرين .

وقد كان المسلمون الأوائل يحفظون الآيات فور نزولها ، بينما كان البعض يدونها فى الرقع ، لكنهم ما كانوا ينتقلون من آية إلى أخرى إلا بعد أن يستوعبوها ويعملوا بها . كان الحفظ قائما وضروريا ، لكنه كان مقترنا فى الوقت ذاته بالاستيعاب والعمل . وبعد جمع القرآن فى عهد عمر بن الخطاب ، وبعد تدوينه فى عهد خلفه عثمان بن عفان ، لم تعد هناك مشكلة فى حفظ القرآن . لكن المشكلة ظلت قائمة بالنسبة للسنة النبوية ، وما روى عن الرسول ﷺ من أحاديث ، وما دس عليها من روايات واسرائيليات .

وازاء ظهور تلك المشكلة ، فإن أجيالاً من الفقهاء أفنت أعمارها فى محاولة سد الثغرات التى ظهرت فى ذلك المجال ، عن طريق تحقيق وتقييم الرواة وتصنيف الأحاديث بحسب قوتها وضعفها . ويبرز فى محيط الفكر الاسلامى تيار قوى شغل طويلا بتحصين خط الدفاع

■ الحفظ إن لم يقترن بالفهم والفقه، لا يؤهل صاحبه لأن ينضم لأهل العلم

■ التعامل مع الثقافة بمعيار الكمّ لا النوع يجعل الثقافة عبئاً بدلاً من أن تكون عوناً على حث الخطى والتقدم

الثانى عن العقيدة (السنة) واستغرقته المهمة بدرجة أوقعته فى محظورين كبيرين : الأول أنهم اهتموا بالسنة بأكثر من اهتمامهم بالقرآن الكريم — والثانى أنهم ركزوا فى تعاملهم مع السنة على الأسانيد دون المتون . أى أنهم عنوا بصحة نسبة الحديث — إن جاز التعبير — ولم يبذلوا جهدا يذكر فى صحة موضوعه ، ومدى اتفاقه مع تعاليم القرآن الكريم ونصوصه .

ورغم الخدمات الجليلة التى أداها هؤلاء للسنة ، وللباحثين فى ميدان الفكر الاسلامي ، فإن انصرافهم لذلك العمل واستغراقهم فيه كان مسؤولا عن تأسيس مدرسة المحدثين ، الذين اختلفوا عن الفقهاء . الاولون عنوا بالسنة وتحقيقها ، والآخرون عنوا بالشريعة وأسرارها .

وفى عصور التدنى والانحسار جاء من بعد الأولين خلف لا هو من أهل الحديث ولا أهل الفقه . ولكن ظل أسير التمذهب . فلم يتقن فهماً لحكم شرعي ، ولا حفظا وتحقيقا لحديث نبوي ، ولكنه غرق فى المدونة والألفية ومقامات الحريرى .

فى نهاية الأمر : أصبحنا نتعامل مع الثقافة والمعرفة بمعيار الكم لا النوع ، لجأنا الى التكديس لا البناء ، كما يقول مالك بن نبى . حتى أصبحت ثقافتنا عبئاً علينا يكرس تخلفنا ، لا عونا لنا على حث الخطى واللحاق بركب التقدم .

فالحفظ وحده لم يعد قيمة تؤهل صاحبها لأن ينضم الى أهل العلم .

ونحن نلاحظ فى لغة الخطاب القرآنى إشارات مميزة تعلى مقام « أولى الألباب » ، فى أكثر من خمسة عشر موضوعا ، موزعة على عشر سور ، وهؤلاء — فى السياق — ليسوا بالضرورة أهل العلم . ولكنهم أهل التمييز والافهام والبصائر . أولو الألباب هؤلاء هم الأقدر على التدبر والنظر والاعتبار وذكر الله وتقواه . ومن الآيات المعبرة فى هذا الصدد ، ما تذكره سورة « الزمر » ، بعد ما أوردت عددا من الشمائل التى يتحلى بها المؤمنون : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب » — الآية ١٨ .

نلاحظ ايضا أن إشارات التعليم والتوجيه فى القرآن الكريم ذكرت « الكتاب » مقترنا بالحكمة فى أكثر من خمسة عشر موضعا — أيضا — ومن المفسرين من قال إن المقصود بالحكمة فى السياق القرآنى هو السنة النبوية . وهو قول مردود بأن الآية ١٦١ فى سورة النساء تتحدث عن أبى الأنبياء ابراهيم عليه السلام مشيرة الى أنه أوتى الكتاب والحكمة ، مما يستحيل معه ان يكون المقصود به هو السنة النبوية ، اللهم إلا إذا كان المقصود كونها سبيلا الى فهم أسرار الشريعة ومقاصدها ، وليس فقط ما صدر عن النبى عليه السلام من قول أو فعل أو إقرار .

من السياق القرآني نفهم أن الكتاب وحده لا يكفى ، ولكن الحكمة مطلوبة بنقل القار . وفى القاموس المحيط أن الحكمة هى وضع الشيء فى موضعه وصواب الأمر وسداده ، وهى فى الأصل اتفاق القول والفعل واحكامهما .

وفى تراثنا الفقهي مأثورات عديدة تعلي قيمة الفهم والدراية ، وتتهم الذين استغرقهم حفظ النصوص وترديدها ، من تلاميذ المدرسة « الكمية » فى ميدان العلم .

وينقل عن عبد الله بن مسعود قوله : كونوا للعلم رعاة ولا تكونوا له رواة . والامام مالك هو القائل : ليس العلم بكثرة الرواية ، ولكنه نور يجعله الله فى القلوب . والامام الشافعي وضع شروطا عدة لمن يتصدى للفتيا ، بينها أن يكون عارفا بكتاب الله ، وبصيراً بالحديث ، وبصيراً باللغة ، وبالشعر . ثم اشترط بعد ذلك ثلاثة شروط فى استثمار تلك المعارف ، أن يستعملها الفقيه مع الانصاف ، وان يكون مشرفا على اختلاف أهل الأمصار ، أي واعيا بالاختلافات الاجتماعية والبيئية ، ثم أن تكون له قريحة بعد هذا : وذلك بيت القصيد إذ فى غيبة « القريحة » ، فإن كل ذلك الرصيد الثقافى لن يقدر له أن يوظف أو ينتفع به على نحو سليم .

منذ بدء المسيرة وتلك الاشارات المضيئة تلمع فى آفاق الفكر الاسلامى . لكن أكثرنا يغمض أعينه ويصمّ آذانه ، ويدير ظهره ، ويظل يركض فى اتجاه معاكس تماما ، مع التكرار والاجترار ، ومع التخزين والتكديس ، حتى تورمت اجسامنا ، وتضاءلت عقولنا ، وصار حالنا الى ما يعرف الجميع — ولا حول ولا قوة إلا بالله !

أضـــواء جديـــدة على حقيـــقة تـــاريخيـــة هـــامة

خسارة اليهود المصريين بقيـــام إسرائيـــل

بقلم : الدكتور السيد فهمي الشناوي

كان اليهود المصريون ينعمون في مصر قبل قيام اسرائيل بالرخاء ويتمتعون بالعدالة ، وكان المجتمع كله من قمته إلى أصغر فرد فيه يفتح ذراعيه لهم ، وكانت خيرات المجتمع كله متاحة لهم دون أي قيد .

ولكنهم فضلوا على هذا النعيم كله أن يتآمروا وأن يخونوا وأن يجمعوا الذهب من أيدي المصريين بأبخس الأثمان ويهربوا الى الخارج ثم الى اسرائيل .

وهذه وثيقة حية تكشف وضع اليهود في مصر قبل خروجهم الثاني الى اسرائيل .

ملأ اليهود الدنيا عجيجاً وضجيجاً عن الخروج اليهودي exodus من مصر أيام سيدنا موسى وألفوا في ذلك الأساطير والمعلقات والموشحات .

ولكن خروجهم الثاني عند قيام دولتهم في اسرائيل كان بمحض ارادتهم وبسعي حثيث منهم وتحملوا الكثير في سبيل تهريب أفرادهم ونقل ثرواتهم دون أن يطلب منهم أحد فضلاً عن أن يجبروهم على ترك هذه الجنة الحقيقية التي كانوا يعيشون فيها .

إن مجرد استعراض واقعهم في مصر قبيل هذا الخروج يكاد يذهل المرء كيف أن فريقاً من البشر كفروا بأنعم الله وخرجوا من جنتهم مختارين وتركوا نعيماً كانوا فيه يتقلبون . والسلطة المالية والثقافية بل والسياسية التي كانوا فيها يرفلون لا تقارن بالإفلاس الاقتصادي والعزلة الثقافية والتفرقة العنصرية فضلاً عن العيش في قلق وتوتر واستعداد للحرب وتعرض يومي لخطر الموت .

إن المرء ليتساءل أين ذهبت مقدرة اليهودي الحسابية على رصد الأرباح والخسائر .

وضع اليهود المصريين

يشير الإحصاء الرسمي لمصر لعام ١٩٤٧ إلى أن عدد اليهود المصريين هو ٦٤٤٨٤ منهم ٣٦١٥٥ في القاهرة و ٢٥١٨٣ في الاسكندرية والباقي منتشرون في مدن القناة والدلتا . وكان تعداد مصر كلها ١٥ مليونا وتسعمئة ألف أي أن نسبة اليهود كانت أقل من نصف في المائة . ومع ذلك سوف ترى أنه كان لهم من الثروة والنفوذ أضعاف أضعاف نسبة عددهم هذا .

كان ٧٪ فقط من هؤلاء اليهود هم الذين يحملون جنسية مصرية بينما كان ٩٣٪ يحملون جنسيات أوربية ، وبعضهم كان بلا جنسية لانحدارهم من بلاد اختفت من الخريطة مثل الصرب وليتوانيا ، أو هربوا من بلادهم تاركين أوراق جنسيتهم هناك .

وكان حملهم لجنسية أوربية يعطيهم تمتعاً قانونياً بالامتيازات الأجنبية ويبعد قبضة القضاء المصري عنهم في نشاطاتهم المالية والجنائية معاً .

وكان لهم مجلس ملي خاص برئاسة يوسف قطاوي باشا وكان لهم حاخام في القاهرة هو « حايم ناحوم أفندي » الذي كان حاخاماً سابقاً في تركيا وسفيراً لتركيا في أمريكا وصار عضواً بارزاً في المجمع اللغوي العربي حتى سموه المجمع المتحرك ، وكان له نفوذ دولي هام سبق أن كتبنا عنه .

وكان وزير المالية في مصر في حكومة أحمد زيور سنة ١٩٢٥ يهوديا هو يوسف قطاوي باشا ، وكان يوسف موصيري صديقاً لصيقاً للملك فؤاد وكانت زوجة رينيه قطاوي هي كبيرة سيدات التشريفات بالسراي الملكية حتى آخر يوم في تاريخ الملكية المصرية .

اليهود والربا

كتب طلعت حرب باشا مؤسس بنك مصر عام ١٩١١ عن « علاج مصر الاقتصادي » قائلاً إن المصريين كانوا يقرضون بعضهم بعضاً بدون أي كمبيالات ولا صكوك ويردون الدين مرتبطين بالوعد الشفوي لاغير . ثم جاء ثلاثة من المرابين اليهود هم سوارس ورولو وقطاوي عام ١٨٨٠ وفتحوا فروعاً لبنوك فرنسية تعاملت بالربا وفي خلال سنة واحدة فقط ــ نعم سنة واحده فقط ــ كان قد تم رهن ثلث المساحة المنزرعة المصرية لدى هذا البنك . إنه البنك العقاري المصري !

بعد ذلك أنشأ يهود آخرون البنك الأهلي المصري ثم البنك البلجيكي ثم البنك التجاري وبنك موصيري وبنك سوارس والبنك الزراعي وشركة الشرق الأدنى المالية والشركة المصرية المالية وشركة الاسكندرية للتأمين وشركة التأمين الأهلية المصرية .

وأسس اليهود شركات مضاربة في الأرض الزراعية هي « شركة البحيرة » وشركة استغلال زراعي هي « وادي كوم أمبو » وشركة امتلكت ضاحية المعادي كلها هي « شركة الدلتا

المصرية ، وشركة امتلكت عام ١٩٣٠ بحيرات في سيدي جابر تبلغ مساحتها ١/٦ مساحة الإسكندرية كلها ثم جففت هذه الأرض وعرفت بأرض سموحة (٤٢٥ فدانا) أصبحت من أغلى مناطق الإسكندرية وأسس يهود آخرون شركات بناء وتقسيم أراضي بناء هي «الشركة العقارية المالية» «والشركة المساهمة المصرية المالية».

وأسس آخرون شركات نقل بري وبحري منها شركة الأمنيبوس المصرية وشركة ترام الأسكندرية وشركة سكة حديد الفيوم وشركة سكة حديد قنا وأسوان وشركة بواخر البوستة الخديوية.

وتملك آخرون أهم الصناعات الحيوية: معظم محالج القطن والزيوت والسكر والمطاحن والملح والصودا. وتملك بعضهم شركة توريد الكهرباء وشركة الثلج ومصانع النحاس ومعظم الفنادق.

وكان ٩٨٪ من العاملين في بورصة الأوراق المالية وبورصة القطن من اليهود وكان سكرتير اتحاد الصناعات الذي يرأسه صدقي باشا يهودياً (موريس ليفي الذي يملك مصانع شيكولاته ونسيج وسجاد) وكان مستشار عبود باشا يهودياً «مسيوسيسين» وحتى بعد صدور قانون الشركات عام ٤٧ الذي نص على أن يكون ٧٥٪ من موظفي أي شركة من المصريين ظل الخمسة آلاف يهودي الذين يحملون الجنسية المصرية هم الشاغلون لأهم هذه المراكز جميعاً.

اليهود الفلاحون

إذا كان الربا قد يسر لليهود كل ماذكرناه آنفاً من بنوك وشركات فان هناك يهوداً حاولوا أيضاً أن يكونوا اقطاعيين: هم «وهبه وقطاوي ومزراحي وفرنكو» وقد تملكوا اقطاعيات في وسط الدلتا في بنها وميت غمر والبحيرة. وبلغ عددهم في حده الأقصى الفين من الفلاحين إلا أنه سرعان ماانخفض إلى ست عائلات فقط عام ٥٠ (حسب تقدير جويش كرونكل)

وربما كانت تجارة القطن والسمسرة في بورصة القطن هي مدخل هؤلاء اليهود الذين آثروا التملك الزراعي.

وهكذا يمكن اعتبار الفلاحة المصرية هي أصعب المهن التي واجهها الغزو اليهودي وسرعان ما ارتد عنها وإن كان احتفظ بها ملكاً وتجارة ولكنه عجز عنها مهنة. وهذا يدحض القول الذي يكررونه عن عبقريتهم في انشاء المزارع الجماعية «كيوبتز» في اسرائيل مستدلين من ذلك على قدرة اليهودي بالارتباط بالأرض.. إن الكيوبتز هي في الحقيقة مزارع عسكرية أقامها المسلحون والمحاربون اليهود كقلاع تستخدم الزراعة للتموين الذاتي فقط. ولكن لايوجد ارتباط حقيقي ولاتعاطف بين الإنسان اليهودي والزراعة كمهنة يهواها.

اليهود والثقافة

كان لليهود ١٩ مدرسة وهي نسبة عالية جداً بالقياس الى عددهم. وكانت أول مدرسة لهم هي مدرسة ابتدائية في القاهرة عام ١٨٩٥ تلتها مدرسة لتخريج الحرفيين والعمال المهرة واهتمت مدارسهم عموما بتعليم الدراسات التجارية والاختزال والآلة الكاتبة والمهارات الفنية وكانت لغة التعليم فيها هي الفرنسية والانجليزية.

وأصدر اليهود مجلة النهضة اليهودية ثم المجلة الصهيونية ثم مجلة اسرائيل ثم الفجر ثم الشمس ثم المنبر الصهيوني. هكذا تدرج وتطلع شديد نحو اسرائيل والصهيونية من قبل اعلانهما. وتملكوا وسيطروا على أكبر دار نشر للصحف وهي الشركة الشرقية التي كانت تصدر البروجريه والجازيت.

وأسسوا جمعية للدراسات اليهودية وتاريخ اليهود ومخطوطاتهم. ووضع المحامي مراد فرح سفراً عن شعراء اليهود العرب وشغل اسرائيل ولفنسون كرسي استاذ اللغات السامية في كلية دار العلوم المصرية. وأنشأوا جمعية صداقة لجامعة القدس العبرية.

مع الأحزاب المصرية

إذا لاحظنا أن ٩٣٪ من يهود مصر كانوا يحملون الجنسية الفرنسية والبريطانية وأن عدد اليهود المصريين لايزيد عن خمسة آلاف فقط وإذا تذكرنا أن مرحلة ماقبل الثورة كانت مرحلة التحرر الوطني من النفوذ البريطاني أدركنا أنه لم يكن أمام اليهود أي فرصة للمشاركة في هذا التيار الوطني التحرري بل كان الأقرب الى المنطق أن يراهم الوطنيون في صف العدو. ومع ذلك ورغم ذلك نرى أن الأحزاب فتحت صدرها لهم بمنتهى الترحيب. فقد دخل في الوفد شخصيات يهودية وأتاح لها الوفد بروزاً أكبر بكثير من حجمها. فالمحامي ليون كاسترو كان الناطق باسم الوفد في أوربا عن طريق صحيفة يومية فرنسية «ليبرتيه» ورافق سعد زغلول في كل رحلاته الى أوربا. ودخل اليهودي يوسف دوبكتر البرلمان المصري نائباً وفدياً عن الاسكندرية عام ٢٧ وعين الوفد في مجلس الشيوخ شيخين يهوديين هما يوسف باشا قطاوي والحاخام حاييم ناحوم. بل ان يوسف

- أول بنوك تم إنشاؤها كان أصحابها من اليهود
- أول شركة سينمائية مصرية أنشأها يهودي
- حاول اليهود المصريون أن يعملوا بالزراعة لكنهم فشلوا في ذلك
- ست مجلات يهودية تصدر في مصر في النصف الأول من القرن العشرين
- قام اليهود بشراء الذهب من المصريين بأبخس الأثمان ثم هربوا به إلى إسرائيل



لطفي السيد


طه حسين


الملك فؤاد


سعد زغلول


أحمد عبود

خسارة اليهود المصريين بقيام إسرائيل

قطاوي هذا ذهب مع الوفد كعضو فيه للمفاوضات في لندن وعين أيضاً كعضو في لجنة الثلاثين الشهيرة التي وضعت دستور ٢٣ بل وعين أيضاً وزير مالية لحكومة سعد زغلول عام ١٩٢٥ وكانت وزارة المالية هي أهم وزارة بين الوزارات .

اليهود والوظائف

رغم أن طبيعة اليهود هي التجارة والعمل الحر إلا أن صدر مصر المفتوح أوصل اليهودي المصري إلى أعلى درجات الوظائف . كان هراري باشا مراقباً لحسابات عام وزارة المالية وهي أخطر وظيفة في أخطر وزارة . وكان أصلان قطاوي مديراً لمصلحة الأملاك الأميرية التي تملك أرض الحكومة وكان في نفس الوقت ممثل الحكومة لدى شركة قناة السويس . وكان أخوه رينيه هو مدير شركة كوم أمبو أكبر الشركات الزراعية وكان رينيه هذا حاكماً بأمره في هذه المنطقة يحاكم ويجلد ويحبس من يمد يده إلى عود قصب واحد وكان هو أيضاً نائباً وفدياً في البرلمان .

احتفالات رسمية

حتى بعد نشوب حرب ٤٨ وحتى بعد ثورة ٢٣ يوليو المصرية وبالتحديد في عام ١٩٥٣ قامت الحكومة بالاحتفال الرسمي بمرور ٨٠٠ سنة على مولد اليهودي موسى ابن ميمون . والغريب أنه بدأت الاستعدادات لهذا الاحتفال من أيام الملك فؤاد نفسه ومولت الحكومة المصرية والمجمع اللغوي هذا الاحتفال . وأصدرت الحكومة كتاباً عن ابن ميمون كبطل مصري !

ورغم اشتعال الشعور الوطني ضد الوجود الأجنبي عموماً والبريطاني خصوصاً عام ٤٦ عندما لم يسمح الشعب برؤية جندي واحد بريطاني في قصر النيل أو القاهرة مما أدى إلى مذبحة ميدان التحرير الشهيرة رغم ذلك كله لم يصب يهودي واحد بعداء شعبي ظاهر أو خفي .

وخلال هذه الفترة كان الطالب اليهودي اسرائيل ولفنسون يضع رسالة عن الشعراء اليهود العرب فاحتضنه العميد طه حسين بنفسه وكتب له مقدمة الكتاب . ثم عينه بعد ذلك استاذاً في كلية دار العلوم .

ورغم تأجج الشعور الوطني ضد الوجود الأجنبي حتى شمل الأرمن والايطاليين والقبارصة إلا أن التسامح الديني المعروف عن المصريين مسلمين وأقباطاً حصن اليهود رغم جنسيتهم الأجنبية بل ظل للملك أصدقاء يهود وكانت الوصيفة الأولى في القصر يهودية (مدام رينيه قطاوي) . بل وصل التسامح الديني إلى درجة أن يذهب لطفي السيد مدير جامعة القاهرة وطه حسين عميد آداب القاهرة عام ٤٤ إلى القدس للاشتراك في احتفال الجامعة العبرية . هذا في الوقت الذي كان فيه يهود العالم كله مطاردون من أوربا يلتقطون انفاسهم في اختناق شديد . وكان الجنس العربي الذي ينتمي إليه لطفي السيد وطه حسين ينزف دماءه الطاهرة على أرض فلسطين المقدسة في عملية استعمارية يهودية لأول أرض غزاها الاسلام وما كان هذان الكبيران غافلين عن هذا كله فلا كانا إمّعات ولا أذناباً ولكنها السماحة والتفضل حتى ولو لم يقدر الخصم ذلك .

أغنياء الحرب

خلقت الحرب العالمية الأولى والثانية في مصر طبقة عريضة من أغنياء الحرب والمليونيرات يزيد عددهم أضعافاً عمن كونوا ثرواتهم في أيام السلام على أرض مصر . ففي أيام الحرب أتيح لكل من يورد للجيش البريطاني أغذية أو حبوباً أو لحوماً أو أدوية أو خدمات أن يحصل بسهولة وسرعة وبدون أي تدقيق ولا رقابة على كل مايطلبه من مال . وفي الحرب الأولى حيث كان الجيش يعتمد اعتماداً أكبر على الخيل والجمال في النقل والجر كان تجار المواشي والخيول وعلف المواشي وخاصة الشعير وأدوية المواشي على قمة المستفيدين .

ويقدر الاقتصاديون أن عدد الوطنيين الذين استفادوا من الوجود البريطاني خلال الحربين هو ربع عدد الأجانب الذين استفادوا من نفس المصدر . أي أن عدد أغنياء الحرب الأجانب كانوا أربعة أضعاف عدد الوطنيين وذلك بسبب سهولة التفاهم باللغة والطباع والميول ومراعاة العادات الغربية .

ويأتي على رأس طبقة الأجانب الذين أصبحوا مليونيرات حرب عدد كبير من اليهود بحكم حرصهم على المال والتجارة والسمسرة . فاذا تذكرنا أن عدداً كبيراً من هؤلاء اليهود كانوا طريدي هتلر في الحرب العالمية الثانية ومن طريدي جمال باشا القائد العثماني في ديار الشام في الحرب الأولى أي أن هؤلاء اليهود كانوا يطوون أحشاءهم على الطوى ويتقلبون على الجمر فإذا بهم بعد سنين الحرب المحدودة قد صارت لهم القصور على شاطئ النيل وعلى بلاج الاسكندرية أدركنا معنى البحبوحة واقعياً .

والغريب أن هؤلاء اللاجئين اليهود خلال الحربين كانت الحكومة المصرية وبرياسة الخديوي أو الملك تشكل لجنة لاستقبالهم لتبدي نحوهم العطف وتمد لهم يد المساعدة . وكانت تخصص في وزارة الداخلية مفتشاً مخصوصاً لهذه المهمة الانسانية ! وفي السجلات الرسمية للحكومة مايدل على أنها وضعت تحت تصرف هؤلاء اللاجئين مبنى الحجر الصحي بالاسكندرية ومحطة الورديان ودار المحافظة في رأس التين . وتولت الخزانة المصرية نفقاتهم وأنشأت لهم مخابز خاصة وبنت لهم معبداً ومستشفى وحدائق خضراء ونافورات مياه !

ومما يدعو للتأمل أنه من قلب هذه المعسكرات والملاجئ الحكومية لليهود خرجت في الحرب العالمية الأولى فكرة مساعدة الانجليز ضد الأتراك وهي فكرة مضادة تماماً للشعور الشعبي الوطني الذي تبدى في مشكلة طابا مثلا والذي عبر عنه مصطفى كامل بارتباطه السياسي بتركيا . ولم يكتف هؤلاء اللاجئون اليهود بأن تخرج الفكرة كمجرد فكرة أو شعار بل كونوا فرقة عسكرية لهذا الغرض .

وفي خلال الحرب العالمية الثانية كون اليهود اللاجئون في مصر فرقة عسكرية تحارب مع الحلفاء كجزء من الفيلق اليهودي الذي تكون في فلسطين . بل واشتركت هذه الفرقة في معركة « بيرحكيم » واستطاع هذا الفيلق اليهودي أن يقدم لحرب ١٩٤٨ في جانب اليهود ستين ألفاً من اليهود الذين حاربوا فعلاً ومارسوا استعمال السلاح الحديث خلال الحرب العالمية الثانية وعلى مستوى الضباط . هذا في الوقت الذي بلغت فيه أعداد المحاربين من الجيوش العربية في حرب ٤٨ عشرة آلاف جندي وبضع مئات من الضباط معظمهم من مصر . هذه الأعداد في الجانبين ذكرها جلوب باشا نفسه .

هؤلاء اللاجئون اليهود أصبحوا بعد سنوات الحرب مليونيرات في مصر بفضل ماإكتسبوه من الجيش البريطاني وصار فريق كبير منهم على مدى الحقبة التالية من مؤسسي اسرائيل على أنقاض فلسطين .

على أن اليهود لم يكتفوا بالاثراء عن طريق التكسب من الانجليز ولكنهم قاموا بدور فريد يعتمد على حبهم التاريخي للذهب وعبادتهم إياه ألا وهو جمع الجنيه الذهب من بين يدي الجمهور والتجار المصريين وبيعه لبنك انجلترا أو تحويله إلى سبائك . كان الجنيه

الذهب يساوي ٩٧٥ مليماً . فكانوا يدفعون فيه ٩٧٩ مليماً ويأخذونه من الجمهور حتى استمر الجنيه يتوارى عن العيون . ووصل الآن سعر الجنيه إلى أكثر من مائة جنيه مصري ورقي !

كما أن اليهود طرقوا بعض أوجه استثمار انفردوا بها ، فقد احتكروا مثلاً صناعة السينما حيث أسس جوزيف موصيري (الذي سيصبح صديقاً للملك فؤاد) في عام ١٩١٥ شركة للسينما هي شركة « جوزي فيلم » تملكت سينمات في مصر وأسكندرية والسويس وبورسعيد ووجد فيه جنود الجيش الانجليزي أيام الحربين متعة تخفف عنهم هموم الحرب .

وأسس شيكوريل عام ١٩١٥ مؤسسة لتصدير القطن وتسويقه الداخلي ثم أصبح هو عضواً في بورصة البضائع وبورصة مينا البصل وجمعية المصدرين ، ومن الملاحظ أنه أسس هذه الشركة التصديرية خلال الحرب وانقطاع النقل البحري ومعنى ذلك أنه احتكر وحده عملية النقل والشحن البحري للقطن بتنظيم خاص مع الانجليز .

وأسس الفريد كوهين عام ١٩١٤ شركة التسليفات التجارية التي انتشرت انتشاراً واسعاً بين التجار المصريين ، وأصبح لها وكالات في لندن وباريس ومعظم المراكز التجارية العالمية وكانت هي الشركة التي أدخلت الربا بعد أن كان التجار المصريين يتعاملون بالقرض الحسن وبدون كمبيالات اكتفاء بالارتباط اللفظي بينهم .

وقد ربح تجار اليهود ربحاً ماكان يخطر لهم على بال من الجيش البريطاني . وأفادوا إفادة كبرى من ارتفاع الأسعار أو من التعهدات والعقود التي ارتبطوا بها لتوريد بضائع للجيش فمحلات « ديفن براين » و « لندن هاوس » و « شالون » و « صيدناوي » أخذت تشتغل ليل نهار للجيش . ونفذت جميع الأدوية الجاهزة والأجنبية وحتى العطارة المحلية ، وبيعت بألوف الجنيهات ماكان ثمنه عشرات لأن السلطة العسكرية كان يهمها الحصول بسرعة تامة على العقاقير المطلوبة بأي ثمن . ومن ثم فقد برز في هذا المجال يهود وأصبحوا من أغنى المليونيرات هم « دلار » و « غناجة » و « جاليتي » .

الاستثناءات والمحسوبية

لم يكن المجتمع المصري حتى الحرب العالمية الأولى يعرف المحسوبية ولا الاستثناءات في الوظائف . وكان في مصر وحتى نشوب الحرب الأولى حرص على نوع من العدالة والمساواة بين الموظفين . بل وصلت المساواة في مياه الري بين الأقطاعي والفلاح الفقير . ولم يعرف الجهاز الاداري المصري الاستثناءات والمحسوبية إلا على يد اليهود المصريين وبدأ ذلك مع نشوب حرب ١٩١٤ مع غلاء الحرب صار هناك توفير في عديد من الوظائف لتوقف مشروعات الري والصرف حيث فصلت وزارة الأشغال ٥٠٠ موظف كلهم من المصريين . وكما قلنا قبلاً إن مفتش مالية الحكومة قطاوي كان يهودياً . في وسط هذه المذبحة للموظفين الوطنيين زاد راتب قطاوي مرة واحدة ٢٠٠ جنيه شهرياً لمواجهة الغلاء وصار مرتبه السنوي بذلك عشرة آلاف جنيه وهو مبلغ خيالي بحساب ذلك الزمن . وفي نفس الوقت زاد مرتب بعض الموظفين الأجانب مثل دراجون المستشار الزراعي وورنوك البيطري وتورسا مهندس بلدية الأسكندرية حيث منح منحة قدرها ١٢٠٠ جنيه مرة واحدة . في نفس الوقت استقطعت الحكومة جانباً من مرتبات الموظفين الذين لم يفصلوا .

تجمع غضب الموظفين المكتوم وتركز على رأس المستعمر البريطاني . وحالت ظروف الحرب التي استدعت هذا التقشف الحكومي لصالح المجهود الحربي حالت دون أن يتنبه الطرفان المصري والانجليزي إلى الدور الخطير الذي لعبه اليهود على حساب الموظفين ولصالح اليهود أولاً وأخيراً ، فكان التبذير لليهود والتقشف على المصريين .

خطيئة يهودية أخرى

كما جمع اليهود الجنيه الذهب استمراراً لعبادتهم للعجل الذهبي القديم وكما زرعوا بذور المحسوبية والاستثناءات في حقل الوظائف وأصبح الاستثناء في هذه التربة نوعاً من الحشائش يستحيل استئصاله كذلك زرعوا في المجتمع المتدين خطيئة البغاء وكان لهم في ذلك فنون وفنون . وكان لهم دولة خاصة بهذا الجرم الشنيع . دولة لها مندوبوها لدى البوليس والصحة والجهات المختصة . وكانوا يبتدعون لافتة « بنسيون » لاخفاء أوكار هذه الرذيلة .

لايمكن أن يقدر خطورة هذا الموضوع إلا أطباء الجيش الإنجليزي الذين كتبوا تقارير رسمية وكتباً خاصة ذكروا فيها أن ربع الجيش الانجليزي على الأقل قد عانى من الأمراض السرية التي كانت تفوق المجهود الحربي (قبل ظهور البنسلين) لمدة ٨ أسابيع على الأقل . والتي فككت الروابط الأسرية الانجليزية وغيرت كثيراً جداً من السلوك والأخلاق البريطانية الأصيلة ونشرت فساداً لفترة طويلة بعد الحرب .

كان اليهود مصممين خلال الحرب العالمية الثانية على استلاب الرجل البريطاني والمال البريطاني والنفوذ السياسي البريطاني في الشرق الأوسط والسلاح البريطاني وغير البريطاني .

ويهود كثيرون يعتبرون أن غير اليهودي سرقته لاتعتبر جريمة بل هي حلال . ونفس الشيء في الزنا والقتل فهم يرون غيرهم ليسوا بشراً . بل مخلوقات مهدورة المال والدم والشرف . إنهم هم وحدهم البشر الذين خلقهم الله . غيرهم ليسوا بشراً بل مخلوقات كالحيوانات . ووقائعهم التي تروى في هذا الصدد كثيرة ومشهورة . ولازالت تصرفاتهم في إزالة البيوت بالبولدوزر وبقر بطون الحوامل وإسالة دماء الأسرى حتى الموت ... كل هذا ماهو سوى تعبير عن هذا الاحساس تجاه الغير وهو احساس يبرر لهم أخذ الأموال وانتهاك الأعراض وتمزيق المقدسات .

إن المسلمين والمسيحيين لايصدقون هذه الصورة لأنهم لايستطيعون الحكم عليهم إلا بما تعودوه وماجبلوا عليه من مقاييس دينية وبشرية وإنسانية وأخلاقية .

وقد استغل اليهود هذا « الضعف » لدى المسلمين والمسيحيين في تهديدهم بمعاداتهم للسامية كلما حاولوا الاقتراب من حقيقة هذا الشعور اليهودي نحو غير اليهودي . « سام » القدس هذا مضى عليه ألوف الألوف من السنوات . والآن فقط يتذكرونه ويحتمون به . والعرب جميعاً أبناء سام هذا . ولم يرحمهم اليهود .

الخلاصة

إن اليهود المصريين كانوا في مصر ينعمون بالرخاء إلى أقصى درجة ويتمتعون بالعدالة وما هو فوق العدالة وكان المجتمع كله حتى أصغر فرد فيه فاتحاً أحضانه لهم . وكانت خيرات المجتمع وخلجات فكره متاحة لهم دون أدنى قيد .

وقد استبدلوا بهذا النعيم الخيالي أرضاً ضيقة منهوبة وميزانية مفلسة وتوتراً دائماً ينعكس حتى على محيًا الطفل الاسرائيلي المهموم الخائف من المستقبل .

وسيظل خروجهم الثاني من مصر حجة عليهم وعلى اختيارهم وبطرهم وكفرهم بنعمة الله وتـ.ـهم على فضله .

السيد فهمي الشناوي

كيف يتخلص العرب من:

لعبة الدولار!



بقلم:
الدكتور غسان حتاحت

قرأت مرة قصة طريفة في كتاب من كتب التراث لا يحضرني اسمه، علقت في ذاكرتي لما فيها من عبرة وأية عبرة.

وهي تحكي عن تاجر مفلس غادر بغداد باتجاه فارس، سعيا وراء الرزق والتجارة فلم يفلح، وحط به الرحال في احدى حواضر فارس، حيث كان على علاقة وثيقة بأحد تجارها في الماضي، وخطر له أن يقصد هذا التاجر ليستدين منه بعض المال، ولما زاره وحدثه بحاجته، قال له التاجر الفارسي: انني لا أملك ماأعطيكه، لكنني سوف أحاول أن أساعدك بصورة أخرى.

وذهب معه الى السوق حيث اشترى له ثيابا غالية نفيسة ليلبسها ثم صحبه الى قصر الوالي. وعندما دخلا على الوالي قال التاجر الفارسي:

يسرني يا مولاى أن أقدم لك شيخ تجار بغداد وأغناهم، الذى حضر إلى هذه المدينة جالبا معه أحمالا كثيرة جدا من الثياب والأقمشة والجواهر والتحف والبضائع المتنوعة، وهو يرجو أن تقبل منه هدية ثمينة من الماس والياقوت واللؤلؤ ومن مختلف الأقمشة.

قال الوالي: انني أشكركما، وأقدر في هذا التاجر البغدادى قدومه إلى مدينتنا للاتجار فيها وملء أسواقها بالبضائع والتعامل مع تجارها، وأرى أن الواجب أن نتقدم نحن بالهدايا إليه لا أن يتقدم هو بالهدايا إلينا.

يا غلام أعط هذا التاجر الكبير كذا وكذا من الأقمشة، والخلع ومن الجواهر والتحف فمثله جدير بذلك.

ولما خرج التاجر البغدادى من حضرة الوالي محملا بالعطاء، قال لزميله الفارسي: لقد جعلتني يا صديقي أشعر بالقلق والاضطراب، فمن أين لى أن أهدى الوالي ما ذكرت، وأنا الذى أجد بالكاد ثمن طعامي؟ قال له الفارسي: لم يكن ثمة داع لأن تشعر بالقلق أبدا، فلقد كنت واثقا أن الوالي لن يقبل هديتك وأنك سوف تخرج من حضرته محملا بالغالي والثمين من الهدايا والتحف، ألا تعلم أن الناس عندما يرون الغني يعطونه المال الوفير

مع غناه وثروته ، وعندما يرون الفقير يأخذون منه ماله رغم فقره وحاجته ؟

العرب ولعبة الدولار

أتذكر هذه القصة وأستعيدها هذه الأيام كلما قرأت أن الناس في كل مكان من العالم يتحدثون عن الدولار وعن ارتفاع قيمته ، وانخفاض قيمة سواه من العملات الصعبة وغير الصعبة ، ويحز في نفسي سعي العرب إلى اقتناء الدولار والدخول في لعبته الخطرة .

فالدولار كما يعترف بذلك الخبراء الأمريكيون أنفسهم ، تزيد قيمته عن حقيقتها بـ ٣٠ ـ ٣٥٪ ، وأمريكا التي تطبع هذا الدولار الأخضر لم تنجح حتى الآن في معالجة النقص السنوي الهائل في ميزانيتها رغم المحاولات القاسية والتدابير الشديدة . وديون أمريكا الخارجية في تزايد مستمر . وهناك من الدولارات المودعة خارجها الكثير الكثير . فهناك ما يسمى بالدولار الأوروبي الذي يملأ مصارف أوروبا ، وهناك الدولار البترولي الذي يدفع ثمنا لهذه المادة للدول المنتجة للنفط ، وهناك المساعدات العسكرية والاقتصادية التي تضيف إلى ديون أمريكا ديونا أخرى .

ومع ذلك نرى التهافت العالمي على اقتناء الدولار ، لماذا ؟ لأن هؤلاء الذين يرغبون باقتنائه يثقون بقوة الاقتصاد الأمريكي من جهة ، ويعتمدون على ثبات النظام الرأسمالي فيها من جهة أخرى .

ذلك أن الاستقرار في بقية الدول ــ ربما فيها دول أوربا الغربية ــ غير مضمون فلقد نجحت الأحزاب الاشتراكية في الوصول إلى الحكم في عدد من دول أوربا الغربية ، ونجم عن ذلك تغيير في بعض المناهج الاقتصادية وتأميم بعض الشركات .

لذلك نجد الناس من شتى دول العالم يسعون إلى استثمار أموالهم في الولايات المتحدة ، ويسعون إلى اقتناء الدولار الذي تطبعه أمريكا حسب ما تريد وتشاء وهي الدولة الوحيدة في العالم التي تستطيع أن تطبع من عملتها ما تريد دون أى قيود . فلا حاجة لغطاء يغطي عملتها ، بل أن عملتها هي غطاء للعملات الأخرى .

وكلما طبعت أمريكا دولارات أكثر زادت مديونيتها للعالم أكثر ، وكلما نقصت قيمة الدولار . والعالم راض مسرور . فأمريكا هي أكبر قوة إقتصادية في العالم ، وهي أغنى الدول إطلاقا .

لذلك لا عجب أن ترغب الدول الأخرى ، والمستثمرون في اعطائها المزيد ، واعادة الدولارات إليها واستثمارها فيها ، وأي شيء تريده أمريكا أو أى دولة أخرى أكثر من اقتناء خيرات العالم ، وتزويده مقابلها بأوراق خضراء ستعود في النهاية إليها . وفي الوقت ذاته تضمن أمريكا رفاهية كبيرة للمنعمين من شعبها وذلك على حساب الشعوب البائسة الأخرى . ويصبح استهلاك الفرد الأمريكي من الأغذية ومن الطاقة ومن كل شيء يفوق بكثير نسبة أى فرد في أية دولة أخرى .

وترى أمريكا قادرة على التلاعب بدولارها ، فتارة تخفض قيمته ، وتارة ترفعها ، دون أى اعتبار لاقتصاد العالم قاطبة ولا حتى لاقتصاد حلفائها الغربيين . فمجرد رفع سعر الفائدة على الدولارات المودعة في مصارفها كفيل برفع سعر الدولار ما بين ليلة وأخرى بل دقيقة وأخرى . ومجرد خفضه كفيل بخفض سعر الدولار .

ونرى أمريكا ما بين تلاعب في سعر الدولار وتلاعب في سعر الذهب تربح إذ يصعد وتربح إذ تنخفض قيمته . والعالم الغني يزداد غنى والعالم الفقير يزداد فقرا .

وترى الدولار العربي ــ أن جاز التعبير ــ يتيه في هذه اللعبة الخطرة ، وتضيع في دوامتها

■ لماذا ظل العرب على كثرتهم وغناهم مجرد سوق استهلاكية كبيرة لمنتجات العالم ؟

مقدرات العرب وثرواتهم خاصة الثروة البترولية المتناقصة .

ما هو الحل ؟!

ما هو الحل ؟ ان الحل واضح معروف ، وهو في يد العرب أنفسهم ، ومع ذلك نراهم يتجنبونه . فلئن كان العرب قد عجزوا الآن عن تحقيق وحدة سياسية وتعاون سياسي وثيق ، فان عليهم أن يبدأوا في تحقيق تعاون اقتصادي يعود بالنفع عليهم جميعا . فكلما قوى اقتصاد العرب ازدادت ثرواتهم . وكلما أصبح العالم أكثر ثقة بهم من حيث الرغبة في التعاون المنتج معهم وفي استثمار الأموال لديهم . عوضا عن أن يكون العرب على كثرتهم وغناهم مجرد سوق استهلاكية كبيرة لمنتجات العالم .

وعندما يستثمر العرب أموالهم في أراضيهم : فما حاجتهم إلى الاستثمار في أمريكا ؟ وعندما يضع العرب أموالهم في الأرض الخضراء لا في العملة الخضراء فإن الخير يعمهم جميعا .

أما أن يبقى العرب ثرواتهم فى استثمارات تتعرض ساعة الحاجة إلى أخطار كثيرة فأمر غير منطقى . وما تجميد أموال ايران فى أمريكا إبان أزمة الرهائن الأمريكيين ببعيدة . وما تجميد بريطانيا لأموال مصر فيها أثناء حرب السويس ببعيدة أيضا ، فلا أمان إذن في استثمار خارجي مهما تباينت الظروف .

وفي ساعة العسرة فإن الاستثمار في الدول الغربية وأمريكا واحد . ذلك أن التعاون بينها وثيق . وما اتحاد الدول المستهلكة للنفط وتأثيرها على أسعار النفط وأسواقه ببعيدة عنا .

أننا لن نصبح قوة اقتصادية ذات أهمية ما لم نستثمر أموالنا في بلادنا . وعندها سيتشجع الآخرون على استثمار أموالهم لدينا . وبذلك يبتعد العرب عن لعبة الدولار الخطرة إلى حد بعيد . وتخف نسبة التضخم المالي لديهم .

لنبدأ بالثقة ببعضنا ، ولكن هنا المشكلة . إذ كيف نستطيع أن نثق ببعضنا ونحن فقراء . وكيف نستطيع أن نعطي بعضنا بعضا ونحن فقراء ؟ .

واقرؤوا ثانية القصة التي تصدرت هذه المقالة !

من أعلام الاجتهاد الإسلامي الحديث



الإمام الأكبر الشيخ الخضر حسين

بقلم: الدكتور محمد عمارة

ليست هذه بالترجمة المستفيضة لحياة الشيخ الفاضل محمد الخضر حسين.. وإنما هي «بطاقة» تجتهد لتكثف هذه الحياة الخصبة في سطور..

• فمن أسرة جزائرية «شريفة» - يرتفع نسبها إلى الأمراء الأدارسة، بالمغرب، جاء والده. ومن أسرة تونسية، اشتهرت بالعلم والفضل والتقوى هي أسرة عزوز - جاءت والدته..

• وفي مدينة «نفطة» - من أعمال «الجريد» - بجنوب القطر التونسي، ولد شيخنا في ٢٦ رجب سنة ١٢٩٣ هـ ١٦ أغسطس سنة ١٨٧٦ م.. وفي «نفطة» كانت نشأته الأولى، التي تأثر فيها بأبيه، وبخاله السيد محمد المكي بن عزوز، الذي كان من كبار العلماء، وموضع احترام رجالات الدولة العثمانية يومئذ، والذي قضى الشطر الأخير من حياته في الآستانة، تلبية لرغبة السلطان عبد الحميد (١٢٥٨ - ١٣٣٦ هـ ١٨٤٢ - ١٩١٨ م).. وله مؤلفات علمية معروفة، وترجمة في بعض كتب التاريخ..

وفي هذه النشأة الأولى «بنفطة»، حفظ شيخنا القرآن الكريم، وألم بجانب من الأدب والعلوم العربية، والشريعة.

نبوغ مبكر

• وفي الثانية عشرة من عمره (سنة ١٣٠٥ هـ سنة ١٨٨٨ م) انتقل مع أسرته إلى تونس العاصمة.. وبعد عامين (سنة ١٣٠٧ هـ سنة ١٨٨٩ م) التحق «بجامع الزيتونة» - المناظر، في تونس والمغرب للجامع الأزهر الشريف..

وفي الزيتونة تقدم الفتى في تحصيل العلم، وظهرت أمارات نبوغه في علوم العربية وعلوم الشريعة، وتجلى ذوقه الأدبي، في الانشاء وفي التذوق، حتى لقد طلبته الحكومة ليتولى بعض الخطط العلمية، قبل إتمامه دراسته.. لكنه اعتذر عن عدم القبول لرغبة حكومة تونس الفرنسية!

• كانت رحلته الأولى، خارج تونس، إلى الشرق - ولما يزل طالبا - فزار طرابلس الغرب، في ليبيا، سنة ١٣١٧ هـ سنة ١٨٩٩ م، فأقام بها أياما، ثم عاد إلى تونس، فلازم جامع الزيتونة.

• وفي سنة ١٣٢١ هـ سنة ١٩٠٢ م نال شهادة العالمية، وأصبح من علماء الزيتونة.. وفي نفس العام الذي تخرج فيه من جامع الزيتونة أنشأ مجلة (السعادة العظمى)، التي كانت رائدة المجلات العلمية والأدبية في بلاد الشمال الأفريقي يومئذ.. فلفت الأنظار إلى قلمه ولسانه.. فلقد كان خطيبا ومحاضرا، إلى جانب كونه أديبا وشاعرا وكاتبا..

• وفي سنة ١٣٢٤ هـ سنة ١٩٠٥ م تولى قضاء مدينة بنزرت ومنطقتها، إلى جانب التدريس والخطابة بجامعها الكبير..

• وفي ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ هـ ٩ يونيو سنة ١٩٠٦ ألقى في نادي قدماء خريجي المدرسة الصادقية محاضرة عن «الحرية في الاسلام»، فكشف بها عن موقف فكرى ذى مغزى في بلد يستبد بحكمه المستعمرون الفرنسيون؟!.. ثم ما لبث أن استقال من قضاء بنزرت، وعاد إلى تونس العاصمة، مدرسا بالمدرسة الصادقية، وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة بتونس يومئذ.. وكان ذلك في سنة ١٣٢٦ هـ سنة ١٩٠٨ م.. وفي العام التالي لتدريسه بالصادقية (سنة ١٣٢٧ هـ سنة ١٩٠٩ م) تطوع للتدريس بجامع الزيتونة.. ثم أحيلت إليه مهمة تنظيم خزائن الكتب الخاصة بهذه الجامعة.. وتم تعيينه، رسميا، مدرسا بجامع الزيتونة.

• وفي سنة ١٣٢٥ هـ سنة ١٩٠٧ م اشترك في تأسيس «الجمعية الزيتونية».. ثم كلف بالخطابة في «الخلدونية» وفي ١١ شوال سنة ١٣٢٧ هـ ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٠٩ م ألقى محاضرة في نادي الجمعية الخلدونية عن «حياة اللغة العربية».. وفي العام التالي (١٣٢٨ هـ سنة ١٩١٠ م) نظم قصيدة يدعو فيها علماء جامع الزيتونة إلى العناية بتنشئة جيل من الكتاب والأدباء والدعاة.. فوضحت مقاصده من وراء الدعوة إلى إحياء قيم «الحرية» و«العروبة» وأدوات «الكتابة» و«الخطابة» في وطن يخضع لاستعمار ينهب خيراته ويستبد بمقدراته ويمسخ هويته العربية الاسلامية!

• ولما قامت الحرب الطرابلسية في ٥ شوال سنة ١٣٢٩ هـ ٢٩ سبتمبر ١٩١١ م بين إيطاليا والدولة العثمانية وزحفت الجيوش الايطالية



الشيخ الخضر حسين

فاحتلت طرابلس وبنغازي . وقف الشيخ الخضر بقلمه ولسانه ، ومن خلال مجلته (السعادة العظمى) يستنفر الأمة لتقاوم الغزو الايطالي ، ويستنهض الدولة العثمانية استخلاص الحق من غاصبيه .. ومن بيانه في ذلك قصيدة مطلعها :

ردوا على مجدنا الذكر الذى ذهبا
يكفي مضاجعنا نوم مضى حقبا !

• ثم سافر إلى الجزائر زائرا لأمهات مدنها ، ومحاضرا فيها .. وعاد إلى تونس يواصل دروسه بالزيتونة ، ونشاطه في المحاضرات والخطابة والكتابة في الاصلاح الاسلامي والنهضة العربية وإذكاء الروح الوطنية ..

صدام مع الاستعمار

• وفي هذه الفترة رفض رغبة الحكومة ضمه إلى سلك القضاء في محكمة فرنسية !

• وكان لابد من الصدام بين سعى الشيخ المناضل وبين سلطات الاستعمار الفرنسي في تونس ، فوجهت هذه السلطات إليه في سنة ١٣٢٩ هـ سنة ١٩١١ م تهمة « بث روح العداء للغرب ، وبخاصة لسلطة الحماية الفرنسية في تونس » .. فلما استشعر الشيخ الخطر على حياته ، غادر تونس إلى الآستانة بحجة الرغبة في زيارة خاله السيد محمد المكي ابن عزوز ، الذى كان يعيش هناك ..وكانت رحلته هذه إلى الآستانة ، عبر مصر ، فدمشق .. لكنه لم يلبث أن حن إلى وطنه تونس ، فعاد إليه ، عبر نابولي في ايطاليا ونشر أخبار رحلته هذه .. وعينته الحكومة عضوا بإحدى لجان التاريخ التونسي . لكن الجو الخانق الذى كان مفروضا على تونس من سلطات الاحتلال الفرنسي دعاه إلى الهجرة ثانية . فقصد إلى دمشق .. وفي طريقه إليها مر بالقاهرة فلبث فيها مدة وجيزة تعرف فيها على كوكبه من العلماء الأعلام المناضلين في سبيل النهضة العربية والإحياء الاسلامي ، منهم : الشيخ طاهر الجزائري (١٢٦٨ ـ ١٣٣٨ هـ ١٨٥٢ ـ ١٩٢٠) والسيد محمد رشيد رضا (١٢٨٢ ـ ١٣٥٤هـ ١٨٦٥ ـ ١٩٣٥ م) والسيد محب الدين الخطيب ، وأحمد تيمور باشا (١٢٨٨ ـ ١٣٤٨ هـ ١٨٧١ ـ ١٩٣٠ م) .. وفي دمشق عين مدرسا للغة العربية في المدرسة السلطانية سنة ١٣٣٠ هـ سنة ١٩١٢ م .. وخلال تلك الفترة سافر إلى القسطنطينية فوصلها يوم إعلان حرب البلقان « الروسية ـ العثمانية » ـ ذى القعدة سنة ١٣٣٠ هـ أكتوبر سنة ١٩١٢ م .. ثم عاد إلى دمشق . ومنها سافر بسكة حديد الحجاز إلى المدينة المنورة سنة ١٣٣١ هـ سنة ١٩١٣ م .. ثم عاد إلى دمشق ..

ومن دمشق سافر إلى الآستانة ، ولقى وزير حربيتها أنور باشا (١٢٩٩ ـ ١٣٤٠ هـ ١٨٨٢ ـ ١٩٢٢ م) فاختاره محررا عربيا بالوزارة .. ولقد أتيحت له الفرصة ليلمس عوامل الفساد التى تفتك بمقومات الدولة العثمانية ، فسجل ذلك شعرا في قصيدته التى نظمها سنة ١٣٣٢ هـ سنة ١٩١٤ م ، والتى يقول فيها :

أدمى فؤادى أن أرى الـ
أقلام ترسف في القيود
فهجرت قوما كنت في
أنظارهم بيت القصيد
وحسبت هذا الشرق لم
يبرح على عهد الرشيد
فإذا المجال كأنه
من ضيقه خلق الوليد !

• وفي سنة ١٣٣٣ هـ سنة ١٩١٥ م أرسله أنور باشا إلى العاصمة الألمانية برلين في مهمة رسمية ، فمكث بها تسعة أشهر ، اجتهد خلالها أن يتعلم اللغة الألمانية .. وعندما تحدث إليه المدير الألماني للقسم الشرقي بوزارة الخارجية الألمانية ، خلال صحبته بقطار ضواحي برلين ، عن قول ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ م) : إن العرب أبعد الناس عن السياسة .. رفض هذا التفسير العنصرى لكلام ابن خلدون ، ودافع عن العرب .. ونظم أبياتا قال فيها :

عذيرى من فتى أزرى بقومى
وفي الأهواء ما يلد الهذاء
سلوا التاريخ عن حكم تملت
رعاياه العدالة والإخاء
هو الفاروق لم يدرك مداه
أمير هز في الدنيا لواء

ومن برلين عاد إلى الآستانة .. وما لبث ان ضاقت به ، فحن إلى دمشق ، وعاد إليها ..

ويدخل السجن

• وفي دمشق اعتقله السفاح أحمد جمال باشا (١٢٨٩ ـ ١٣٤٠ هـ ١٨٧٢ ـ ١٩٢٢ م) الحاكم العام في سورية ، في رمضان سنة ١٣٣٤ هـ يوليو سنة ١٩١٦ م ، لعدة أشهر ، حتى أنقذه من السجن تدخل وزير الحربية العثماني أنور باشا .. فغادر دمشق ، بعد الافراج عنه ، إلى الآستانة ، فأوفده أنور باشا ، ثانية ، إلى برلين سنة ١٣٣٥ هـ سنة ١٩١٧ م ، فالتقى فيها بزعماء الحركات الاسلامية هناك ، من مثل الشيخ عبد العزيز جاويش (١٢٩٣ ـ ١٣٤٧ هـ ١٨٧٦ ـ ١٩٢٩ م) والدكتور عبد الحميد سعيد (١٢٩٩ ـ ١٣٥٩ هـ ١٨٨٢ ـ ١٩٤٠ م) والدكتور أحمد فؤاد . ثم عاد ، بعد فترة طويلة ، إلى الآستانة .. ومنها رجع إلى دمشق ، وإلى التدريس في المدرسة السلطانية بقية سنة ١٣٣٥ هـ وسنة ١٣٣٦ هـ سنة ١٩١٧ م وسنة ١٩١٨ م فشرح لنجباء الطلاب كتاب ابن هشام (٧٠٨ ـ ٧٦١ هـ ١٣٠٩ ـ

■ عقل إسلامي مجدد ومناضل في سبيل النهضة العربية والإحياء الإسلامي

■ كان لسان الأصالة المعبر عن مشكلات المعاصرة وضروراتها

الإمام الأكبر
الشيخ الخضر حسين

١٣٦٠ م) « مغنى اللبيب » فى علم العربية .. وهو الشرح الذى كان الأساس لبحثه فى « القياس وشروطه ومواقفه وأحكامه » .. وهو البحث الذى طوره ، فيما بعد ، كتابا نال به عضوية « هيئة كبار العلماء » بالجامع الأزهر .. وطبع سنة ١٣٥٣ هـ سنة ١٩٣٤ م .

• وفى سنة ١٣٣٧ هـ سنة ١٩١٨ م سافر من دمشق الى الآستانة ، وكانت الحرب العالمية الأولى فى نهاياتها . ومنها توجه الى ألمانيا للمرة الثالثة ، فقضى بها سبعة أشهر ، وكان نذر الزوال للدولة العثمانية تطل فى الأفق .. فعاد من ألمانيا الى دمشق مباشرة ! ..

• وصادفت عودته الى دمشق إقامة الحكم العربى بقيادة فيصل بن الحسين (١٣٠٠ — ١٣٥٢ هـ ١٨٨٣ — ١٩٣٣ م) سنة ١٣٣٨ هـ سنة ١٩١٩ م .. لكن الاحتلال الفرنسى عاجل هذا الأمل العربى سنة ١٣٣٨ هـ سنة ١٩٢٠ م .. ففكر الشيخ ، الذى هاجر من تونس المحتلة بالفرنسيين ، فى العودة إليها بعد أن احتلوا دمشق أيضا ! .. لكنه رحل الى القاهرة وألقى بها عصا ترحاله الذى استمر عشر سنوات ، فاستوطن القاهرة سنة ١٣٣٩ هـ سنة ١٩٢١ م .

• وفى القاهرة أعانه الاستقرار على الانتاج العلمى المنظم ، والنشاط الاصلاحى الدائم ، فوضحت معالم نهجه فى التجديد والاصلاح ، وتكونت من حوله حلقات الطلاب والمريدين ، وأخذت تأثيرات علمه وإصلاحه تلفت إليه أنظار العلماء وطلاب الإصلاح ..

ففى سنة ١٣٤٠ هـ سنة ١٩٢٢ م ألف رسالته « الخيال فى الشعر العربى » .. واشتغل عدة سنوات فى التحقيق لكتب التراث بالقسم الأدبى فى دار الكتب المصرية .. وتجنس بالجنسية المصرية .. ثم تقدم الى امتحان العالمية لجامع الأزهر ، فحصل عليها بجدارة ، وأصبح واحدا من علماء الأزهر الشريف ..

• ولم يكن التجنس بالجنسية المصرية ، ولا الانخراط فى « هيئة كبار العلماء » والاشتغال بالبحث والتحقيق .. لم يكن فى ذلك ما يعوق الشيخ الخضر عن مواصلة النهوض بمسئولياته وواجباته كعالم مسلم ومجاهد عربى .. وأيضا رعاية حقوق وطنه الأصلى تونس ، واشقائه الرازحين ، بالمغرب ، تحت نير الاستعمار الفرنسى .. فنهض الشيخ فى سنة ١٣٤٢ هـ سنة ١٩٢٤ م بتأسيس (جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية) لتكتيل وتحريك جهود أبنائها فى خدمة قضية تحرير هذه البلاد من الاستعمار .. ولقد كانت هذه الجمعية مكان اللقاء والتعاون بين أحرار تلك البلاد ومناضليها ، فضمت عضويتها من المغرب : الفضيل الورتلانى ، ومن الجزائر : البشير الابراهيمى ١٣٠٦ — ١٣٨٥ هـ ١٨٨٩ — ١٩٦٥ م) ومن تونس : الحبيب بورقيبة (١٢٢١ هـ ١٩٠٣ م) ..

معاركه الفكــرية

• وفى سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٢٥ م بدأت معاركه الفكرية الكبرى بكتابه (نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم) .. ولقد كان الشيخ صديقا لأسرة عبد الرازق ، يتردد على منازلهم ، وبينه وبينهم علاقات المودة والاحترام .. وعندما قارب طبع كتاب الشيخ على عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) على التمام ، طلب آل عبد الرازق من الشيخ خضر عناوين زعماء العالم الاسلامى ومفكريه ليهدوا إليهم الكتاب ، فأتاهم بقائمة العناوين من صديقه محب الدين الخطيب .. فلما طبع كتاب (الاسلام وأصول الحكم) أهديت إليه نسخة منه ، ففاجأته أفكار صاحبه .. فعكف على الرد عليه ونقضه ، فطبع الرد فى نفس السنة ، ونفدت طبعته خلال شهر واحد !

وفى العام التالى (سنة ١٣٤٥ هـ سنة ١٩٢٦ م) ظهر كتاب (فى الشعر الجاهلى) للدكتور طه حسين ، فرد عليه الشيخ بكتابه (نقض كتاب فى الشعر الجاهلى) ,فصنع معه ما صنع مع كتاب (الاسلام وأصول الحكم) عندما فنده فقرة فقرة وفكرة فكرة ، مع أدب رفيع فى الحوار وبراعة فى الجدل كشفت عن عقل متمكن ومتمرس فى ميدان البحث والمناظرة ، يغترف صاحبه من معين من العلم لا يفيض .

لقد أدى الرجل بهذين الكتابين حق دين وأمة ، ونهض بفرض كفائى وجب على الأمة جمعاء .. وكان ، بحق ، كما قال هو :

نــاضلت عن حــق يحـاول ذو هـــوى
تصويـــره للنـــاس شــيئـــا منـــكـــرا

• وفى سنة ١٣٤٦ هـ سنة ١٩٢٧ م اشترك مع صديقه العلامة أحمد تيمور باشا فى تأسيس (جمعية الشبان المسلمين) التى جاءت طليعة الجمعيات الاسلامية التى تكونت للتعريف بالاسلام ، والذود عن حضارته فى تلك الحقبة التى تميزت بزحف فكرية « التغريب » على وطن العروبة وعالم الاسلام .. ولقد رأس أول اجتماع تحضيرى لتأسيسها فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٧ م ..

كذلك نهض الشيخ الخضر بتأسيس (جمعية الهداية الاسلامية) ، التى ضمت كوكبة من المثقفين ثقافة دينية ومدنية .. وأصدر لها مجلة (الهداية الاسلامية) .. وكون لها مكتبة عامة ، جعل من مكتبته الخاصة نواة لها .. ولقد امتد نشاط هذه الجمعية الى الأقاليم ، فقامت لها فروع فيها .. وكانت محاضراته المستمرة فيها ومقالاته فى المجلة جهدا منظما ومستمرا قدم من خلاله معالم دعوته للإحياء الاسلامى والنهضة العربية وتحرير ديار العروبة والاسلام .. ولقد جمعت مقالاته ومحاضراته هذه فى كتاب من ثلاثة أجزاء هو (رسائل الاصلاح) ..

• وعندما أصدر الأزهر مجلته ، التى بدأت باسم (نور الاسلام) فى سنة ١٣٤٩ هـ سنة ١٩٣٠ م عهد الى الشيخ الخضر برئاسة تحريرها ، فنهض بهذه المهمة من عددها الأول (محرم سنة ١٣٤٩ هـ مايو سنة ١٩٣٠ م) حتى عدد ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ هـ يوليو سنة ١٩٣٣ م .. عندما استقال من رئاسة تحريرها ، رافضا التعاون مع الأستاذ محمد فريد وجدى (١٢٩٥ — ١٣٧٣ هـ ١٨٧٨ — ١٩٥٤ م) الذى عين — دون إذن الشيخ الخضر — مديرا لتحرير المجلة .. وكان بينهما جدل فكرى يومئذ فى الصحف والمجلات .. ولم تفلح وساطة الشيخ الظواهرى (١٢٩٥ — ١٣٦٣ هـ ١٨٧٨ — ١٩٤٤ م) — شيخ الأزهر — فى إثنائه عن الاستقالة .. وكان معاشه يومئذ أقل من خمسة جنيهات ؟! لكن نشاطه تواصل فى التدريس بكلية أصول الدين .

فى المجمع اللغوى

• وعندما تكون « مجمع اللغة العربية » بالقاهرة فى سنة ١٣٥١ هـ سنة ١٩٣٢ م ، من عشرين عضوا عاملا ، كان الشيخ الخضر واحدا من أقدم هؤلاء الأعضاء ، ومن أكثرهم إنتاجا .. فلقد شارك فى كثير من لجان المجمع

العلمية ، من مثل : لجنة اللهجات .. ولجنة الآداب والفنون الجميلة .. ولجنة دراسات معجم فيشر .. ولجنة الأعلام الجغرافية .. ولجنة الأصول .. ولجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم .. ولجنة المساحة والعمارة .. ولجنة المعجم الوسيط .. الأمر الذى يعكس وزنه العلمي وثقله الفكرى وثقافته الموسوعية وجهده الدءوب فى خدمة الفكر .. كذلك نشرت له مجلة المجمع العديد من الأبحاث ، من مثل :

١ ــ « المجاز والنقل وأثرهما فى حياة اللغة العربية » ..

٢ ــ « شرح قرارات المجمع والاحتجاج بها ، وتكملة مادة لغوية ورد بعضها فى المعجمات ولم ترد بقيتها » .

٣ ــ « الاستشهاد بالحديث فى اللغة » .

٤ ــ « وصف جمع العاقل بصفة فعلاء » .

٥ ــ « اسم المصدر فى المعجم » .

٦ ــ « طرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها فى البلاد العربية » .

٧ ــ « شعر البديع فى نظر الأدباء » .

٨ ــ « من وثق من علماء العربية ومن طعن فيه » .

ولم يقف نشاطه المجمعى عند مجمع القاهرة .. فلقد اختير عضوا بالمجمع العلمى العربى بدمشق .

• وفى سنة ١٣٦٦ هـ سنة ١٩٤٧ م رأس تحرير مجلة (لواء الاسلام) وبدأ فيها تفسيره للقرآن الكريم ..

• وفى سنة ١٣٧٠ هـ سنة ١٩٥١ م نال عضوية « هيئة كبار العلماء » برسالته (القياس فى اللغة العربية) .

وعندما قامت الثورة المصرية فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م كان منصب شيخ الأزهر شاغرا .. فوقع اختيار الثورة وحكومتها على الشيخ الخضر إماما أكبر وشيخا للاسلام ووجها مشرقا لهذه الجامعة العريقة تطل من خلاله على عالم العروبة والاسلام .. فتوجه ثلاثة من الوزراء إلى منزل الشيخ ، بشارع خيرت ، فى يوم الثلاثاء ٢٦ ذى الحجة سنة ١٣٧١ هـ ١٦ سبتمبر سنة ١٩٥٢ م طالبين منه قبول مشيخة الأزهر .. فنهض بالأمانة ما وسعته الطاقة .. وعندما أحس بضغوط تحول بينه وبين تنفيذ ما يريد ، أو تطلب منه تنفيذ ما لا يرضى صمم على الاستقالة فى ٢ جمادى الأولى سنة ١٣٧٣ هـ ٧ يناير سنة ١٩٥٤ م .. قائلا كلمته الشهيرة : « يكفينى كوب لبن وكسرة خبز ، وعلى الدنيا بعدهما العفاء » !! .. ولقد ألمح إلى ملابسات استقالته عندما قال : « إن الأزهر أمانة فى عنقى ، أسلمها ــ حين أسلمها ــ موفورة كاملة ، وإذا لم يتأت أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يدىّ فلا أقل من ألا يحصل له نقص » ! ..

• ومنذ ذلك التاريخ تفرغ للبحث والكتابة والمحاضرة ، حتى وافاه الأجل ، فانتقل إلى جوار ربه مساء يوم الأحد ١٣ رجب سنة ١٣٧٧ هـ ٣ فبراير سنة ١٩٥٨ م .. فشيعه العلماء والفضلاء والعارفون لفضله وعلمه ونضاله ، حتى لقد امتد موكب جنازته ما بين ميدان باب الخلق والجامع الأزهر الشريف !! ..

الكنوز الباقية

ولم يخلف الرجل وراءه من حطام الدنيا شيئا ، حتى لقد دفن ــ بناء على وصيته ــ بمدفن الأسرة التيمورية ، مع صديقه العلامة أحمد باشا تيمور ! .. لكنه خلّف ، غير النضال والأثر الطيب والذكر الحسن والقدوة الصالحة ، كنوزا من الفكر شاهدة على عقله المبدع والمجدد ، وجهده الدؤوب ، وعزمه الذى لم يعرف الوهن أو التقصير .. فغير خطبه ومحاضراته ومقالاته وأبحاثه التى لم تجمع .. خلف لنا هذه المؤلفات :

١ ــ (رسائل الاصلاح ــ فى ثلاثة أجزاء) .

٢ ــ (نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم) .

٣ ــ (نقض كتاب فى الشعر الجاهلى) .

٤ ــ (القياس فى اللغة العربية) .

٥ ــ (الخيال فى الشعر العربى) .

٦ ــ (آداب الحرب فى الاسلام) .

٧ ــ (خواطر الحياة) « ديوان شعره » .

٨ ــ (تعليقات على كتاب « الموافقات » للشاطبى) .

لقد كان ، رحمه الله عقلا إسلاميا مجددا .. ومناضلا فى سبيل النهضة العربية والإحياء الإسلامى ، يتحلى بخلق الأولياء والصديقين والشهداء ..

• فهو فى تونس يواجه الاستبداد الاستعمارى والمسخ الحضارى بالدعوة إلى إحياء العربية لتكون سلاحا فى معركة الأمة من أجل حريتها واستخلاص هويتها العربية الاسلامية .. ويستنهض الشعب بإبراز قيمة ومكانة « الحرية » فى الاسلام .. ويدفع الثمن هجرة من الربوع التى نشأ فيها ! ..

• وهو فى المشرق ، بدمشق ، يواجه تسلط السفاح أحمد جمال باشا ، فيدفع الثمن سجنا وتعذيبا .. فلقد كان عداؤه للاستعمار الأجنبى وللاستبداد الداخلى شديدا ودائما ..

فلا كان من عيش أرى فيه أمتى
تساس بكفىّ غاشم وغريب !

وهو فى مصر يتصدى لخطر الغزو الفكرى ، ممثلا فى تيار « التغريب » ، فينقض كتابى على عبد الرازق وطه حسين .. ويسهم بالفكر ، فى إنهاض العروبة وتجديد الاسلام .. ويسلك سبل التنظيم ــ الاجتماعى والفكرى والقومى والعلمى ــ من خلال (جمعية الهداية الاسلامية) ومجلتها .. و(جمعية تعاون جاليات افريقيا الشمالية) .. و(جمعية الشبان المسلمين) .. و(هيئة كبار العلماء) و(المجامع اللغوية) .. و(القسم الأدبى بدار الكتب المصرية) .. ومجلات (نور الاسلام) و(لواء الاسلام) .. الخ ليجمع الأنصار حول فكره التجديدى ، وليمهد السبل لهذا الفكر كى يوضع فى الممارسة والتطبيق .

لقد جمع إلى وعيه بتراث أمته وكنوزها الحضارية ، وعيا بالتحديات المعاصرة التى تحول بينها وبين النهضة والإحياء ، فكان لسان « الأصالة » ، المعبر عن مشكلات « المعاصرة » وضروراتها يذود عن « فكر الاسلام ومجد العروبة » ، ويدعو إلى النهضة الحديثة المرتكزة على « المعارف والصناعات » ! ..

أبناء هذا العصر ، هل من نهضة
تشفى غليلا حره يتصعد ؟!
هذى البضائع ذللت أدواتها
وسبيلها للعالمين ممهد
إن المعارف والصنائع عُدّة
باب الترقى من سواها موصد !

ولقد أصاب صديقه العالم الفاضل محب الدين الخطيب ، عندما وصفه فقال : « هذا رجل آمن بالاسلام ودعوته ، وأحب من صدر حياته أن يكون من الذين قال الله سبحانه فيهم : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون)[1] [2] .

محمد عمارة

هوامش

(١) فصلت : ٣٠ .

(٢) لقد جمعنا مادة هذه الصفحات عن حياة الشيخ الخضر من مقال صديقه محب الدين الخطيب ، وعنوانه : (شيخ الأزهر السابق : السيد محمد الخضر حسين) مجلة الأزهر عدد شعبان سنة ١٣٧٧ هـ . وكتاب (مشيخة الأزهر) لعلى عبد العظيم جـ ٢ ص ١٤٧ ــ ١٦٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩ م .

كنت حريصاً أن أراه ففاتني

شعر: الدكتور عبد الله الطيب

توفي الأستاذ الدرديري محمد عثمان الصائم ، صائم ديمة ، في شهر سبتمبر من العام الماضي ١٩٨٥ عن تسعة وستين عاماً قضى جلّها في التدريس . وكان يدرس الانجليزية ويتقنها مع معرفة العربية والذوق الأدبي الرفيع . وكان رحمه الله لي صديقاً ، وكان له من قلبي الوداد الخالص .

واتفق أن كتبت كلمة تكريم للاستاذ جمال محمد أحمد ، وزير الخارجية في بلدنا سابقاً وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة بمناسبة بلوغه السبعين ، فذكرت فيها بعض أولي التبريز من أبناء دفعة التدريس الذين كانوا في صفه وتخرجوا معه . وقد عمل الاستاذ جمال في ميدان التدريس زمناً قبل توليه الوزارة . وقد خصصت من هؤلاء الأستاذ الدرديري ببعض الحديث عنه . وكان البعد عن الديار في عملي حيث أعمل بالمغرب بمدينة فاس : قد قطعني عن رؤياه مدة . فكنت حين قدمت لقضاء العطلة بالخرطوم في صيف عام ١٩٨٥ شديد الحرص على أن ألقاه وأطلعه على ماكتبت عنه قبل أن يتاح له نشر . وكان عهدي به يهش لي ما أعرض عليه من نثر أو نظم . وكنت مما أنتفع بتعليقه ونقده ، لحصافته وذوقه وفطنته مع سعة اطلاعه وصدق نصيحته عن بادرة وعن رويّة . فما راعني وأنا أهمّ بالذهاب اليه إلا أن نعاه لي ناع ذكر أنه قد سمع منذ هنيهة خبر وفاته من مذياع أم درمان ، وأكدّ أنه هو الدرديري محمد عثمان الصائم ، صائم ديمة ، الأستاذ المعروف ، من أبناء مدينة « القطينة » ، « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

ذهبت إلى دار العزاء ، مُعَزّياً وحزيناً . لقد سبقني الموت فأخذه قبل أن ألقاه . « لكل أجل كتاب » . تذكرت أبا العلاء المعري إذ جمع أهبته للرحيل من بغداد مشتاقاً الى والدته بمعرة النعمان وإذا بمتعاها . قال في قصيدته التي مطلعها :

هات الحديث عن الزَّوْراء أوهيتا
وموقد النَّار لا تَكْرى بتكْرِتيا

يذكر مادعاه الى فراق بغداد بعد أن علق حبُّها قلبُهُ :

أثارني عنكم أمران ، والدةٌ
لم ألقها وثراء عاد مسفُوتا
أحياهما الله عصْرَ البين ثُمَّ قَضى
قبْلَ الإياب إلى الذُخْرَيْن أن مُوتا

أي أخرجني منكم على عجل أمران . والدتي وكنت أحنّ الى لقائها . ثم هذا المال الذي نقص من يدي ولم أرد أن أسأل أحداً ، عاد مسفوتاً أي ذهب وضاع ، أذهبته الأيام والنفقة ، ثم قال : كان لي مال وكانت والدتي أيام غربتي حية . ثم قضى الله على مالي النفاد وعلى والدتي الأجل حين أردت العودة وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

وتذكرت المعري وحزنت وتعزيت كما يتعزى الحزين المفجوع . قال أبوتمام شيخ الأدب وشاعر العرب :

وقال علي في التعازي لأشعث
وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى عزاءً وحسْبَةً
فتُؤْجَرَ أم تَسْلُو سُلُوَّ البهائم

أخواننا أدباء العصر ـ بل الصواب أن أقول إن من إخواننا أدباء العصر ، من يريدوننا أن ننظم شعر التفعيلة المسمى الحُرّ في عشتروت وسايكي وأرفيوس وباخوس وغير ذلك من أصناف العبارات والألفاظ والمجاز والاستعارة من الكتاب المقدس ومن آلهة يونان والروم وهلم جرا . غير أننا بشرٌ ضعاف . نفرح لخبر السرور من عرس ومولد ونجاح ، ونحزن للنعي وأخبار الكوارث والمصيبات . نغنّي حين نفرح بالتهنئات وحين نحزن بالمرثيات . هكذا كان يفعل الشعراء البشر أولو الإحساس الصادق من العرب . هكذا يفعل الشعراء البشر أولو الإحساس من سائر الناس . صرنا هذه الأيام نخاف خوفاً شديداً من « حساسيات » الشعور بالانتماء الى التقدم عند بعض إخواننا المعاصرين ممن يريدون الشعر دفْقَةً شعورية كما يقولون ويكرهون ماينبزونه بأنه « شعر المناسبات » من ضروب المدح والتهاني والتعازي . هل الحياة بأسرها شيء سوى مناسبات تتلو مناسبات ؟ وما أحسن قول أبي العلاء المعري إذ قال :

وهل يأْبِقُ الانسان من ملك ربّه
فَيَخْرُجَ من أرض له وسماء ؟

وقال أبو الطيب :

لمن تَطْلُب الدنيا إذا لم تُرِدْ بها
سرور مُحبٍّ أو إساءة مُجْرِم ؟

وهل هذا كله إلا من باب المناسبات ؟

لذلك أبعث إليكم سيدي بهذه الكلمة المنظومة في رثاء أخ حبيب كان من الأدباء العلماء المشتغلين بالدرس والتحصيل ومن خيرة رجال التربية ومن ذوي الذوق الجيد في الشعر ، أحزنني فقده فأنطقني بهذه الأبيات لو أن ذلك يشفي غليلا .

نَعَوا لي دِرْدِيري فأحْسَسْتُ حَسْرَةً
على فَقْدِهِ تَنْغَلُ في انغلالها
وكان صديقاً لي وكانَتْ مَوَدَّتي
لهُ فوقَ أن يُلْقَى البِعادُ أزالها
وكُنْتُ حَريصاً أن أراهُ فَفاتَني
كَذاكَ المنايا حِينَ تَرْمي نِبالها

وكَمْ قد قرأْنا الشِّعْرَ أسْمَعُ صَوْتَهُ
يُؤكِّدُ مَعْنَى لَفْظَةٍ وظِلالها
وشِعْرِ « شلي » نَخْتارُ منه غناءَهُ
لقُبَّرةٍ جوُّ الصَّفيرِ خلا لها (١)
فتشدو إذا تَسْمُو وتَسْمُو إذا شَدَتْ
وتُفْرِغُ في لَحْنٍ شدتْهُ انفعالها
لأعلى فأعلى في سماءٍ رَحِيبَةٍ
بها وَجَدَتْ مِلْءَ الجَناحِ مجالها
ألا تِلْكَ أيَّامُ الشَّبابِ تَصرَّمت
تذكَّرْتُ منها طِيبَها وجمالها

وما كنت أدْري أنْ سَيَنْجابُ حُسْنُها
ونَبْلو حُفَالاتِ الوَرَى وحُثالها (٢)
ومَن مِثْلُ دِرْديري عَفافاً ونَجْدَةً
وعِزَّةَ نَفْسٍ لَمْ تَجِدْ مَن أذالها
وكانَ أديباً ناقداً لَمَحاتُهُ
تُفِيدُ عِباراتِ البَيانِ كَمالها

وذا فِطْنَةٍ حتَّى لوَانَّ فَطانَةً
بها أحَدٌ نالَ السَّماءَ لنالها
وكانَ نَجِيباً ألْمَعِيّاً مُهَذَّباً
له نَفْسُ إنسانٍ حَمِدْنا خِصالها
وكانَ أخا الإخْوانِ فيهِ رَوِيَّةٌ
وحَزْمٌ إذا ما كَلِمَةُ الحَقِّ قالها

وقد كانَ دِرديري سَخِيّاً بمالِهِ
إذا مَعْشَرٌ بُخْلٌ بمالٍ أمالها
نَعَوا لي دِرديري فَقَدْ ساءَ رُزْؤُهُ
فُؤادي وأجْرى عَبْرَتي وأجالها
سَقَى قَبْرَ دِرديري سَحابٌ مُجَلْجِلٌ
بِرَحْمَةِ رَبِّي ما تُغِبُّ سِجالها (٣)

ويا عَيْنُ سُحِّي واسْكُبي وتَحَدَّري
عَلَيْهِ وزيدي للدموعِ احتفالها
ولا تَبْخَلي يا عَيْنُ إنَّ مُصابَهُ
عَظيمٌ وكم مِنْ أدْمُعٍ قد أسالها
عزاءً لكم أهْلَ القَطِينَةِ واصبروا
كذا هذهِ الدُّنيا تُرينا زوالها
سقت قَبْرَ دِرديري بن صائم دِيمَةٌ
سَحابَةُ غُفْرانٍ تُديمُ انهلالها
وبُورِكَ في نَجْلِ الفَقِيدِ وآلِهِ
كما كانَ نَجْلَ المكرماتِ وآلها

هوامش

(١) شلي shelly الشاعر الانجليزي (١٧٩٢ ـ ١٨٢٢ م) وهنا إشارة إلى منظومة له في القُبَّرة بضم القاف والباء المشددة المفتوحة وإشارة إلى قول طرفة بن العبد: خلا لك الجو فبيضي واصفري.

(٢) الحُفالة والحُثالة متقاربتا المعنى وكلتاهما من ألفاظ الحديث الشريف.

(٣) السِّجال بكسر السين بوزن الرجال جمع سَجْل بفتح فسكون والسجل الدلو الكبير الذي يستقى به الماء من البئر ومعنى السجال هنا الدفعات من الرحمة والسجال تأتي بمعنى المساجلة أي المباراة وأصلها من الاستقاء من البئر والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين

عاصفة سياسية تهب على الكيان الصهيوني

حيروت حزب أم عصابة؟

بقلم : عصام شريح

الأزمة التي شهدها مؤتمر حزب « حيروت » الصهيوني (المؤتمر الخامس عشر) انتهت بشكل مفجع حقاً ، تماماً كما يليق بالعصابات التي تلبس أقنعة « الحرية » والديمقراطية والحزبية ، لتخفي وراءها حقيقتها ، فالمؤتمر انتهى بنتيجة واحدة هي التشرذم ، وقد انعكس هذا التشرذم في محورين رئيسيين هما : محور اسحق شامير ـ موشي أرنيس ومحور ليفي ـ أريئيل شارون ، ويمكن القول ان هذين المحورين ينقسمان بدورهما الى محورين آخرين . وبذلك يكون قد ظهر على سطح الأحداث التي مرّ بها المؤتمر ، أربعة محاور ، حيث لكل من هؤلاء الأشخاص الأربعة مخططه وطموحه الخاص للوصول الى رئاسة حزب حيروت ، وبالتالي الى رئاسة الحكومة الاسرائيلية .

بدأ مؤتمر حزب حيروت (الخامس عشر) أعماله بتاريخ ١٠ ـ ٣ ـ ١٩٨٦ ، وكان منتظرا أن يستمر لمدة عشرة أيام أو أسبوع على أقل تقدير ، لكنه لم يستطع الصمود لأكثر من أربعة أيام ، فما أن انتهت جلسته الافتتاحية ، حتى هيمن على أعماله الصراع على السلطة ، بين خلفاء مناحم بيغن الذي انسحب من الحياة السياسية في الكيان الصهيوني ، في عام ١٩٨٤ ، بعد اخفاق عملية غزو لبنان في تحقيق أهدافها السياسية .

وبالطبع فإن الصراع لم يكن حول العقيدة ، حيث يتبارى جميع القياديين في حزب حيروت في اتخاذ مواقف متطرفة ضد العرب ، والتمسك بما يصفونه « بأرض اسرائيل الكبرى ـ من الفرات الى النيل » وإنما كان صراعاً على خلافة مناحم بيغن ، الذي قاد الحزب على مدى ٣٥ عاماً ، لأن الوصول الى رئاسة حزب حيروت هو الطريق الى رئاسة الحكومة .

أما المتصارعون فقد انقسموا الى معسكرين هما : معسكر اسحق شامير ـ موشي أرينس ومعهما بنيامين بيغن (ابن مناحم بيغن) ، ومعسكر دافيد ليفي ـ أريئيل شارون ، بيد أن كل واحد من هؤلاء يمثل في الواقع معسكراً قائماً بذاته ، وإن كانت موازين القوى والطموحات الشخصية قد فرضت قيام هذين المعسكرين .

وبالنسبة لشامير ، فهو يعتقد بأنه الأجدر برئاسة الحزب ، نظراً لتاريخه « العريق » في عصابتي « الأتسل وليحي » قبل قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين المغتصبة ، اللتين انبثق عنهما حزب حيروت بعد قيام هذا الكيان ، ومن هذا المنطلق فهو يرفض التخلي عن رئاسة الحزب خصوصاً وأنه بمقتضى « اتفاقية التناوب » بينه وبين شمعون بيريس رئيس حزب العمل ، سيصبح هو رئيس الحكومة في مطلع تشرين الأول (أكتوبر) القادم . أما حليفه موشي أرنيس ، فهو يأمل في التخلص من شامير بعد بضع سنوات ، والحلول مكانه في رئاسة حيروت ، ويأتي بنيامين بيغن ثالثاً في هذا المعسكر ، حيث يطمح هو الآخر التدرج في المسؤوليات القيادية للحزب ، طمعاً في الزعامة في المستقبل ، مستفيداً من الارث الذي تركه والده وراءه كأحد أبرز المتطرفين في الحركة الصهيونية ككل وليس في حيروت فقط .

أما في المعسكر الثاني ، فيقف دافيد ليفي في الطليعة كمنافس رئيسي وحقيقي لاسحق شامير على رئاسة الحزب ، وبالتالي على رئاسة الحكومة في تشرين الأول (أكتوبر) المقبل ، ثم يأتي أريئيل شارون الطامع بأن يصبح « ملك اسرائيل » مروراً برئاسة حيروت فرئاسة الحكومة ، وقد يبدو الصراع داخل حيروت ضمن هذا الوصف ، طبيعياً وعادياً ، كما هو شأن الصراع في جميع الأحزاب ، لكن ظهرت مفارقتان خطيرتان في مؤتمر حزب حيروت ، من شأنهما تقويض الحزب من أساسه ، أو انقسامه الى أكثر من حزب واحد .

أما المفارقة الأولى فهي الاستقطاب الطائفي داخل المؤتمر ، حيث احتشد معظم المندوبين حول دافيد ليفي ـ لكونه يهودياً شرقياً (مغربي الأصل) . والمفارقة الثانية هي اللهجة الحادة التي تخاطب بها المتنافسون والمتصارعون ، خلال الجلسات على قصرها ، وبالتالي إخفاق المؤتمر في انتخاب رئيس جديد له ، مما حدا باسحاق شامير الى إرجاء أعماله الى أجل غير مسمى .

مؤتمر .. أم سيرك ؟

وفي الواقع فان مؤتمر حزب حيروت ، كان كما وصفه شامير نفسه : « سيركاً تميّز

بصراعات وحشية على السلطة ». فقد تابع الاسرائيليون على شاشات التليفزيون وقائع مناقشات المؤتمر خلال الأيام الثلاثة الأولى. وقبل انفضاضه بطريقة فوضوية في اليوم الرابع. وهي وقائع وصفتها صحيفة « معاريف » بأنها « مخزية وعارٌ على الحياة السياسية في اسرائيل ». فيما أشار مراقبون سياسيون ومسؤولون اسرائيليون الى أن حزب حيروت، لن يكتب له البقاء بعد هذا المؤتمر على الأرجح.

فالمؤتمر تميّز بالمشاجرات والتشاحن الى حد تبادل الاهانات والشتائم علناً. وفي الليلة الأخيرة من أيامه، تحولت قاعة المؤتمر الى ساحة قتال واشتباكات بالأيدي. وتطايرت الكراسي والطاولات والأوراق ومكبرات الصوت، وعلا الضجيج والصراخ، وانطلقت التهديدات من كل جانب، ونال « روني بيلو » ـ نائب وزير الخارجية في الحكومة الاسرائيلية الحالية، لكمة من أحد المندوبين الموالين لدافيد ليفي، بينما كان بيلو يتحدث أمام المؤتمرين من على منصّة الخطابة. وهرب رئيس المؤتمر « موشي قصاب » وزيرالعمل والرفاه الاجتماعي. وهو من أنصار شامير الذي اجتذبه من معسكر ليفي بتعيينه في هذا المنصب. هرب من قاعة المؤتمر، وقام أنصار ليفي بانتخاب عضو الكنيست « دافيد مغين » رئيساً للمؤتمر بدلاً من موشي قصّاب، وراح هذا يدير الجلسات وهو يقف على مسرح يسيطر عليه معسكر ليفي ـ شارون. كما منع دافيد ليفي وأريئيل شارون، اسحق شامير من القاء كلمته في الجلسة الأخيرة. ولم يستطع هذا الخروج من قاعة المؤتمر إلا بمساعدة رجال الشرطة.

وفي الخارج بدأت حملات القذف والتشهير والشتائم بين قادة المعسكرين، خاصة بين شامير وليفي. ففي حديث أدلى به شامير الى التليفزيون الاسرائيلي، وصف دافيد ليفي، بأنه « رجل شرّير وكذّاب وزعيم جماعة عديمة الذمّة: ومصمّم على الانقضاض لتولي زعامة حزب حيروت ». وتساءل شامير علناً وبمرارة: « كيف لي أن أحكم اسرائيل، وأنا لا أستطيع أن أتحكم بحزبي ؟!! ».

وقد ردّ ليفي عليه بقوله: « كيف يمكن لشامير أن يتطلع لرئاسة الحكومة، وهو لايتمتع حتى بالأغلبية بين صفوف المندوبين في حزبه ؟ ». وبالطبع فان هذه الاشارة كافية لطمع ليفي في الوصول الى رئاسة الحكومة الاسرائيلية، وقد بات من غير المستبعد أن يعترض ليفي على « اتفاق التناوب » على رئاسة الحكومة المعقود بين شمعون بيريس واسحق شامير، والذي ينصّ على أن اسحق شامير لاغيره هو المعني بهذا الاتفاق. وذلك سيستلزم من بيريس، إما تشكيل حكومة مصغرة إذا حظي بتأييد الأحزاب الدينية في الكنيست، أو الاعلان عن إجراء انتخابات عامة مبكرة في الكيان الصهيوني.

وقد انعكست النتائج السلبية التي وصل إليها مؤتمر حزب حيروت على الحياة السياسية الاسرائيلية ككل، نظراً لأن هذا الحزب يشكل في الواقع الى جانب حزب العمل، الأعمدة الأساسية التي قام ويقوم عليها الكيان الصهيوني. حيث وصل الاضطراب السياسي الى الكنيست. وأدت المشادات والصراخ المتواصل من أعضاء حزب حيروت بصورة خاصة. الى انفضاض جلسة الكنيست قبل موعدها المقرر بتاريخ ٢٠ ـ ٣ ـ ١٩٨٦، فقد قاطع النواب عن حزب حيروت، أحد أعضاء حزب العمل، الذي أخذ يشكك خلال جلسة الكنيست بسلطة وصلاحيات وزير الخارجية الحالي اسحق شامير كزعيم لحزب حيروت، في تبادل منصبه مع شمعون بيريس بعد ستة



■ الصراع بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين يُهيمن على المؤتمر


شامير

حيروت
حزب أم عصابة؟

أشهر، وكان مما قاله «يوسي سريد» (من حركة حقوق المواطن) «هل نجرؤ على تسليم زمام اسرائيل لشخص يفتقر إلى السيطرة على الشياطين، التي خرجت من عنق الزجاجة خلال جلسات مؤتمر حيروت؟!».

لكن.. هناك سؤال: ماهو حزب حيروت هذا؟!

تأسيس حزب حيروت

تأسس حزب حيروت في تموز (يوليو) ١٩٤٨، بعد أن حلّت «المنظمة العسكرية القومية» ـ أتسل (أرغون تسفاي لئومي) ـ نفسها، وذلك تنفيذاً لقرار رئيس حكومة العدو آنذاك دافيد بن غوريون، القاضي بحل جميع المنظمات العسكرية الصهيونية، ودمجها في اطار «الجيش الاسرائيلي الجديد». غير أن جذور حزب حيروت تعود في الواقع إلى ماسُمّي بالتيار الاصلاحي في الحركة الصهيونية، الذي تزعمه فلاديمير جابوتنسكي داخل المنظمة الصهيونية العالمية، ومازال امتدادات الحزب خارج الكيان الصهيوني، تحمل اسم «رابطة الصهيونيين الاصلاحيين». ويعتبر جابوتنسكي الأب الروحي لحزب حيروت، فهو الذي وضع الأسس الأيديولوجية والسياسية والاقتصادية ـ الاجتماعية، بما فيها سياسة العنف والارهاب، للتيار اليميني في الحركة الصهيونية. وقد بقي اليمين الصهيوني غير مُؤَطّر تنظيمياً حتى عام ١٩٤٥، حيث عقد انصار هذا التيار، مؤتمراً لهم في باريس، قرروا فيه، إنشاء تنظيم صهيوني خاص بهم، عُرف باسم «منظمة الصهيونيين الاصلاحية». وكان قد حصل انشقاق داخل منظمة الهاغانا العسكرية الصهيونية في مطلع الثلاثينات، تشكلت في إثره منظمة عسكرية جديدة، سميت «الهاغانا ـ ب» ثم «الهاغانا القومية»، وأخذت هذه المنظمة تقترب تدريجياً من اليمين ثم غيّرت اسمها إلى «المنظمة العسكرية القومية ـ أرغون تسفاي لئومي، واختصارها (أتسل)».

وعند تأسيس حزب حيروت في عام ١٩٤٨، كان معظم كوادره الرئيسيين من أعضاء هذه المنظمة سابقاً، بمن فيهم زعيم الحزب مناحم بيغن، الذي تولى قيادة «الأتسل» وأعاد تنظيمها في عام ١٩٤٣، بعد أن أصابها التفكك، نتيجة للضربات التي أنزلها بها البريطانيون وبسبب الانشقاق الذي وقع في صفوفها في حزيران (يونيو) ١٩٤٠، وقد أدى ذلك الانشقاق، إلى تأسيس منظمة عسكرية ارهابية منافسة عُرفت باسم «ليحي» (المحاربون من أجل حرية اسرائيل) بزعامة ابراهام شتيرن.

ومنذ تشكيل حزب حيروت في عام ١٩٤٨ وحتى وصوله إلى السلطة في عام ١٩٧٧، كان هذا الحزب، حزب المعارضة الرئيسي في الكنيست الصهيوني. كما أنه منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٥، لم تحدث تغييرات جوهرية في تركيبة حزب حيروت التنظيمية ولا في قيادته. لكن بعد ذلك، تعرض حزب حيروت لعدة هزّات داخلية. كان أولها المحاولة الفاشلة، التي قام بها المحامي شموئيل تمير، لاقصاء بيغن عن زعامة الحزب في المؤتمر الثامن الذي عقد في عام ١٩٦٦، وقد انتهت تلك المحاولة، بفصل تمير وكبار مؤيديه، مما دفع هؤلاء إلى الانشقاق وتشكيل حزب جديد باسم «المركز الحر ـ همركاز هحوفشي».

وفي عام ١٩٦٩، انضم اللواء (الاحتياطي) عيزر فايتسمن، إلى حزب حيروت، ومثّله في الحكومة الائتلافية الثانية، وفي المؤتمر العاشر للحزب (١٩٧٠)، انتخب فايتسمن رئيساً لادارة حيروت على الرغم من حداثة عضويته فيه، ومنذ ذلك الوقت، بدأت تظهر خلافات بين نهج فايتسمن ونهج زعيم الحزب السابق مناحم بيغن، كان دافعها الرئيسي سعي فايتسمن المثابر لتعزيز نفوذه داخل الحزب، الأمر الذي دفع ببيغن للتصدي بحزم لمحاولات فايتسمن هذه، وقد نجح بيغن في هذه المواجهة، وحمل فايتسمن على تقديم استقالته من منصب رئيس إدارة الحركة، في مؤتمرها الحادي عشر، الذي عقد في عام ١٩٧٢، ثم اعتزاله العمل الحزبي ـ السياسي لبعض الوقت، الأمر الذي رسخ زعامة بيغن مجدداً، حيث انتخبه المؤتمر رئيساً للحركة ولإدارتها.

وإذا كان الصراع في الحالتين السابقتين، قد اقتصر في جوهره، على مراكز النفوذ والزعامة في الحزب، فان استقالة عضو الكنيست بنيامين هليفي ـ أحد الوجوه البارزة في الحزب ـ عشية المؤتمر الثاني عشر الذي عقد في عام ١٩٧٥، قد سلّط الأضواء للمرة الأولى على الثوابت الأساسية في أيديولوجية الحزب، فقد عزا هليفي استقالته إلى عدة أسباب أهمها: اتهامه لحزب حيروت وقادته بالجمود الفكري والسياسي، والاخفاق في التكيّف مع المتغيّرات السياسية المستجدة. لكن استقالة هليفي لم تجد لها أصداء في ذلك المؤتمر، الذي أقرّ مشروعاً للسلام، أكد فيه الحزب مجدداً على ثبات منطلقاته الأيديولوجية ومواقفه السياسية، كما كانت عليه في المؤتمرات السابقة.

وبعد صعود التكتل «الليكود» إلى الحكم، شهد حزب حيروت، عدة تطورات، كان أبرزها: انضمام حركة «شلومتسيون ـ سلام صهيون» برئاسة أرئيل شارون إلى حيروت في أعقاب انتخابات عام ١٩٧٧، واستقالة عيزر فايتسمن في أيار (مايو) من عام ١٩٨٠، من منصب وزير الحرب، ثم طرده من حزب حيروت في أواخر السنة نفسها.

وخلافاً للمرة السابقة (١٩٧٢)، لم يكن لاستقالة فايتسمن ولا لطرده من الحزب، انعكاسات مهمة. حيث كان فايتسمن ضعيفاً على الصعيد التنظيمي، وذلك على الرغم مما كان يتمتع به من مكانة شعبية جيدة، ومن ناحية أخرى، كانت سيطرة بيغن وانصاره على مؤسسات حزب حيروت شبه مطلقة. بالاضافة إلى أن فايتسمن لم يحاول تعزيز مكانته داخل تلك المؤسسات، بل كان يتجاهلها في معظم تصرفاته. غير أن التطور الأبرز الذي شهده حزب حيروت بعد تسلم الليكود للحكم، كان تلك التحركات الداخلية، التي أخذت شكل مجموعات ضغط من مواقع على يمين بيغن نفسه خصوصاً بعد الشروع في ماوصف بمفاوضات السلام مع مصر.

الهيكل التنظيمي

من الملاحظ في الحياة السياسية في الكيان الصهيوني، أن حزب حيروت كان حتى السنتين الماضيتين، أكثر الأحزاب الاسرائيلية تمسكاً بالنظام الداخلي للحزب، خاصة بالنسبة للتقيّد بمواعيد انعقاد المؤتمرات العامة. أما هيكلية حيروت التنظيمية فتقوم على مايلي:

١ ــ المؤتمر : ويُعتبر السلطة العليا للحزب . ويُعقد مرة كل سنتين تقريباً باستثناء المؤتمر الأخير (الخامس عشر) الذي تأخر انعقاده بسبب اعتزال مناحم بيغن السياسة وتواريه عن الأنظار منذ عام ١٩٨٣ . وكان المؤتمر الرابع عشر قد عُقد في عام ١٩٧٩ والمؤتمر ينتخب عادة اللجنة المركزية ، ومن مهامّه أيضاً إقرار برامج الحزب ومشاريعه .

٢ ــ اللجنة المركزية : وهي أعلى سلطة في الحزب خلال الفترة الفاصلة بين مؤتمرين ، وليس هناك مواعيد ثابتة لعقد اجتماعها ، بل تُستدعى إلى الاجتماع كلما اقتضت الحاجة البتّ في الأمور التي تكون موضع خلاف أو تتطلب تحديد موقف ، وهي التي تنتخب إدارة الحزب وأمانتها العامة ، وكذلك مرشحيها للانتخابات العامة .

٣ ــ الادارة : وهي تلي اللجنة المركزية في التسلسل الهرمي التنظيمي ، والادارة هي التي تقرر دعوة اللجنة المركزية للانعقاد ، وتحوّل إليها القضايا التي تتطلب مصادقتها عليها .

٤ ــ الأمانة العامة : وهي عبارة عن الجهاز التنفيذي والمنسّق لأعمال الهيئات الأخرى ، وتعالج الشؤون الحزبية اليومية .

٥ ــ الكتلة البرلمانية : وهي تتكون من أعضاء حزب حيروت الذين تم انتخابهم على اللائحة المشتركة لحزب الليكود (التكتل) ، ومن مهامها اتخاذ القرارات في الشؤون المطروحة على جدول أعمال الكنيست ، وتنسيق العمل بين اعضائها وبين النواب من أعضاء الأحزاب الأخرى المنضوية تحت لواء الليكود .

أما عدد أعضاء هذه المؤسسات ، فغير ثابت : وهو يتغير بين مؤتمر وآخر : ففي المؤتمر (الخامس عشر) بلغ عدد الأعضاء المشاركين ٢٠٠٠ عضو ، فيما بلغ عددهم في المؤتمر الرابع عشر ١٤٥٠ عضواً . وبالنسبة للجنة المركزية التي انتخبت في المؤتمر الرابع عشر . فقد بلغ عدد أعضائها حوالي ٩٠٠ عضو ، بينما بلغ عدد أعضاء الادارة نحو ١٢٠ عضواً .

بالاضافة إلى ذلك ، هناك تنظيم عمالي لحزب حيروت ، يعمل في إطار حزب الليكود داخل الهستدروت (النقابات العامة الاسرائيلية) . ويعرف هذا التنظيم باسم « كتلة الأزرق ــ الأبيض » (اشارة إلى أن الحزب لايفرّق بين العمال وأرباب العمل) . ورئيس كتلة حيروت في الهستدروت هو نفسه رئيس كتلة الليكود ، وقد شغل هذا المنصب لفترة طويلة دافيد ليفي ، وخلفه فيه النائب في الكنيست مئير كوهن ، بعد دخول الأول الوزارة .

المفارقة الرئيسية

بعد كل هذا .. يبقى أن نضع أصابعنا على العلّة الرئيسية التي يشكو منها حزب حيروت ، والتي أدت حتى الآن إلى تشرذمه ، وتهدد بالمستقبل بانهياره .. فقد كان واضحاً من سياق أعمال المؤتمر أن اليهود الشرقيين « السفاردايم » ، أصبحوا يتمتعون بنفوذ متزايد داخل « حيروت » ، وقد أدرك اسحق شامير هذا الخطر الزاحف ضد سيطرة اليهود الغربيين « الاشكنازايم » على الحزب ، حيث قال : إن هناك كثيرين من اليهود الشرقيين بين انصاره ، بيْد أنه حذر من أي محاولة للاطاحة بقادة « حيروت » المخضرمين ومعظمهم من اليهود الغربيين المتحدرين من أصل أوروبي ، لأن من شأن مثل تلك المحاولات أن تؤدي إلى تدمير الحزب .

وفي الحقيقة ، فان ظاهرة الاستقطاب الطائفي في الكيان الصهيوني ، أصبحت ظاهرة مهيمنة على الحياة السياسية في هذا الكيان ، وقد كانت هذه الظاهرة واضحة كل الوضوح في انتخابات الكنيست العاشر ثم الكنيست الحادي عشر ، حيث صوتت أغلبية الاشكنازايم لحزب العمل والأحزاب المؤتلفة معه في التجمّع « المعراخ » ، فيما صوتت غالبية ساحقة من السفاردايم لحزب حيروت والأحزاب الصغيرة المنضوية معه في التكتل « الليكود » . وقد جاهر اليهود الشرقيين في تفسير انحيازهم المطلق إلى « الليكود » بالقول : أنهم مع « الليكود » ليس حباً به ، وإنما نكاية وانتقاماً من « المعراخ » ، وحزب العمل ، الذي حكم اسرائيل على مدى ثلاثين عاماً كان ديْدنه خلالها اضطهاد اليهود الشرقيين .



موشيه أرنس — دافيد ليفي

■ شامير : مؤتمر الحزب تحوّل إلى سيرك وليفي رجل شرّير وزعيم جماعة عديمة الذمّة

ومع أن حزب العمل أخذ في السنوات الأخيرة بمحاولة اجتذاب بعض اليهود الشرقيين إلى صفوفه ، ودفع بعضهم إلى مراكز قيادية ، إلا أنه لم يخرج في هذه المحاولة عن إطار المناورة السياسية الذكية . وبالفعل فقد وضع حزب العمل اسحق نافون المغربي الأصل في رئاسة الكيان الصهيوني ، وهو اليوم من الوزراء والقياديين البارزين في حزب العمل ، كما أتاح الفرصة لـ « يسرائيل كيسار » ، وهو من أصل يمني الاصل ، للوصول إلى منصب الأمين العام للهستدروت . لكن اليهود الغربيين مايزالون في الواقع ، يحظون بحصة الأسد في جميع المرافق الرئيسية والحيوية في الكيان الصهيوني (٨٦ بالمئة من مناصب الحكومة ، و٦٩ بالمئة في الكنيست ، و١٠٠ بالمئة من رئاسة بلديات المدن الثلاثة الكبرى ؛ ٨٠ بالمئة من رئاسة البلديات المتوسطة ؛ و٦٥ بالمئة من مجموع رؤساء المجالس المحلية اليهودية ، وبنحو ٨٠ بالمئة من أعضاء لجنة التنسيق « الهستدروت ») . وهذه الهيمنة لليهود الغربيين وبهذا الحجم ، تظهر أن الأشكنازايم هم القوة الاقتصادية والأكاديمية والثقافية والفنية وبالتالي السياسية في الكيان الصهيوني . لكن من الواضح كذلك أن القوة الانتخابية الحاسمة قد أصبحت في يد السفاردايم ، الذي تعي قياداتهم هذا الواقع ، وقد بدأت في استخدامها ، من أجل الوصول إلى المناصب القيادية الحقيقية والمؤثرة في تغيير الأوضاع الاقتصادية والسياسية لليهود الشرقيين ، ويقدم لنا الصراع الذي حفل به مؤتمر حزب حيروت بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين ، وطغيان الشرقيين على جلسات المؤتمر ، أحد الفصول الهامة ، على طريق سعي السفاردايم للمشاركة بشكل فعلي ، في السلطة ، إن لم يكن في انتزاعها تماما من أيدي الاشكنازايم . وهذه الظاهرة يجب أن تسترعي انتباه صانعي القرار العربي .

عصام شريح

عشر مرايا.. لوجه واحد

(١)

وردة الوقت

اشعليني .. في ثناياكِ شجَن
وابذري ، العشقَ على ساحِ الوطنْ
وردةٌ للوقتِ .. يا أنتِ .. لِمَنْ
أشتكي الوقتَ .. وبالله .. لمنْ

(٢)

وليـــد

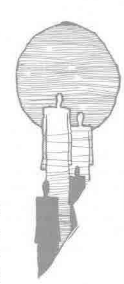
في زَمَنٍ .. ينْسلُ كالرملِ بينَ الأصابعْ
ينسل كالماءِ بينَ الاصابعْ
كنا معا
ووليدي تُغنّي
نقاسِمُ أصواتنا الأغنيات
وخبزَ الطفولةْ

كان بيني .. وبيني ..
حوارٌ لطفلٍ .. بكى نَحْبَهُ
ثم مات ..
وكنتُ لوحدي .. أغني
أغني .. لوحدي

(٣)

لغـــة

في زمن الردة..
واللغة المعوجة .. ودكاكين البلغاء
تزداد الشدة
ويغنى الطيرُ .. على استحياء



(٤)

جـــوع

مبللٌ بالردي
مبللٌ .. بالخنوعْ
ضاع رجعُ الصدى
جوعٌ .. وجوعٌ .. وجوعٌ

(٥)

وطـــن

أغمد سيفك .. ياوطني
أغمد سيفك
فكلانا ..
أضحى مقتولا ..
والقاتل يبني
فتحسس .. غمدك
فتحسس .. غمدك

(٦)

حـــلم

ها هو ذا الصباح
تدلى من الحلم
أرجوحة من حنين
أنشودة للحياة..
تباسق العشق ..
في داخلي
نخلةٌ .. نخلتين
أفئدةٌ وشفاه
وترتيلةٌ .. وصلاة

شعر: أحمد عائل فقيه

(٧)

حجـــــر

لو أنَّ...
وماذا تجدي لو أنَّ؟
لو أني
حـجـــــر..

(٨)

زمـــــن

يازمانَ النزق
انحنى الآن .. أو فاختنق
لم يعد للدماء.. وريدٌ
لم يعد في الوريد.. دماءٌ
وطن من ورق
وطن يحتـــرق ..

(٩)

صهيـــل

لم يصهل الرمل ..
مذ غادرت روحنا جسد الكبرياء
آن ..
تبكي الخيـــول
آن ..
تبكي السهـــول
ضاع صوت النداء
وأدلهم المساء

(١٠)

إنبثـــاق

أبتني للوطن ..
« تضاريسه » الآن



أنت أشعلتَ ..
« فاصلةَ الارتيابْ »
وأوغلتَ في ..
جسد المرحلةْ
كتبتَ احتراقَ الرمالِ
نكهةً للترابْ
وشمرتَ عن ساعدِ المسألة ..
لك اعتناقُ المحبينْ
لك انبثاقُ المدنْ
لك انثيال الحنينْ
لك اختراق السفنْ
لك الشعرِ والأغنياتْ
لك......
إخضرارُ السنبلةْ

تيمم برمل الجزيرة .. يا صاحبي
وتيمم ترى ..
سحب القوم عند السرى
أمطرت في الثرى
فصباحـــا
صبـــاحا ..
صباح القرى ..

« جيزان ــ السعودية »

إضاءات :

١ ــ إبن الشاعر.
٢ ــ تضمين لقول الشاعر العربي/ تميم بن مقبل
مـــا أطـيب العيش لـــو أن الفـتـى حجـــر
تنبـــو الحـــوادث عنـــه وهـــو ملمـــوم

مع العصافير..



بقلم :
الدكتور عبد السلام العجيلي

هو صحفي شاب جاء ليجري معي حواراً ينشره في مجلة سماها لي. قلت له : ما أكثر ما حاورني زملاؤك. ملأت بأجوبتي على أسئلتهم كتاباً ظهرت منه طبعتان، وأنا أستعد لاصدار طبعته الثالثة.

قال : أعرف. أنه كتابك «أشياء شخصية». ولكني هيأت لك أسئلة لم يلقها عليك أحد قبلي.

قلت : هات لأرى.

قال : أبدأ بسؤالك عن أهم حدث أثر فيك في هذه الأيام، وعلى وجه الدقة في الأيام السبعة التي آخرها هذا اليوم.

لم أتردد في الجواب. قلت : إنه منظر رأيته في هذا الصباح. فتحت عيني عندما استيقظت فرأيت على حافة شرفة غرفة النوم عصفوراً دورياً يرفرف بجناحيه ويزقزق بجذل. هذا هو الحدث الذي تسأل عنه.

قال الصحفي الشاب : أرجوك.... أنت تسخر مني.

قلت : ولماذا تظن بي هذا الظن ؟

قال : أسألك عن أسبوع اهتز فيه العالم من كل جوانبه بالأحداث والانقلابات والكوارث، وتذكر لي عصفوراً يزقزق في الصباح ؟

قلت : الأحداث والانقلابات والكوارث التي تعددها أمور تكدر العيش ويضيق لها الصدر. تأثيرها ياعزيزي سلبي ومزعج. أما منظر ذلك الضيف الصباحي على افريز الشرفة فقد ملأ نفسي بهجة طردت منها المنغصات. لو رأيته مثلي لصدقت ماأقوله لك. تارة كان يرفع رأسه مزقزقاً، وتارة كان يلوي عنقه ويدخل منقاره الوردي تحت جناحه ذي الريش الرمادي المخطط بخطوط ترابية وسوداء كأنه يدغدغ به أعطافه. وأحياناً كان يدور على نفسه وهو يرفرف بجناحيه كأنه يهم بالطيران، دون أن يطير. يحرك رأسه الناعم بحركات عصبية، دقيقة ورشيقة، تجلوالهم عن القلب...

قال : ما أدق ملاحظتك لحركات العصفور...

قلت : ثم لاتنس أنه أول عصفور أراه في العراء منذ شهور. إنه بشير الربيع بعد أيام الشتاء الباردة. فيما مضى كان الخطاف هو الذي ينبئنا بقدوم الدفء وازدهار الشجر. ومنذ صرنا نسكن هذه البيوت الاسمنتية ذات السقوف الملساء المستوية التي لايجد الخطاف فيها فجوة يبني عندها عشه هجرتنا الخطاطيف إلى غير رجعة. لم يبق لنا إلا العصفور الدوري ليحمل إلينا بشرى قدوم الربيع...

وهنا قاطعني الفتى قائلاً : يبدو أنك كبير الولع بالعصافير.

فسألته : وأنت ؟ ألا تحبها ؟

فسكت قليلاً قبل أن يرد علي بقوله : بلى، أحبها... ولاسيما عصافير التين الصغيرة المشوية، تلك التي ليس لعظامها قوام، فهي تذوب تحت الأضراس كأنها الزبدة.

لم يكن يمزح فيما نطق به، بل كان يتكلم في جد ملأني حنقاً. قلت متعجباً :

ــ ياله من حب !

فأضاف يقول، غير منتبه إلى نبرة النقمة في تعجبي :

ــ ثم إني أحب صيد الطيور بمختلف أشكالها. كنت، حتى وقت قريب، أخرج أيام الجمعة إلى البساتين حاملاً بارودتي، وأعود في المساء مليئ الجعبة منها. وأنت ألا تحب الصيد ؟

وجدتني ابتسم على الرغم مني وقد تحول حنقي إلى سخرية، وقلت :

ــ حقاً إنها أسئلة لم يسبقك إليها أحد.

فبدا عليه الزهو مما اعتبره اطراء له، وقال : ألم أخبرك ؟ إذن فليكن سؤالي الثاني هو الآتي : أنت تحب الصيد، ومثل كل صياد لابد أنك بدأت بصيد العصافير، فما هي ذكرياتك عن صيدك الأول ؟

* * *

وبينما راح هو يحكم توجيه آلة التسجيل التي كان يلتقط بها حديثنا إلي وجدتني وقد تلاشى الحنق من نفسي وعدت إلى طبيعتي التي أتقبل فيها الناس على علاتهم وأخاطبهم على قدر عقولهم. لامانع من أن أسير مع هذا الشاب إلى النهاية مادمت قد فتحت له بابي ورضيت بمحاورته. قلت له :

ــ أخطأت ياصاحبي حين جزمت بأني أحب الصيد. أما حين قلت بأني صدت العصافير في بدء حياتي فقد أصبت. كان عصفوراً واحداً، صرعته بطلقة مفردة فقطع مصرعه مابيني وبين الصيد قطعاً باتاً.

سألني : وكيف ؟

قلت : سأخبرك. كان في بيت أهلي القديم بضع شجرات رمان تزقزق على أغصانها العصافير الدورية، آمنة من أن يتعرض لها أحد بسوء. وكنت صبياً فرحاً ببندقية الخردق الصغيرة التي اشتريتها بمدخراتي وحملتها لأجربها في عصافير دارنا الآلفة لشجرات الرمان. توب !

طلقة واحدة، تطايرت بها العصافير من بين الأغصان فزعة، في جلبة وزقزقة صارخة، مخلفة واحداً منها تحت إحدى الشجرات مضرجاً بدمه. وحين تقدمت لأتناول ذلك العصفور سمعت من ورائي قهقهة المرحوم والدي، ويبدو أنه كان

يراقبني ، وهو يقول ساخراً : ماشاء الله ... هكذا الصيد وإلا فلا !

قال محاوري : كأنه لم يعجبه صيدك لعصفور واحد ...

قلت : الذي لم يعجبه هو أني صدت مع العصفور ثلاثة ألواح بلور في نوافذ الغرفة المقابلة لحديقة منزلنا الصغيرة ، تحطمت بخردق الطلقة الوحيدة التي أطلقتها . خجلت من نفسي في ذلك الحين ، واستمر خجلي ذاك في تنفيري من الصيد إلى اليوم . لعله تحول مع الزمن من خجل إلى نوع من تبكيت الضمير ، حين أرى كيف يأسف الانسان لتحطيم ألواح زجاجية لاتحس ولاتشعر ، ويقدم دون تردد على تحطيم حياة تتصف بالحس والشعور وربما بالادراك ، وإن كانت هذه الحياة تنبض بين أضلع عصفور صغير .

قال الفتى : أنت تتكلم بالفلسفة ياسيدي . العصافير لاتثير عندك البهجة والفرح فقط ، بل تثير الأفكار أيضاً .

تذكرت ماقاله قبل قليل عن عصافير التين الطيبة المذاق فضحكت لنفسي وأنا أقول :

ـ تماماً ، كما تثير عندك الشهية .

ثم أضفت ، وأنا أسترجع الذكريات لنفسي هذه المرة :

ـ وفي بعض الأحيان تثير الحزن والأسى . أذكر ثلاثة عصافير من فصيلة الكناري ، حملها اليّ من لبنان صديق لي هدية ، فنعمت بصحبتها أياماً ليست قليلة . ألوان ريشها تغلب عليها الصفرة ، إلا أن كل ألوان الطيف الأخرى كانت تتألف فيها بما يسحر النظر ، كأنها من تلك التي يسمونها عصافير الجنة . أما تغريدها فكان فتنة للسمع وبهجة للنفس . اضطررت في ذات يوم إلى التبكير في الخروج من منزلي فلم أنقل قفصها ، كعادتي كل صباح ، من الشرفة إلى داخل الدار ، وغفلت الخادم أن تقوم بذلك عني . فلما عدت ظهراً فوجئت بها ملوية الأعناق على أسلاك قفصها وقد قتلها حر الهاجرة . ماذا أقول لك ؟ امتلأ صدري حنقاً وأسفاً ، ولعل الدمع طفر من عيني يومذاك . وإلى اليوم ، كلما عاد إلى تصوري ذلك المنظر شعرت بذكرى جريرتي على تلك العصافير المسكينة تحز وجداني ...

* * *

كنت ، كما أسلفت ، أستعيد ذكرياتي لنفسي ، ويبدو أن كلماتي المشحونة بالأسى أثرت في محب العصافير على طريقته الخاصة ، هذا الصحفي الشاب ، إذ وجدته يقول :

ـ الحق معك في حزنك على تلك الطيور الجميلة والحلوة الغناء . أما العصافير الدورية الهزيلة فما الذي يجذبك فيها ، وأي فائدة منها ؟

أجبت على سؤاله هذا بسؤال من عندي ، قلت له : هل سمعت بالبارون هانس فون بيرليبش ؟

قال : ياله من اسم غريب . من يكون جنابه ؟

قلت : هو نبيل ألماني توفي عام ١٩٣٣ . لو قرأت كتابه ، وسائل حماية العصافير ، الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٨٩٩ ، لوفرت على نفسك هذا السؤال .

فقال في استنكار : عام ١٨٩٩ ... في نهاية القرن الماضي إذن ! أي قيمة اليوم لمثل هذا الكتاب ؟

قلت : إذن دعني أرو لك شيئاً جرى في عالمنا اليوم . لعلك سمعت بأن الصينيين في أيام ماوتسي تونغ شنوا حملة على الذباب فقطعوا دابره في بلادهم الواسعة . فرضت الدولة على كل مواطن أن يقتل يومياً مائة ذبابة في أيام متعددة من كل أسبوع ، وفي أسابيع متعددة . أنت تعرف عدد الصينيين الهائل الذي تكفل لحملتهم بالنجاح . شجع هذا النجاح المسؤولين هناك على مكافحة العصافير الدورية بنفس الطريقة ، استجابة لشكاوى المزارعين مما تلتهمه هذه العصافير من الحبوب والبقول في مواسم البذر والحصاد والقطاف . وهكذا ألزم كل صيني في المناطق الزراعية بأن يقتل عدداً من هذه العصافير في الأوقات التي عينتها الدوائر المختصة . ونجحت الحملة أيضاً ، فخلت حقول الصين الشاسعة الأبعاد من هذا الطائر الأفاق . ولكن تأمل في ما حدث في موسم الحصاد التالي ، حين رفع المزارعون في كل أصقاع تلك البلاد عقائرهم ينادون بالويل والثبور . لقد التهمت الديدان والحشرات ، تلك التي كانت عصافير الدوري تتغذى ببيوضها وشرانقها ، التهمت نتاج الحقول المزروعة فلم تبق ولم تذر . ألا تراه جواباً كافياً على سؤالك عن فائدة العصفور الدوري ؟

ابتسم صاحبي ابتسامة مغتصبة ، وقال : أكاد أقتنع بما تقوله . وعلى كل حال ، لا أظن كثيرين في أيامنا يحملون أفكارك التي بسطتها لي عن العصافير . الاهتمام بها بهذا الشكل ، إذا وجد ، هو اهتمام جديد ، يبدو كأنه موضة أو صرعة من صرعات هذا الزمن .

قلت : جديد ؟ لعلك سمعت بأبي العلاء المعري ...

فرد علي مسرعاً بقوله : هذا أعرفه . إنه الشاعر الأعمى الذي أمسك بالفروج المشوي حين جاؤوا به إليه كدواء ، عندما مرض ، وقال له : استضعفوك فوصفوك ، هلا وصفوا لي شبل الأسد ؟!

قلت : أحسنت في حفظك لدروسك ياعزيزي . لو قرأت قصيدته التي حاوره حولها داعي الدعاة عن أذى الحيوان ، أو قصيدته الميمية في الديك ، لعلمت أن الدعوة إلى حماية العصافير جاءت عندنا قبل كتاب البارون هانس فون بيرليبش بكثير .

قال الفتى : هل تسمح بأن تقرأ عليّ قصائده التي تشير إليها ؟

ولما لم أجد مناسباً أن يتحول الحوار بيني وبين الصحفي الشاب إلى جلسة تناشد أشعار ، قلت له : سأقرأ عليك بيتاً واحداً يغنيك عن تلك القصائد . يقول أبو العلاء هذا البيت في حيوان طائر أضأل حجماً من العصفور الدوري ، وهو بلاشك أقل فائدة لنا من هذا العصفور وأكثر ضرراً علينا منه . البيت هو التالي :

إطلاق كفك برغوثاً ظفرت به
أبر من درهم تعطيه محتاجا ..

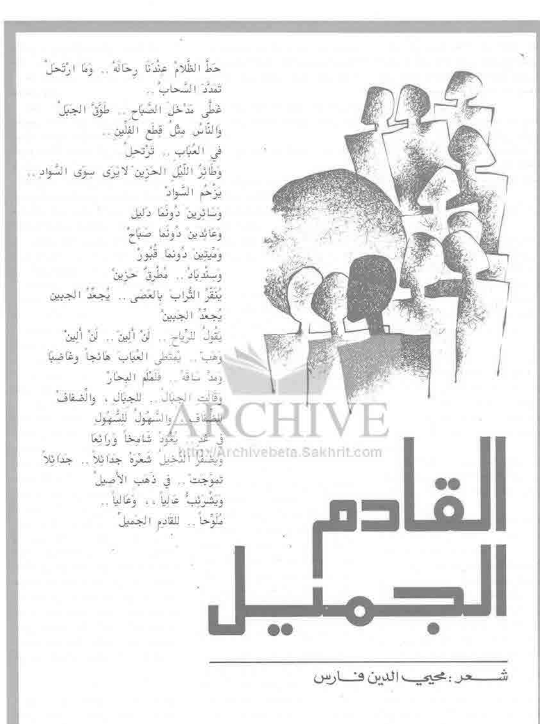
سكت محدثي لحظة كأنه كان يتملى من معنى بيت أبي العلاء ، ثم مالبث أن صاح :

ـ لا ... هذا كثير ... حتى البراغيث يريد حمايتها ؟ يبدو أن ذلك الأعمى كان سخيف العقل !

كدت أقهقه ضاحكاً مما وصف به محاوري شيخ المعرة . أما هو فقد تطلع إلى ساعة يده ، ثم إلى الآلة التي كانت تسجل حديثنا وقال :

ـ انتهى الشريط . سيكون حديثاً ممتعاً أنال به ثناء رئيس التحرير . ألا تحب أن تسمع ما تحاورنا به ياسيدي ؟

وما جرى بعد هذا كان مفاجأة مضحكة لي ، مزعجة للصحفي الشاب . فلعلها خطيئته فيما تكلم به من سوء عن أبي العلاء حلّت على جهاز التسجيل . ذلك أنه حين أدار الآلة تبين له أنه أساء ضبطها عندما بدأنا الكلام ، فلم يسجل شريطها كلمة واحدة مما قلناه أنا وهو . وبدلاً من حديثنا انبعث من الآلة غناء مطربة توفاها الله منذ أعوام . عندئذ تطلع الشاب اليّ وفي نظرته مزيج من ألم وغضب ، فطيبت خاطره بأن وعدته بحوار غير هذا في وقت آخر . أما في سري فقد حمدت الله على ضيعة التسجيل ، مفضلاً أن أروي أنا أقوالي وأقوال هذا الفتى لقرائي على أن ينشر هو تلك الأقوال ، في مجلته ، لقرائه .

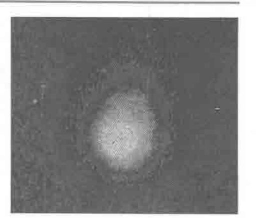


القادم الجميل

شـعر: محيي الدين فـارس

حَطَّ الظَّلامُ عِنْدَنا رِحالَهُ .. وَما ارْتَحلْ
تمدَّدَ السَّحابُ ..
غَطَّى مَدْخَلَ الصَّباحِ .. طَوَّقَ الجَبَلْ
والنَّاسُ مِثْلُ قِطَعِ الفِلِّين ..
في العُبَابِ .. تَرْتَحِلْ
وطائرُ اللَّيلِ الحَزينُ لا يَرَى سِوَى السَّوادْ ..
يَزْحَمُ السَّوادْ
وسائرينَ دُونَما دَليل
وعائدينَ دُونَما صَباحْ
ومَيِّتينَ دُونَما قُبُورْ
وسِنْدبادُ .. مُطْرِقٌ حَزينْ
يَنْقُرُ التُّرابَ بالعَصَى .. يُجَعِّدُ الجبين
يُجَعِّدُ الجبينْ
يَقُولُ للرِّياحِ .. لَنْ أَلِينَ .. لَنْ أَلِينْ
وَهَبَّ .. يَمْتطي العُبابَ هائجاً وغاضِباً
ومدَّ ساقَهُ .. فَلَمْلَمَ البِحارْ
وقالَتِ الجبالُ .. للجبالِ ، والضِّفافُ
للضِّفافِ .. والسُّهولُ للسُّهول
في غدٍ .. يَعُودُ شامِخاً ورائِعاً
ويَضْفِرُ النَّخيلُ شَعْرَهُ جدائلاً .. جدائلاً
تموَّجتْ .. في ذَهَبِ الأَصيلْ
ويَشْرَئِبُّ عالياً .. وعالياً ..
مُلَوِّحاً .. للقادمِ الجميلْ

المُذَنَّب هالي في الأدب العربي



صورة التقطت لرأس المذنب هالي في مايو ١٩١٠ م

بقلم : رابح لطفي جمعة

تُعَدُّ المُذَنَّبات في الكون بالملايين . غير أن العلماء لم يتمكنوا حتى سنة ١٩٨٠ من التعرف على غير المذنبات ذات المدارات الثابتة التي تظهر في مواعيد دورية محددة وعددها ٦٦٦ مذنباً فقط . ومن أشهرها وأشدها بريقاً ولمعاناً المذنب هالي نسبة إلى العالم الفلكي البريطاني « إدموند هالي » (١٦٥٦ ـ ١٧٤٢ م) الذي تمكن في نوفمبر سنة ١٦٨٢ من مشاهدة هذا المذنب عبر مرقبه الخاص الذي بناه بالقرب من لندن .

وفي سنة ١٧٠٥ أعلن « هالي » أن المذنبات البراقة التي ظهرت في سماء الأرض في كل من السنوات ١٥٣٠ ، ١٦٠٧ ، ١٦٨٢ م إنما هي مذنب وحيد يقترب من الأرض مرة كل ٧٦ سنة تقريباً . وتنبأ بعودة هذا المذنب للظهور مرة أخرى في أواخر سنة ١٧٥٨ م . وبالفعل ظهر المذنب في ديسمبر من ذلك العام وتكرر ظهوره سنة ١٨٣٥ م ، سنة ١٩١٠ م ويتوقع اقترابه من الأرض ورؤيته بالعين المجردة في ابريل سنة ١٩٨٦ م .

وقد اكتشف العلماء أن أول ظهور لمذنب هالي كان سنة ٢٤٠ قبل الميلاد . وأنه حتى سنة ١٩١٠ رؤى ٢٤ مرة بمعدل مرة كل ٧٦ سنة [1] .

وفي سنة ١٣٠١ م شاهد الرسام الايطالي جيوتو اقتراباً آخر للمذنب فضمنه إحدى لوحاته على جدران إحدى الكنائس . وكانت المذنبات بأحجامها الضخمة وإشعاعاتها الوهاجة مثار رعب وفزع وتشاؤم حتى العصور الوسطى وربط الناس بين ظهورها وبين حدوث الكوارث والفيضانات والزلازل والقحط والحروب وتهاوى العروش وظهور الأمراض والأوبئة . ففي سنة ١٤٥٦ م أثار ظهور المذنب هالي الذعر بين صفوف الصليبيين في أوروبا ، ونظراً لتقوس ذيل المذنب قليلاً لطول امتداده في الفضاء الكوني فقد تخيله القدامى كأنه سيف ملتهب وأطلقوا عليه في القرون الوسطى « سيف العثمانيين » .

« والسماءَ بنيناها بأيدٍ وإنّا لموسعون »

ويتكون المذنب من رأس مضيء كأنه نجم كبير ساطع تسهل رؤيته في ظلام الليل وتحيط بهذا الرأس هالة مضيئة شفافة أقل لمعاناً ، ثم يلي ذلك ذيل طويل يمتد في غير انتظام خلف الرأس والهالة يلمع عندما يدخل المذنب في دائرة ضوء الشمس ويتميز بشفافيته كأنه غلالة رقيقة من النور . وتمتد بعض ذيول المذنبات الى ما بين مائة ومائة وخمسين مليون كيلو متر وقد تصل الى ٣٣٠ مليون كيلو متر . ويتراوح ذيل المذنب هالى بين ٤٠ و٨٠ مليون ميل . أما قطره فيبلغ مائة ألف كيلو متر . ولذلك تظهر المذنبات مختلفة عن النجوم بأن لها ذؤابة تمتد خلفها لمسافة طويلة .

وتدور بعض المذنبات في مدارات اهليليجية أي بيضاوية موغلة البعد في الفضاء الكوني الواسع . وتكرر دوراتها خلال ملايين أو آلاف السنين . فقد بلغت دورة المذنب « كهوتيك » ٧٥ ألف سنة وقد زار هذا المذنب سماءنا لأول مرة في يناير سنة ١٩٧٤ . بينما تبلغ أقصر دورة للمذنبات ما يقرب من ثلاث سنوات . أما المذنب هالي فإنه يكمل دورته كما أسلفنا كل ٧٦ سنة تقريباً .

ولك أيها القارىء الكريم أن تتخيل سعة الفضاء الكوني الذي تسبح فيه هذه المذنبات وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم كتابه « والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون » .

ولا يعرف حتى الآن مم تتكون المذنبات . هل هي أتربة أم ثلوج أم غازات أم أحجار ،

المُذنّب هالي في الأدب العربي

وللعلماء نظريات مختلفة في تكوين المذنبات ومادتها وطبيعتها.

ولئن كانت المذنبات عموماً يتعذر مراقبتها ورصدها بدون استخدام التلسكوب. إلا أن بعضها يصبح في بعض الأحوال شديد البريق واللمعان بحيث يسمح برؤيته بالعين المجردة: ومن هذه المذنبات المذنب هالي حيث كان أقرب ما يكون من الأرض في ١١ ابريل سنة ١٩٨٦ وتمكن البعض من رؤيته بالعين المجردة. وقد بدأ هذا المذنب رحلة الاقتراب من الأرض سنة ١٩٤٨ وهو يشق أجواز الفضاء بسرعة مذهلة تبلغ مليونين ونصف مليون ميل في اليوم الواحد. وعندما صار واضحاً في السماء سنة ١٩٨٦ وأمكن تمييزه بالعين المجردة فإن سرعته كانت حوالى أربعة ملايين كيلو متر في اليوم !!

وقد بدأت استعدادات العلماء والفلكيين وعلماء الفضاء منذ سنة ١٩٨٢ لرصد هذه الظاهرة الفريدة وذلك الحدث العلمي، النادر الذى لا يتكرر إلا كل ٧٦ سنة. مستخدمين في ذلك أحدث أجهزة الرصد الفلكي والتحليل الطيفي والقياس العلمي وغير ذلك من الوسائل والمعدات العلمية. وأطلقت بعض الدول أقماراً صناعية أو سفن فضاء لالتقاط أكبر عدد من الصور الملونة لهذا المذنب ورصده وتحليل الضوء الصادر عن مكوناته عن قرب، ولئن كانت نظرة الأقدمين قد ارتبطت بالتشاؤم بظهور المذنبات كما أسلفنا، إلا أن هذه النظرية تغيرت الآن بفضل تقدم العلم وأبحاث الفضاء. ولم يعد للخرافات والأوهام التى ارتبطت بظهور المذنبات مكان في وقتنا الحاضر.

المذنب هالي في كتب التاريخ

بعد هذه اللمحة العجلى عن المذنبات بعامة والمذنب هالي بخاصة. نتساءل عما جاء في كتب التاريخ والأدب العربي عن هذا المذنب وماذا أوحى إلى الأدباء والشعراء من أفكار ومعان وأخيلة عند ظهوره لآخر مرة سنة ١٩١٠.

لقد ورد ذكر المذنبات عامة ــ ومنها بطبيعة الحال المذنب هالي ــ في العديد من المراجع التاريخية: ففي كتاب الكامل لابن الأثير سجل المؤرخ العربي في أحداث سنة ٢٢٢ هـ الموافقة لسنة ٨٣٨ م ظهور مذنب فقال: «في هذه السنة ظهر على يسار القبلة كوكب بقي يرى نحو أربعين ليلة وله ذنب كان طويلاً جداً فهال الناس ذلك وعظم عليهم وتطيروا منه». كما ذكر ابن الأثير أيضاً في أحداث سنة ٤٧٨ هـ الموافقة لسنة ١٠٦٦ م، ظهور المذنب هالي بقوله إنه «ظهر في هذه السنة كوكب له ذؤابة طويلة بناحية المشرق طوله نحو ثلاثة أذرع وهى ممتدة إلى وسط السماء».

أما ابن إياس فقد ذكر في أحداث سنة ٨٦٠ هـ الموافقة لسنة ١٤٥٦ م ظهور المذنب هالي بقوله «إنه ظهر في السماء نجم مذنب طويل جداً من جهة الشرق ودام يطلع نحواً من شهرين وزاد الكلام السيىء بسببه».

ونلاحظ على هذه الاشارات أن ما سجله ابن الأثير إنما كان عن المذنب هالي ذاته الذى ثبت أنه ظهر سنة ١٠٦٦م وشاهده النورماندیون وتصادف مع ظهوره سقوط عرش بريطانيا وهزيمة الملك هارولد واعتلاء غليوم الثاني العرش. في حين سجل ابن إياس ظهور المذنب سنة ١٤٥٦م وفي تلك السنة كانت جيوش العثمانيين تغزو بلغراد، وعندما ظهر المذنب بذيله المعقوف في صفحة السماء تشاءم الأوروبيون منه وتصوروا ذيله كأنه السيف المسلول وأطلقوا عليه «سيف العثمانيين».

المذنب هالي في الأدب العربي

وعندما ظهر المذنب هالي سنة ١٩١٠ ورؤى بالعين المجردة في سماء كوكبنا الأرضي ببريقه الوهاج، انفعل برؤيته بعض الأدباء والشعراء وسجلوا انفعالاتهم وانطباعاتهم في أعمال أدبية، نذكر منهم الشيخ طنطاوى جوهري ومحمد لطفي جمعه والشاعر المصرى اسماعيل صبرى.

أما الشيخ طنطاوى جوهرى فيروى الدكتور عبد العزيز جادو في كتابه عنه أن الشيخ سهر ذات ليلة من ليالى سنة ١٩١٠ بجوار القلعة ليرقب المذنب هالي في فضاء قره ميدان عند ظهوره، ولم يشأ أن يمر حادث ظهور المذنب في ذلك العام دون أن يخرج منه للمجتمع الانساني بعبرة، فألف كتابه «أين الانسان» وهو عبارة عن رواية يجرى فيها المؤلف الحوار بينه وبين روح من الأرواح القاطنة بمذنب هالى (؟!) عندما اقترب من الأرض ويسأله عن السلام العام وقارن فيه بين أحوال سكان الكوكب الأرضي وسكان الكواكب السيارة ومنها المذنب. وناشد ملوك العالم وحكماءه وعلماءه وساسته نواب الشعوب أن يتعاونوا فيما بينهم على العمل في سبيل سعادة العالم والانسانية عسى أن يعدل الناس من ظلمهم ويسيروا على الصراط المستقيم.

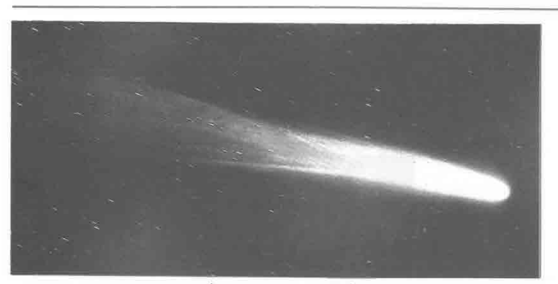
وقد تقدم الشيخ طنطاوى بهذا الكتاب إلى «مؤتمر الأجناس العام» سنة ١٩١١ ولخصه المستشرق الايطالى «سانتيلانا» بعنوان «صدى صوت المصريين في أوروبا» وكان هذا الكتاب من بين الكتب التى ألفها الشيخ وأرفقت مع ترشيحه لنيل جائزة نوبل للسلام.

أما محمد لطفي جمعة فقد رأى المذنب هالي رؤية العين في سماء سويسرا إبان تلقيه العلم بأوروبا سنة ١٩١٠ وقد سجل هذا الحدث النادر في كتابه «تذكار الصبا» ــ تحت الطبع ــ فقال:

«كان شهر مايو هذا عجيباً وقد ظهر فيه مذنب «هلي» ورؤى في أنحاء العالم وأخيراً قالوا إنه سيظهر في سماء سويسرا في ليلة حددوها. فسهرنا في تلك الليلة وعولنا على أن نسير إلى المرصد الفلكي مع كل أهل الدار كافة، وكنت أكره أن أترك فراشي ليلاً لأشهد تلك الظاهرة. ولكنني علمت أن هذه الظاهرة لا تبدو للعيان إلا في كل ثمانين سنة مرة. فتحملت المشقة وقمت في نصف الليل ولا أدرى من الذى أفتى بزيارة المرصد، كأن المذنب لن يبدو إلا خلال العدسات المكبرة أو أنه سيخضع في حركته لإرادة الرقباء من بني آدم ولا سيما أهل جنيف السعيدة، ولم أكد أخطو خارج الدار بضع خطوات وأرفع رأسي إلى الأفق الأعلى، وفي ظني أن الكوكب لن يبدو

■ ماذا قال الأدباء والشعراء العرب بمناسبة ظهور المُذنَّب «هالي» سنة ١٩١٠؟

■ تصوَّر الأوروبيون ذيله كأنه السيف المسلول فأطلقوا عليه: سيف العثمانيين!



أحدث صورة للمذنب هالي وهو ينطلق باتجاه الأرض

إلا بعد ساعة أو ساعتين . وإذا بى أرى منظراً ضخماً لا ينسى . وانى آسف على أن الصور المتحركة لم تكن فى سنة ١٩١٠ قد بلغت ما بلغته الآن (١٩٤٦) لتسجل هذا المشهد الرائع الذى لا ينسى .

فجأة رأيت سباعياً من النور مكوناً من عشرات الكواكب الكبيرة المصحوبة بعدد آخر أصغر حجماً ومذيلة بسلسلة نورانية وقد ملأت الأفق نوراً وبهاء وهى تقطع أجواز الفضاء بسرعة عجيبة كأنها القطار السريع من الشمال الى الجنوب . وكانت لشدة جمالها فى موكبها ولغرابة المنظر وجلالته ولاعتقادى أنه لن يعود لك فى هذه الدنيا تكاد الروح تطير شعاعاً إليه . فبقيت فى مكانى كما لو أن أقدامى شدت الى الأرض بأمراس كتان مشدوها سابحاً سائحاً فى عالم من الجمال والدهشة . لقد مرت بى فترة من الأزلية ولمستنى يد علوية وأظن كل من شهد هذا المنظر يذكر هذا الشعور العجيب .

ولعل كثيراً ممن تحفزوا واستعدوا لمراقبة المذنب العظيم لم يروه ولم يدركوه إلا بعد أن فاتتهم فرصته . لانهم كانوا يحسبون أنه سيظهر ثابتاً فى الأفق كالثريا أو كالشعرى اليمانية أو كالنسر الطائر أو أخيه الواقع . ولكنه كان أغرب من هذه وذاك : بل كان أغرب من القمر : لأنك ترى القمر ثابتاً وينتقل فى منازله ببطء شديد . ولكن المذنب يجرى لا مستقر له . وناهيك بهذا الكون الذى يتسع لأن يذرعه هذا الجرم المزدحم بالكواكب والأقمار ويطوف ركناً من أركانه مطافاً مثيناً بحيث لا يظهر لأهل الأرض ـ ذلك الكوكب القاتم المطفأ ـ إلا فى قرن مرة واحدة !!

وعندما عدنا الى الفندق قابلت فتاة بدرتنى بسؤالها : هل رأيت يا سيدى الكوكب ؟ وكان وجهها مشعاً مملوءاً حيوية واعجاباً وايماناً . فقلت لها : نعم وأنت ؟ قالت : نعم رأيته ولم أعرف نعمة رؤيته إلا بعد أن مرق فى السماء مروق السهم المخترق جوف الفضاء العلوى . ويا حبذا لو كنت أراه مرة أخرى ! .. طبعاً لن أراه لأنه لن يظهر إلا بعد ثمانين سنة أخرى ، وأين نكون بعد ثمانين سنة ؟! طبعاً سنكون تحت التراب . قلت لها : من يدرى ؟ قالت : أترضى لى أن أعيش ثمانين عاما أخرى ؟ . قلت : ولكن لعلك تكونين بحيث يكون هذا الكوكب من أصغر ما تتمتع روحك برؤيته . فنظرت الى السماء وقالت لى : من يدرى ؟! » .

هكذا سجل لطفى جمعة انفعالاته وانطباعاته لدى رؤيته المذنب هالي فى سماء سويسرا فى إحدى ليالى شهر مايو سنة ١٩١٠ .

أما الشاعر المصرى اسماعيل صبرى : فقد نظم قصيدة بمناسبة ظهور المذنب هالي متأثراً فيها بما أشيع من أن لهذا المذنب ذيلاً طويلاً مكوناً من غازات سامة وأن الشمس ستدفعه الى عالمنا فيصير جو الأرض خانقاً ومميتاً . وحددوا لذلك يومى ١٨ ، ١٩ مايو سنة ١٩١٠ . فساد الذعر والهلع نفوس الكثيرين وأيقنوا أن فى ذلك البلاء المستطير والفناء لجميع الأحياء على الأرض . قال اسماعيل صبرى فى هذه القصيدة موجهاً خطابه الى المذنب :

أنت نعم النذير يا نجم هالى ، زلزل السهل والروابى ذعرا
ظن قوم فيك الظنون وقالوا آية أرسلت الى الأرض كبرى
إن يكن فى يمينك الموت فاقذفه ساوطاً على الخلائق طرا

ثم يخاطب الشاعر المذنب فيقول :

هل تلقيت من لدن خاذل الباغي وحامى الضعيف يا نجم سرا
أغداً تستوى الأنوف فلا ينظر قوم قوماً على الأرض شزرا
أغداً كلنا تراب ولا نملك غير التراب براً وبحرا
إن يكن ما يقولون يا نجم فاصدع بالذى قد أمرت ـ حييت عشرا !!

وبعد ...

فهذه بعض خواطر الأدباء والشعراء العرب بمناسبة ظهور المذنب هالي سنة ١٩١٠ . فماذا ترى ستكون خواطرهم بمناسبة ظهور هذا المذنب فى هذا العام ؟

رابح لطفى جمعة

هامش

(١) على وجه التحديد كل ٧٦،٣٧ سنة وقد رؤى هذا المذنب فى السنوات ١٣٧٨ ، ١٤٥٦ ، ١٥٣١ ، ١٦٠٧ ، ١٦٨٢ ، ١٧٥٩ ، ١٨٣٥ ، ١٩١٠ على التوالى (دائرة المعارف البريطانية ، ج ٢٧ ، ص ١٦٠)

دراســـة عن المقرئـين وتـــلاوة القــــرآن

من أحمد ندا إلى محمد رفعت



بقلم: محـــمود الســـعدني

في فجر الاسلام . وفي الوقت الذي فكر فيه المسلمون في تعليق جرس كبير على باب المسجد لدعوة المسلمين إلى الصلاة . في هذا الوقت بالذات . جاء أحد الصحابة وقال للنبي صلى الله عليه وسلم : لقد رأيت فيما يرى النائم أنني أصعد على سطح المسجد فأدعو الناس للصلاة بدعاء . الله أكبر . أشهد ألا إله إلا الله . أشهد أن محمداً رسول الله . حي على الصلاة . حي على الفلاح . لا إله إلا الله . وأشرق وجه النبي صلوات الله عليه . وقال للصحابي الجليل ... نعم ما رأيت . فقال الرجل . هل أصعد الآن فأدعو الناس للصلاة؟ ورد النبي عليه بحسم .. بل دع بلالاً يؤذن . إنه أندى منك صوتاً . ! وبهذا الرد البسيط الواضح الحاسم . حدد النبي سياسة الاسلام ومنهجه في وضع الرجل المناسب في المكان المناسب . وفي إعطاء العيش لخبازينه .. كما يقول المثل المشهور . فالصحابي الذي رأى في المنام رؤية وجدها النبي جديرة بوضعها موضع التنفيذ . ليس من حقه أكثر من أن يحلم . ولكن بلالاً رضوان الله عليه هو الذي من حقه أن يؤذن . لماذا؟ لأنه أندى صوتاً ! هو الأحق إذن بأن يؤذن . لأن هذه هي وظيفته . وهي وظيفة استحقها لأنه «أندى» صوتاً . أي أنه موهوب وموهبته في حلاوة صوته . والصوت الجميل كفيل بأن يدخل إلى قلوب المؤمنين ! ومنذ بلال وحتى الشيخ علي محمود . دخل تاريخ الاسلام مئات من المؤذنين والمقرئين أصحاب الأصوات الندية الشجية التي رفعت راية الاسلام وأوصلت صوته إلى مختلف أركان الأرض . وأصبح للتلاوة دولة عظيمة عندما ارتفعت راية الدولة العربية . وحين كان يعطس أحد العرب في دمشق فيقول له المسلمون في الصين .. يرحمكم الله ! وارتفعت دولة التلاوة مع ارتفاع شأن الدولة العربية في بغداد ثم في القاهرة . ثم أصابها الاضمحلال كما أصاب الدولة نفسها . ولكن الروح عادت إليها من جديد مع مطلع هذا القرن العشرين . وكانت بداية مجدها على يد شيخ صغير أسمر اللون نحيف العود وسيم القسمات يقرأ القرآن بصوت جميل . وبطريقة مبتكرة . تجعل السامعين على الجلوس في أماكنهم ساعات طويلة لايفارقونها حتى ينتهي الشيخ من ترتيله الجميل . وكما أثر الصوت الجديد على عقول ومشاعر المستمعين أيضاً . فقد أحدث ثورة عارمة بين بعض المسلمين . وكان محور الثورة والذي يدور حوله النقاش والخلاف : هل الطريقة المبتكرة في التلاوة .. حلال أم حرام ؟ وترك الشيخ «أحمد ندا» أصحاب السؤال يتناقشون . ومضى في طريقه يحقق كل يوم انتصاراً باهراً لطريقته . ويجمع في كل يوم المزيد من المريدين والأنصار !

وقبل الشيخ أحمد ندا لم يكن لمقرئي القرآن صوت مسموع . صحيح أنه كان هناك بعض الذين ينشدون التواشيح . وكان الناس يسمونهم «أولاد الليل» وهم عادة من بين الفاشلين من طلبة الأزهر . وكان عملهم كله مقصوراً على إنشاد بعض القصائد القديمة . ولم يكن يتعدى مجموعها أصابع اليد الواحدة . وكان أشهرها على الاطلاق «إذا جاء يوم العرض والعرش واللقا» !! وصحيح أيضاً أنه كان هناك بعض «الصييته» وكانوا في الغالب يتمتعون بأصوات تشبه إلى حد كبير الصوت الناتج عن خشب يحترق . أو الصوت الذي يحدثه احتكاك عجلات قطار عند أحد المنحنيات . ولم يكن لهذه الفئة أجر معلوم . كانت «العشوة» تكفي أحياناً . وأحياناً أخرى يكون الأجر حتة بخمسة مع العشوة . وكانت حياة الجميع جحيماً لايطاق !! ولكن الشيخ العبقري «أحمد ندا» قلب الموازين كلها . ووصل أجره خمسة جنيهات عن الليلة الواحدة . وجاب أقاليم مصر كلها . يسهر في قصور الباشوات . ودور العمد والأعيان . ويهرع إليه الآلاف الذين يعجبون بطريقته . ويطربون لصوته . ومرة أخرى ارتفع أجر الشيخ الى عشرة جنيهات والى عشرين ثم الى أربعين . وظل يرتفع أجره بعد ذلك إلى أن بلغ مائة جنيه عن الليلة الواحدة ! وأصبح للشيخ ندا «حنطور» تجره ستة خيول . وقصر يؤمه الشعراء والأدباء ورجال الحكم والسياسة . وأصبحت ندوته هي الشعلة الوحيدة المضيئة وسط الظلام الرهيب الذي كان ــ يومئذ ــ مخيماً على مصر . وكأنما كان الشيخ ندا يمهد لظهور عباقرة جدد في فن التلاوة . فلم يلبث أن ذاع بعد قليل صيت عبقري موهوب خرج على الناس بفن جديد له أصول وله قواعد . هو فن التواشيح . وكان العبقري الجديد هو الشيخ «علي محمود» .

وقد جاء الشيخ «علي محمود» من حارة ضيقة من حارات العباسية . وكان قد درس الموسيقى الشرقية وتمكن منها . وجاء وفي جعبته ألحان عديدة لقصائد دينية بهرت الناس وأذهلتهم وأطربتهم ولاتزال تطربهم حتى الآن . فكل القصائد الدينية والشهيرة التي نسمعها الآن من تلحينه . وحتى الجديد منها والتي لحنها غيره جاءت على نفس القواعد . وفي إطار مدرسة الشيخ «علي محمود» الفنية . والسر الذي يجهله الكثيرون

هو أن معظم القصائد التي لحنها ملحنون كبار وعلى رأسهم محمد عبدالوهاب ، كان للشيخ علي محمود فيها رأي . فقد كان الجميع يعرضون عليه إنتاجهم قبل إذاعته على الناس . ومع الشيخ علي محمود ظهرت طائفة كبيرة من المرتلين والمنشدين من بينهم الشيخ حسن المناخلي ، ومحمد مجد مقرئ السيد البدوي . ومفتي إمبراطورية زفته الذي أعلن إستقلالها يوسف الجندي خلال ثورة ١٩١٩ ، ومنهم أيضاً الشيخ « منصور بدار » مقرئ الخلافة العثمانية ، صاحب البنطلون والجبة والطربوش التركي ، والذي قال عنه الشيخ محمد الصيفي .. إنه أعظم وأقوى صوت عرفه العالم الاسلامي في النصف الأول من القرن العشرين . ومع هؤلاء أيضاً ظهر الشيخ محمد الصيفي أعظم من درس علم القراءات ، والشيخ « منصور الدمنهوري » مقرئ القدس الشريف والشيخ « محمد سلامة » والشيخ « محمد صديق المنشاوي » والشيخ عبدالفتاح الشعشاعي ، وسيد المقرئين جميعا بلا منازع المرحوم الشيخ « محمد رفعت » . ولقد عاش الشيخ « منصور بدار » حتى سقطت الخلافة العثمانية وعاد إلى مصر بعد الحرب العالمية الأولى واشترى عزبة في قريته شبلنده في القليوبية وكان صديقاً لسعد باشا زغلول ولعب دوراً وطنياً عظيماً إبان ثورة ١٩١٩ وكان يلقب بمقرئ سعد وكان يقرأ القرآن بصوته العظيم في الإحتفالات السياسية التي يخطب فيها الزعيم . وفي خلال الحصار الرهيب الذي فرضه المستعمر على بيت الأمة ، كان الشيخ منصور بدار يدخل البيت ويخرج دون أن يثير أدنى ريبة في قلوب المحاصرين ، ودون أن يفطنوا إلى أن جميع المنشورات الملتهبة التي كانت تغمر مصر ، تخرج كلها من بيت الأمة مختفية في جبة الشيخ « منصور بدار » .

وبين هؤلاء المشايخ جميعا يقف الشيخ محمد رفعت ، عملاقا ولا كل العمالقة ، وهو الذي قال عنه مفتي سوريا بعد وفاته ، لقد جدد شباب الإسلام » وكان الشيخ محمد رفعت هو المقرئ الوحيد الذي أحاطت به هالة من الأساطير . قيل عنه مرة إن ضابطاً كندياً دخل على مدير الإذاعة الانجليزي وطلب منه أن يجمعه بالشيخ محمد رفعت . وقال الضابط الكندي إنه استمع إلى صوته فلم يتمكن أن يتمالك نفسه من البكاء . وأنه اعتنق الاسلام تحت تأثير هذا الصوت النادر الغريب والذي يتسلل إلى المشاعر والقلوب . وحقق مدير الإذاعة أمنية الرجل الكندي ، وعاش الضابط الغريب الذي اعتنق الإسلام مع الشيخ محمد رفعت أسبوعاً طويلاً وكتب عنه بعد عودته إلى بلاده مقالاً وصفه فيه بالعبقري الذي اجتمعت فيه كل صفات النبوغ وكان الشيخ محمد رفعت هو الأول والأخير من مقرئي القرآن الذي تهافت على سماعه عدد كبير من غير المسلمين ، وكان له من بينهم أصدقاء ومعجبون ضحوا من أجله بالشيء الكثير . ومن الغريب أنه عاش ومات دون أن يقتني ثروة بينما كان في مقدوره أن يجمع الملايين .

وإلى جوار الشيخ محمد رفعت عاش عباقرة آخرون ، غير أن ضوء الشيخ رفعت الباهر غطى على كل ضوء . فمثلاً .. لو أن الشيخ محمد الصيفي عاش في عصر آخر غير عصر الشيخ رفعت لكان له شأن آخر . فقد كان الشيخ الصيفي أعظم أستاذ في علم القراءات وقضى وقتاً طويلاً من حياته في دراسة طريقة ورش وحفص وعاصم واستطاع أن يدخل قواعد جديدة على فن التلاوة . سار عليها كل الذين جاءوا من بعده ومن أشهر تلاميذه الشيخ مصطفى اسماعيل والشيخ محمود خليل الحصري . وقد ظهر الشيخ الصيفي في نفس الفترة التي ظهر فيها الشيخ محمد رفعت والشيخ علي محمود ، وخرج من نفس الحارة التي خرج منها الشيخ علي محمود ، وظل بها حتى مات ، وربح كثيرا وأنفق كثيرا وعين مقرئ المسجد الحسيني في المكان الذي خلا بوفاة الشيخ علي محمود ، وعندما مات الشيخ الصيفي كان يحمل على صدره عدة نياشين أهداها إليه رؤساء الدول الإسلامية .

ومع هؤلاء أيضاً ظهر الشيخ محمد القهاوي ، وصوته من نفس نسيج صوت الشيخ منصور بدار ، غير أن الحياة المليئة بالمشاكل والتي عاشها الشيخ القهاوي عجلت بوفاته وقضت عليه مبكرا وهناك الشيخ المنيلاوي الذي كان يلحن ويغني ويقرا القرآن . والذي دخل التاريخ الفني في مصر من باب الطرب ، والذي كان له دور في حياة أم كلثوم في بداية طريقها إلى عالم الغناء .

وهناك الشيخ حسن المناخلي الذي كان يتمتع بصوت جميل وطريقة فذة في الأداء ، والذي قامت من أجله معركة حامية في حي المذبح ، قتل فيها خمسة أشخاص وجرح فيها أكثر من خمسين شخصاً ، وسجل محضر البوليس أن السبب هو صوت الشيخ حسن المناخلي . ولقد لعبت المرأة دورها في دنيا التلاوة وعلى رأسهن الشيخة منيره التي ظلت تقرأ في الإذاعة حتى الحرب العالمية الأخيرة ، ثم اختفت حين اعترض البعض على قراءة المرأة للقرآن في الإذاعة .

ومنهن أيضاً الشيخة رقية ، الضريرة التي أحبت بقلبها حباً عظيماً . أحبت ضريرا عبقرياً هو الشيخ علي محمود وعندما اعتزلت القراءة واعتزلت الناس قضت بقية عمرها تجلس إلى جانب الدكة التي ينشد من فوقها الشيخ علي محمود ألحانه ، وظلت تتبعه كظله أينما ذهب ، حتى ماتت ذات ليلة في مكانها التقليدي إلى جوار دكة العبقري الموهوب .

ومن بين القراء الذين يتردد صوتهم حتى الآن عبر الأثير من مختلف إذاعات العالم إلى ملايين المسلمين في كل مكان ، من له قصة وله تاريخ ، على رأس هؤلاء الشيخ عبدالفتاح الشعشاعي وكان يقرأ « السورة » في مسجد السيدة زينب وعاش مجده في القاهرة وقضى أيامه الأخيرة بعزبته في شعشاع وكان صوته من أقوى الأصوات وأحلاها وللشيخ الشعشاعي عدة أبناء من بينهم الشيخ ابراهيم الشعشاعي المقرئ وصوته صورة طبق الأصل من صوت أبيه وقد احتل مكان أبيه كقارئ « للسورة » في مسجد السيدة زينب .

ومن بين الأعلام في دولة المقرئين الشيخ « سعيد نور » السوداني الحزين الذي يقرأ القرآن بنفس الطريقة التي يغني بها الزنوج أغانيهم داخل الغابات . طريقة كلها شجن وكلها بكاء وهو يتمتع بشهرة واسعة النطاق بين سكان الريف في مصر وكان له مريدون يضيق بهم جامع الخازندار في شبرا كل مساء .

وإلى جانب هؤلاء تلمع أسماء الكثيرين الذين تدوي شهرتهم كالطبل في مصر وكافة بلاد الإسلام . الشيخ مصطفى إسماعيل ، الشيخ أبو العينين شعيشع ، الشيخ عبد الباسط عبدالصمد ، الشيخ محمد صديق المنشاوي ، الشيخ عبدالعظيم زاهر ، الشيخ طه الفشني ، الشيخ محمود علي البنا ، الشيخ عبدالرحمن الدروي وأخيرا الشيخ محمود الطبلاوي وعشرات غير هؤلاء وهناك عشرات غيرهم ينتظرون الفرصة للظهور واللمعان ، مئات من المواهب في مدن وريف العالم الإسلامي الكبير وكلهم يدينون بالفضل لرجل واحد نحيف العود طويل القامة أسمر اللون حسن الصوت رائع الأداء ، رجل واحد ظهر في مطلع هذا القرن . فأحدث بظهوره ضجة شديدة واستطاع بمفرده أن يخلق للمقرئين دولة عظيمة أصبح لها اليوم كواكب ونجوم . نعم رجل واحد فقط هو صاحب الفضل فيما انتهت إليه دولة التلاوة اليوم . ذلك هو العبقري صاحب الصوت الشجي المرحوم أحمد ندا .

شاعر جديد .. وأحزان كبيرة

يقول « جوته » في كتابه الممتع « ذكريات عن حياتي : الشعر والحقيقة » حسب الإنسان أن يولد قبل تاريخ ميلاده ، أو بعده ، بعشر سنوات فقط ، كي يصير شخصا آخر ، مختلفا جدّ الاختلاف عما هو عليه ، سواء في تكوينه الداخلي ، أو في ممارساته الخارجية .

ولعل هذا يصدق ، أكثر ما يصدق ، على الفنان ، خاصة الشاعر ، إذ أن حساسيته تجاه الزمن ، واستجابته لمتغيرات التاريخ ، تجعل منه نباتا فصليا علويا ، لا يزهر في غير موعده ، ولا ينمو بهذا الشكل دون سواه إلا في عصره وتحت رياحه ومطره .

بقلم : الدكتور صلاح فضل

وشاعرنا « مختار علي أبو غالي » ينتمي إلى هذا الجيل المحبط الذي رأى أحلامه الكبرى تتمزق وهو يسعى حثيثا نحو نهاية العقد الخامس من عمره ، متكئا على جراحه ، ململما أحزانه ، واعيا بانكساراته . ومهما كان حظه من النجاح والتوفيق في حياته الخاصة ، فقد أضحى ولا تصفو له ضحكة ، ولا يحلو على شفتيه غناء .

ولأن ديوانه « أحزان مصرية » لا يحمل سوى ما يسميه سلة ثماره ، ولأنه فنان متنسك ، عزوف عن أسباب الشهرة ، أجدني مضطرا لتقديمه في سطور وجيزة ، قبل أن أعرض لتكويناته الشعرية الشائقة ، قاصرا حديثي على ما أظن أنه ذو أثر فعال في إنتاجه . فهو من مواليد قرية « دست الأشراف » التي تقع على تخوم الصحراء في محافظة البحيرة بمصر ، في منتصف العقد الرابع من هذا القرن ، وقد درس في معهد الاسكندرية الديني حتى حصل على الثانوية الأزهرية عام ١٩٥٨ ، وعلى الليسانس في العلوم العربية والاسلامية من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٦٢ ، وسافر للتدريس بالكويت عقب هذا بقليل حتى الآن ، إلا أنه قد استأنف دراسته العليا منذ سنوات ، وناقش عام ١٩٨٤ رسالته للماجستير عن الأدب الصوفي للحلاج ، مشبعا بذلك كما سنرى أشواقه في البحث والمعايشة ..

وقد سجل في هذه المجموعة الأولى ، متأخرا ، طرفا من حصاده الشعري خلال ربع قرن ، معلنا أنه بصدد إصدار مجموعة ثانية بعنوان « السفر إلى الداخل » ، كما سجل على الغلاف الخلفي لديوانه المقطع التالي كبطاقة تقديم :

في السادس من تشرين .. عبرت الخط
عبرت الوهم ..
عبرت الخوف ..
عبرت إلى النفس الأولى
وعبرت السور إلى الحب الأول
فعرفت طريق الحب ..
وسرى في دمي الظمآن
ماء حي
فتناولت عقارا ضد الخوف
وثقبت اللؤلؤة الأولى من فن القول
في دفتر أحزاني .

بيد أن هذا الدفتر كان قد خضع لتقسيم آخر إلى حزن أول وحزن ثان ، وكانت العناصر المكونة له قد نضجت لديه قبل ذلك . وبوسعنا أن نرى منذ البداية أن ثمة ثلاثة محاور ، تتقاطع وتتعامد وتتداخل في عالمه الشعري ، لكنها ماثلة دائما لديه ، وهي الحب والحرب والحكم ، ولئن كان الحب هو شغل الجزء الأول من أحزانه ، إلا أنه كان حبا مع وقف التنفيذ ، حتى جاءت بشرى الحرب ، وجدلية الحكم والحرب مازالت تحتل الرقعة الأساسية في حياتنا القومية . وأطراف هذه المعادلة هي التي تكون عالم مختار الشعري من الوجهة الموضوعية ، لكن لا ينبغي أن ننسى أنه عالم من الكلمات في الديوان ، وأن قوامه يعتمد على عملية التخييل الفنية ، إلا أن صلته الحرفية المباشرة بعالم الواقع التاريخي لهذا الجيل تجعلنا نعيد تأمل العلاقة التي أشار إليها « جوته » بين الشعر والحقيقة ، وبين

الشاعر والعصر. وهى علاقة تراكب لا تواكب. كما تجعلنا نتوقف عند أمرين :

أحدهما : أن هذا الشعر فى حريته المحسوبة والمضبوطة فنيا يحتضن بشدة قضية الحياة، ويلتزم فيها ـ كما سنرى ـ بالجانب العام الذى لا يلزم عادة فى الشعر لدى الشعوب المعقاة من ضرائب الدم والخبز والتحرير.

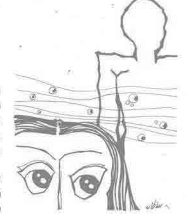
وثانيهما : هو هذا التوصيف الملح للحزن بأنه مصرى : إذ نلاحظ أنه مرهون بتجربة الشاعر الشخصية فى اغتراب القلب ، حتى وإن لم يصاحبه اغتراب اليد واللسان ، فى مجتمع الكويت العربى . ومضاضة هذا الشعور بالاغتراب تتضاعف وتتكاثف وترهف حتى تصبح كالسيف حقيقة كما يقول الشاعر العربى نتيجة لأنه يقع من ذوى القربى بفعل سلوكهم اليومى الذى يتفاقم فى الأزمات حتى يولد لدى شاعرنا إحساسا متضخما يفرض عليه توصيف نفسه ومأكله وملبسه .. ووقع الحياة عليه وعنوان ديوانه . إلا أن هذا التخصيص الذى تم للمنبع لا محيد عن تحوله إلى الشمول عند المصب . وسنرى أن هذه الأحزان وإن كانت مصرية المنشأ إنما هى عربية فى جوهرها ومسيرها ومصيرها .

مثالية الحزن الشعرى

وإذا كان الحزن الشعرى هو العود الأول الذى تنتصب فوقه خيمة هذا الديوان فعلينا أن ندرك ارتباطه الحميم بالفرح المتألق الصافى . فكلاهما يمثل الوجه الثانى للآخر ، وكلاهما ينبع من موقف مثالى يفترض للحياة والتاريخ نسقا مضطردا آمنا سعيدا لا ينبغى له خلل ولا يجوز عليه انقطاع . فإذا جرت الرياح بما تشتهى السفن شيعها بلحظة غنائية جذلة ، وإذا صحا على غير ذلك ثار فيه الشجن وأدركه الأسى وتغنى بأحزانه . فهناك تلازم إذن بين المثالية المفارقة للمادة والغنائية العاطفية الشعرية . أما الموقف المادى اللصيق دائما بدنيا الناس فأقصى ما يمكن أن يولده من أشكال الفن اللغوى المركز إنما هو السخرية والتهكم ، وهما جنس نثرى لا يعبق برائحة الشعر ولا ينبض

■ فى شعره احتضان لقضية الحياة .. وإذا جرت الرياح بما لا تشتهي السُفن شيّعها بلحظة غنائيّة !

■ حُزْنُ الشاعر مُفعم بهذا العطر الغنائي الفوّاح الذي يَنِمُّ عن الفرح المطبوع على صفحته الأخرى !



بروحه فى غالب الأحوال بل يلتقط مفارقات الحياة بوعى يدرك انقطاعها ونسبيتها ، ويضحك من سذاجة الآخرين بنكتة لاذعة ، أو تعليق ساخر . فالغنائية الشعرية تنشد الانسجام الكونى ، وتستثير جمال موسيقى الوجود بعاطفة منعمة بالشجو والحنان . أما السخرية النثرية فتلحظ نشاز هذه الموسيقى ، وتنتقم للقبح والخلل فيها كى تعيدها أيضا لقدر من التوازن والاتساق . وقد تحاول فى بعض الأحيان أن ترتقى بها إلى درجة عليا من هذا الاتزان فينشب عندئذ ما يسمى بروح الفكاهة التى تكاد تلامس عتبة الشعر .

وحزن صاحبنا مفعم بهذا العطر الغنائى الفواح : بل هو حزن شفيف يكاد ينم عن الفرح المطبوع على صفحته الأخرى . فهو يقول فى إهداء الديوان إلى أستاذنا المرحوم الدكتور عبد الحكيم بلبع :

مصرى الفرحة كنت ..
وتشرب من ألق مصرى ..
تشرب يا قمر البهجة ..
يا عصفور بلادى ..
وتلاقينا
فأنا حزن مصرى
أنسج كفنا
أدفن فيه أحزان الوادى
أفتحه بين يديك فتقرؤه
لكن تفرح فرحا مصريا
أعرفه
أعشقه
فأنا أنت ..
وأنت أنا ..
شيئا مصريا كنا
نلغو تحت سماء مصرية .

ولنتجاوز الآن عن هذه اللوثة المصرية المكرورة بعد أن أشرنا لبواعثها . ولننتبه إلى التمازج الحى بين الحزن والفرح فى شخصين يستحيلان إلى شخص واحد يعشق ذاته ، ويصبح فلذة من كيان وطنه المغترب عنه ، والمعذب المستعذب لانتمائه إليه .

وهناك فرق نوعى بين التجارب الواقعية كما نعانيها فى الحياة اليومية ، وبين ظاهرة الانفعالات الشعرية التى تدخل فى بنيته الخيالية . فبينما تعيش الذات الانفعالات التى

شاعر جديد ..وأحزان كبيرة

تعانيها داخليا يقع الانفعال الشعرى على كاهل الأشياء نفسها . فالحزن الواقعى الذى يعانيه شخص ما ليس سوى تعديل فى حالته النفسية نتيجة لمؤثر خارجي . أما الحزن الشعرى فهو على العكس من ذلك يتم التقاطه على أنه خاصية من خواص العالم فسماء الخريف حزينة لأنها رمادية تشير إلى ذبول الكون وانطفاء الطبيعة . والشاعر القدير هو الذي يعثر على المعادل الموضوعى لمشاعره الذاتية فينقلها إلينا بنجاح . كما نرى مثلا فى قصيدة « المستحيل » التى تحاول النفاذ إلى مكنون الحالة الشعرية العميقة عبر حركة القمر فى قوله :

كانت نفسي ترجو شيئا
والليل ملىء
والقمر يعانى فيضانا
فتعشقنى روح أعمى
ينداح صداه بجنون ..
فى أعماقى
فى كل مكان
فتبعث القمر بأشواقى
من ألف زمان
مبسوط الأيدى للريح
لأقول كلاما للقمر المجروح
وهو يعانى الفيضان

أطياف القرية

وكلما تقدمنا خطوة فى قراءة هذه المجموعة الشعرية ، تراءت أمامنا أخيلة القرية بكل أبعادها ، كما اختزنها الشاعر فى وعيه ولا شعوره ، بحقائقها وأساطيرها ، بمفرداتها من الناس والأشياء ، فهو يقدمها بقوله :

وقريتنا
بها جبل كثير الملح
ينام على ذراع الشمس
وقريتنا بها نهر شجى الهمس
ويجرح صدره الفتيات قبل الشمس ..
وبعد الشمس
وكل فتاة ..
بها من نكهة الصحراء ......
بها من نهرنا الوردى طعم الماء
وحين تمصمص الأشجار
دماء الشمس .

فيضعنا إزاء صورة فنية لقرية مثالية ، ترفل فى نعمة الرضى بخيرات الله ، وتبرز فيها الفتيات بنكهة الصحراء فى مخيلة الشاعر الشاب الذى يتسامى بالواقع إلى عالمه الغنائى المحلق فوق المادة ، لا يكاد يلمسها أو يختلط بها ، ولا يتعرض لزخمها ومتغيراتها .

وهى صورة ليست رومانسية ، كما يتوهم الشاعر وهو يدافع عنها فى تذييله . بل هى شعرية مثالية تقدم رؤيته لما هو جوهرى ودائم فى قريته . وهى تختلف بطبيعة الحال عن رؤية صلاح عبد الصبور مثلا كما تتجلى فى « الناس فى بلادى » ونموذج « زهران » ، وعن عفيفى مطر فى كتاباته عن الطين والقرية ، ولكنها تسلك طريقا خاصا فى استيعاب وتمثيل معطيات الواقع بحدقتها الشعرية .

فمختار ينتزع من قلب القرية بعض الأنسجة الحية ليدرجها فى سياقه الإبداعى وهو يتحدث مثلا عن طائره الأخضر ، رامزا به لطاقة الخلق الشعرى عنده فيقول :

وقريتنا بلا قمر
تخاف الذئب والعفريت والنداهة
يوشوش الطائر الأخضر
« بنات الجنة الحور
دعى أقمارنا السوداء للنور »
على عينى بنات الحور
أخاف عوادى العفريت والديجور
وقريتنا بلا قمر
كمقبرة بغير أوان
تطوف بى ...
على جزر من النسيان
على أبواب قلب الليل « نداهة »
طبول مسافر لاغب
تسائل فى جنون الليل عن غائب
تطالعها عيون الوحش مذعورة
على بوابة الغابة
تؤرقها نداءات من الغيب
تنادى ..
فى سبيل الله مبهورة
تغنى .. « يابنات الجنة الحور
دعى أقمارنا السوداء للنور »

فأسطورة النداهة ، والقمر المختنق ، وحوريات الجنة ، يوظفها الشاعر من هذا التراث القروى الحى فى وجدانه للدلالة على لحظات الحصر وفترة الوحى الشعرى . فتعطشه للخلق ، وحاجته لثمار الشعر الناضجة وطيوره الخضراء مثل حاجة قريته لضوء القمر ، كى يدفع عنها الخوف والقلق ويعيد لها السلام مع بنات الجنة الحوريات .

وقد لا يستخدم الشاعر أسطورة قروية محددة . وإنما يستقطر من حياة القرية اليومية ملمحا حميما ليتخذه محورا غنائيا لإيقاع قصائده من الوجهة الصوتية والدلالية معا . ويبنى عليه بلغته الشعرية سلسلة من المتواليات التى تخضع لنمط نحوى أو معجمى مكرر ، فتنهمر هذه المتواليات حتى تولد لدى القارىء شرارة الاستجابة ولذة التلقى الجمالية . ولعل قصيدة « البحث عن إنسان » أوضح نموذج لذلك . فما من مثقف عربى هزته نكسة ١٩٦٧ وفجعته فى أحلامه إلا وقد انتابه الشك فى هذا الإنسان العربى وشعر بضياعه . حينئذ يعمد الشاعر إلى مركز منبعث من حياة القرية التلقائية « يا أولاد الحلال » وينسج حوله خيوطه على النحو التالى :

السوق والدلال
وكل أولاد الحلال
صدى يموت فى شواطىء المدينة
تمتصه تخومها الحزينة
ياكل أولاد الحلال
طفل صغير ضائع
يدور فى الأسواق والشوارع
عشرون عام
يبحث فى ذاكرة الأيام
عن أمه الأرض وبيته الحرام
الليل فى نهاره
النار فى أمطاره
الثلج والحديد فى إزاره
ونجمة بعيدة المنال ..
تغوص حتى الموت فى قراره

وليس علينا بعد ذلك أن نبحث عن التقابلات المقصودة بين القرية الفطرية البريئة والمدينة المتوحشة التى يموت الصدى على تخومها ، ولا بين الطفل والإنسان العربى التائه عن أمه وبيته . فحسبنا أن نلتقط الإيقاع الأول ونتدرج معه فى تواليه وتكثفه الصوتى والدلالى حتى نصل إلى المقطع ثم القرار الأخير ، فلا نملك إلا أن نحس مع الشاعر

بوطأة الغوص حتى الموت بحثا عن النجاة والحياة.

الشعر والحقيقة

إذا أخذنا بقول هيجيل: «بما أن الكلمات نفسها ليست سوى رموز تمثل أحوالا خارجية. فلا ينبغي البحث عن أصل لغة الشعر في اختيار الكلمات، ولا في طريقة نظمها، ولا في صورتها وإيقاعها، وإنما في كيفية تمثيلها وتصويرها للأشياء، وإذا أدركنا أن هذه الكيفية هي التي تحدد المذاق الخاص الذي يجعل القصيدة تثير فينا حالة شعرية، على أساس أن شعر اللغة إنما هو بنية توازي شعر الحياة وتفجرها. تجلى أمامنا العصب الأخير الذي نريد أن نبرزه من مكونات العملية التخييلية في هذه المجموعة الشعرية. وهو عصب مستوفز. يثيره عمق المعايشة للحدث وللكلمة معا، بالرغم من الأثير المثالي المتدثر به. وقد انتبه الشاعر لهذه الخاصية لديه. وعزا إليها سر اصطفافه لبعض الأشعار وطرح البعض الآخر. بيد أن بوسعنا أن نعزو إليها أمرا آخر أشد أهمية وحسما في تكوين الشعر وأقوى على النهوض به. وهو القدرة على استحضار الحالة الشعرية والتلبس بها عبر الكلمات. وتوظيف جملة من الإشارات الصوفية لوضعها في سياقها النفسي المتسق مع المعطيات التراثية والمعاصرة دون تكلف أو افتعال. وقد رأيناه مثلا في الإهداء يقول لصاحبه «فأنا أنت. وأنت أنا» ويشير في «مرثية رجل حي» إلى اللحظات الصوفية المرهفة عندما يجن الليل وتنام العيون ويخلو كل حبيب بحبيبه. وإن كان يبلغ من ذلك غايته حينما يستثير قصة النبي ﷺ مع عمه ليتناول من ثناياها مشكلة الحكم وموقفه كشاعر إذ يقول:

قلها ياعمى لا تجبن
أشفع لك فيها عند الله
الله... الله..
لو عطرت لسانك يا عمى بالله
لو تعرف أن الخلق عيال الله
لو تعرف أن الأولى حلم الأخرى
وأنا فيها كلمة حق تنذر باليقظة والوعى
تعرف أنك لو قلت..
ستختصر الأرض..
وترتفع بأحلام الإنسان
حتى يرقى في كل سماء قمرا أخضر..
تقرؤه العينان..
لو تعرف ياعمي كم أحببتك
أعرف ياولدى أنك يقظة حلم باطل
تحلم ياولدى بعيون مفتوحة
أعرف أنك ظله:
وهو الأول والآخر والظاهر والباطن
لكن ياولدى لو قلت..
سيعيرنى قومى.

.....

وبكيت كثيرا
ونسيت
في سورة حبى له..
أنى لا أهدى من أحببت

.....

وتتكرر هذه الخاتمة في عدة قصائد. مما ينبىء بأمر دال. وهو أن شاعرنا الذى لا يتخلى عن مثاليته يرفع سلاح الحب. ثم لا يلبث أن يرتد إليه. لأنه لا يهدى من يحب، وتصبح الكلمة الشاعرة أداته الوحيدة للتغيير وهي قادرة عليه: إن نجحت في تعميق الوعى بالواقع وبعث روح الشعر في الحياة، ليوازن نثريتها وقبحها وتطرفها.

وهنا تبرز لنا مرة أخرى أطراف المعادلة التي أشرنا إليها من قبل في هذه المجموعة الشعرية. والتى تستغرق مساحتها الموضوعية، وهي ثلاثية الحب والحرب والحكم. فمدخل شاعرنا لابتلاع القضايا العامة لم يكن المنظور الاجتماعي كما حدث لدى الشعراء الآخرين: وإنما استغرقته - كما استغرقت جيله - قضية الحرب الضرورية تجاه العدوان الاستيطاني الضارى، ونفذ من تجربته في معاناتها فشلا ونجاحا نسبيا إلى التطرق لحتمية ترتيب الوجود القومي العربي في علاقة الشعب بالسلطان. متدثرا دائما برداء الشاعر النبي الطفل، ومتسلحا بالحب المثالي والحزن الذى ينزف من كلماته وينتشر كالهواء في خيمة خياله الشعرى.

صلاح فضل

■ كيف صورلنا أخيلة القرية كما اختزنها في وعيه ومن خلال سياقه الإبداعي؟

■ الكلمة الشاعرة أداته الوحيدة للتغيير، وهي قادرة على بعث روح الشعر في الحياة لمواجهة القبح والتطرف



هوامش

حول الأدب الفلسطيني تحت الاحتلال

بقلم
علي الخليلي

نَتجتْ عن الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة في الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ ، ثلاث ظواهر أدبية ميزت الحركة الأدبية العربية في هذا الجزء من فلسطين :

أولا : تلاحم حركة الأدب في الضفة الغربية مع الأدب في قطاع غزة ، وكان هذا مقطوعاً منذ عام ١٩٤٨ .

ثانيا : تلاحم الحركة الأدبية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، مع الأدب الفلسطيني في (أرض ١٩٤٨) وكان هذا مقطوعاً منذ آيار ، مايو ، سنة ١٩٤٨ .

ثالثا : انقطاع الحركة الأدبية في كل الأرض المحتلة عن العالم العربي . فالضفة الغربية كانت ترتبط بهذا العالم عبر الأردن ، أما قطاع غزة ، فعبر مصر .

وهناك ظاهرة رابعة لم تنضج ولم تتبلور ، وهي « إكتشاف » بعض الأدباء الفلسطينيين المعنيين بشؤون البحث والدراسة ، للقليل من الأدب العبري ، من خلال قراءته بلغته الأصلية . أو من خلال الترجمات العربية النادرة له . اضافة الى « اكتشاف » بعض الأدباء الاسرائيليين ، بالصدفة المحضة ، للقليل من الأدب الفلسطيني في الضفة والقطاع المحتلين .

وهناك أيضاً ظاهرة خامسة لم تأخذ الاهتمام الكافي بعد ، تتمثل في أدب السجون والمعتقلات من خلال هذه الظواهر ، يتحرك أدباؤنا تحت سقف الاحتلال الصهيوني : في مواجهة صعبة وعنيفة ، تفرضها الرقابة العسكرية الاسرائيلية على كل الانتاج الأدبي ونشره وتوزيعه . فلم تنشأ دور نشر كبيرة محلية ومتخصصة بالكتب الأدبية ، كما لم تنشأ أي مؤسسة للتوزيع . ولعل الاغلاق المتكرر لبعض المكتبات التجارية ومصادرة آلاف الكتب منها ، من قبل الحكام العسكريين الاسرائيليين واضطهاد أصحاب هذه المكتبات وملاحقتهم بالاعتقال والغرامات الباهظة ، في نابلس وغزة والخليل ورام الله وجنين وكل مدن وقرى ومخيمات الأرض المحتلة ، اضافة إلى بعض المكتبات في أرض ١٩٤٨ (اسرائيل) نفسها — مكتبة الأسوار في عكا مثلاً — هو الذي جعل التجار — على سبيل المثال — يبتعدون عن تجارة الكتاب . فلا يجرؤون على إنشاء مؤسسات تجارية لطباعة وتوزيع الكتب . كما جعل المثقفين والمؤسسات الوطنية غير قادرين على متابعة هذا الشأن .

وتلك مجرد « صورة » متواضعة جداً عن المعاناة الجادة لخلق حركة أدبية عربية فلسطينية في وطننا المحتل .

يتركز هذا « الخلق » الأدبي ، عبر الوسائل التالية :

— النشر في الصحف والمجلات المحلية ، مثل : مجلات « الفجر الأدبي » ، « البيادر » ، « الكاتب » ، « العهد » ، وصحف : الفجر ، القدس ، الشعب ، الميثاق ، الطليعة ، وكلها تصدر في القدس (بمعنى الجزء الشرقي من القدس ، وقد ضمته اسرائيل إليها بعد العام ١٩٦٧) ، اضافة إلى النشر في صحيفة « الاتحاد » ومجلة « الجديد » الصادرتين في حيفا ، والممنوعتين من التوزيع في الضفة والقطاع المحتلين .

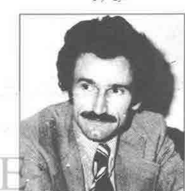
— إقامة الندوات والمحاضرات والمهرجانات الأدبية في القدس (على أساس محاولة الاستفادة من هامش الحد الأدنى الذي يمكن أن توفره القوانين العادية) ، حيث أن إقامة مثل هذا النشاط في باقي الأرض المحتلة ممنوع إلا بموافقة مسبقة من الحكام العسكريين ، وهي موافقة مستحيلة .

— نشر الكتب من خلال المؤسسات الصحفية ، أو عن طريق المطابع العادية التجارية ، وغالباً ما تكون هذه الكتب على حساب المؤلفين أنفسهم مع ذلك ، فإن هناك

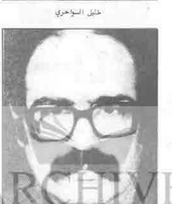


فدوى طوقان

خليل السواحري



محمود شقير



علي الخليلي

دار نشر الأسوار في عكا ، وهي تقوم منذ بضع سنوات ، بطباعة ونشر وتوزيع كتب أدبية وفكرية .

ومن الملاحظ أنه لم ينشأ حتى الآن اتحاد عام للكتاب ، رغم نشوء عدة تجمعات أدبية تحت أسماء مختلفة ، وذلك بسبب واقع الاحتلال نفسه .

الانتاج الأدبي

كان الشعر هو الغالب على كل الانتاج الأدبي في الأرض المحتلة . ولعل بقاء الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان في نابلس ، واستمرار نشاطها ، هو أبرز مؤشر لهذه الغلبة الشعرية المؤثرة . مع ذلك ، فقد تميز قطاع غزة بالنتاج القصصي . وقد يكون السبب في ذلك اقتراب القطاع — حتى العام ١٩٦٧ — من مصر ، مما عكس تطور القصة القصيرة المصرية عليه ، الا أن الوضع تغيّر بعد عام ١٩٧٣ ، حيث استطاعت القصة القصيرة أن تنتشر فعلياً في كل الأرض المحتلة . وبصدور مجلة « البيادر » في القدس في العام ١٩٧٦ ، بدأ القصاصون الشبان بنشر قصصهم القصيرة فيها . فظهرت أسماء جديدة تماماً مثل : محمد أيوب ، سحر خليفة ، زكي العيلة ، جمال بنوره ، ابراهيم الزنط ، محمد كمال جبر ، عادل الأسطة ، فضل الريماوي وغيرهم . وكان محمود شقير وخليل السواحرى اللذان أبعدتهما السلطات الاسرائيلية الى الاردن ، قد ساهما فعلياً في تطوير القصة . وقد برزت في هذا المجال قصص محمود شقير « خبز الآخرين » .

توالت المجموعات القصصية والروائية بعد ذلك ، إلا أنها بقيت دون الشعر ، تحاول أن « ترصد » واقع الاحتلال ، وأن تقاوم بطبيعة الحال . ولكنها لم تستطع تجاوز « رومانسيتها » الواضحة . فالأبطال كلهم « ايجابيون ثوريون » والحبكة القصصية قريبة من التقرير الصحفي .. الخ .

واجهت الرقابة العسكرية الاسرائيلية انتشار القصة بـ « ضربات » عدائية صارمة فقد أدّى مجرد عنوان القصة لاضطهاد القاص واعتقاله ! ومن ذلك ، مجموعة قصص « الوحش » لمحمد أيوب في قطاع غزة ، اعتقل الكاتب ، وحقّق معه حول مصطلح « الوحش » .. من هو الوحش ؟ ولماذا الوحش ؟ اسرائيل ؟ الاستيطان ؟ .. الخ .

ومن المؤكد أن عناوين المجموعات القصصية والروايات رغم قلتها — لا تثير الرقيب الصهيوني فحسب ، وإنما هي بالفعل ، تؤشر لمضمون واضح لها أيضاً ويمكن أن نتابع هذا « الوضوح » في عناوين المجموعات التالية التي صدرت عبر السنوات العشر الماضية :

الحصار : رواية — أديب رفيق محمود
الطوق : رواية — ابراهيم الزنط
الصبّار : رواية — سحر خليفة
المفاتيح تدور في الاقفال : رواية — علي الخليلي
الوحش : قصص قصيرة — محمد أيوب
العطش : قصص قصيرة — زكي العيلة

وهي عناوين تعكس واقع الاحتلال مباشرة ، من الطوق والحصار حول المدن والقرى والمخيمات ، إلى الاقفال — السجون — إلى مواجهة « الوحش » الاحتلال ومقاومته ، إلى العطش — بمعنى الصمود — إلى الصبّار ، بمعنى الاستمرار رغم القهر .. الخ .

ونستطيع أن نضيف لهذه العناوين التي أخذناها كأمثلة فحسب ، ثلاث مجموعات جديدة صدرت لمعتقلين هم : عادل وزوز ، محمد خليل عليان ، محمد أحمد أبو لبن : صبراً يامالك الموت (شعر) نداء من وراء القضبان (شعر) ، ساعات ما قبل الفجر (قصص) .

ولعل « ساعات ما قبل الفجر » ، كمثال ، توضح المضمون التفاؤلي الذي يصل الى الرومانسية الثورية — إذا جاز التعبير — ألم تدمج فدوى طوقان بين « الليل والفرسان » في احدى مجموعاتها الشعرية ، ان « الفروسية » هي « الفجر » ذاته في هذه الثورة المحاصرة . كذلك ، محمود درويش ، قبل أن يأخذه المنفى ، ألم يُصدر مجموعته الشعرية في حيفا تحت عنوان « آخر الليل » ، وهو « الفجر » أيضاً ؟!

البترول إلى أين؟

قضية الساعة وحديث شامل مع الشيخ راشد بن عويضة آل ثاني

قال الشيخ راشد بن عويضة آل ثاني مدير عام المؤسسة العامة القطرية للبترول إن هناك تدهوراً ملحوظا فى أسعار البترول ، بسبب وجود فائض نفطى في السوق ، مما أدى إلى انخفاض الأسعار ، وبسبب وجود المضاربات بين الدول المنتجة للبترول ..

وكان يجيب بذلك على سؤال طرحته عليه « الدوحة » خلال حديث شامل عن البترول وقضايا البترول التى تشغل العالم الآن ..

وكان مما قاله الشيخ راشد أيضا إن أسعار البترول يمكن أن تعود للاستقرار فى حالة واحدة ، هى اتفاق أعضاء الأوبيك على انتاج معين ، وتوقع فى هذه الحالة أن يتراوح سعر البرميل بين عشرين واثنين وعشرين دولاراً .

وفى حديث الشيخ راشد الشامل والمفيد اضاءات جديدة على قضايا متعددة حول هذا الموضوع الحيوى الهام ، وأخبار سارة عن مستقبل الغاز والتصنيع فى قطر ، والبدائل التى تهدد البترول ، والجهود الملقاة على عاتق شبابنا العربى ..

وهذه هى الصورة الكاملة لهذا اللقاء الهام ..

البترول وقضايا البترول الخاصة بالأسعار والانتاج ، والبدائل المنافسة ، والمستقبل الذى ينتظره كمصدر هام للطاقة .. كلها نقاط ساخنة يثور حولها الجدل ، وكانت ومازالت وستظل حديث العالم من حولنا لسنوات طويلة ..

فالبترول كطاقة مازالت له السيادة ، والاعتماد اقتصاديا عليه مازال يمثل أساسا ثابتا وقويا لكثير من الدول ، والصناعات التى تعتمد عليه هى صناعات حية ، عملاقة ..

من هنا فإن الحديث حول البترول والقضايا المتصلة به هو حديث الساعة وكل ساعة ، ولهذا حملت كل مايدور فى الأذهان حولها ، وتوجهت إلى أحد الرجال الذين يغوصون فى أعماق هذه القضايا الحيوية بمهارة وثقة ومعرفة ..

الرجل هو الشيخ راشد بن عويضة آل ثانى المدير العام للمؤسسة العامة القطرية للبترول ..

ودعونى أقدم لكم أولا بطاقته الشخصية ..

لقد حصل الشيخ راشد بن عويضة آل ثانى على بكالوريوس فى الاقتصاد من جامعة ميتشجان الأمريكية فى ديسمبر ١٩٧٦ ..

ثم حصل أيضا على دورة فى التطوير الادارى من جامعة شيكاغو..

■ الاستقرار يعود في حالة واحدة : اتفاق أعضاء الأوبيك على حد إنتاج معين

■ حقل الشمال يضع قطر ضمن الدول الخمس الأولى المالكة لأكبر مخزون من الغاز الطبيعي



الشيخ راشد بن عويضة آل ثاني

وقد شغل الشيخ راشد عدة مناصب في قطاع البترول ..

من هذه المناصب : نائب مدير عام المؤسسة العامة القطرية للبترول ، وعضو مجلس ادارتها ، ورئيس مجلس إدارة الشركة العربية البحرية لنقل البترول ، ورئيس اللجنة التنفيذية الفنية لمشروع تطوير حقل الشمال ، وعضو مجلس إدارة شركة قطر للغاز المسال ..

ولقد صدر القرار الأميري بتعيين الشيخ راشد مديراً عاما للمؤسسة العامة القطرية للبترول في الخامس والعشرين من نوفمبر عام ١٩٨٥ ..

وبدأت في حياته منذ ذلك الوقت صفحة جديدة من العطاء الدائم والمتصل ..

وكانت فرصة لاثبات وجوده كشاب قطري متحمس ، ومسؤول يعرف كيف يؤدي دوره بعلم ومقدرة وأمل كبير في المستقبل ..

من هنا كان الحديث معه مشرقا ، حيا ، متجدداً ، حتى وان دار حول أهم القضايا وأخطرها .. قضايا البترول ..

وكان طبيعيا أن يبدأ الحديث عن المؤسسة العامة القطرية للبترول : جهودها ، مشروعاتها والمسؤوليات التي تتولاها ..

وأخذ الشيخ راشد بن عويضة آل ثاني في الحديث التفصيلي عن المؤسسة بكل فخر واعتزاز ..

أن المؤسسة القطرية للبترول تسعى الى تحقيق هدفين متكاملين ..

الهدف الأول هو تطوير ثروات البلاد الهيدروكربونية ، والهدف الثاني هو تطوير الكوادر البشرية الوطنية العاملة في مجال صناعة النفط والغاز ..

من أجل هذين الهدفين تنشط المؤسسة نشاطا يستحق التسجيل والاشادة ..

إنها مثلا تضطلع بمهام تطوير عمليات الاستكشاف ، وحفر الآبار الاستكشافية التقييمية ، وآبار التنمية في المناطق البرية والبحرية من البلاد ..

في الوقت نفسه فإنها تتولى تطوير عمليات انتاج النفط والغاز بما يتفق ومصلحة البلاد وخطتها التنموية ، وبما يتماشى مع سياسات منظمة الأقطار المصدرة للبترول (أوبك) ..

ومن ناحية أخرى فإن المؤسسة تواصل تلبية احتياجات السوق المحلية من المنتجات البترولية المكررة عبر مصفاة أم سعيد ، وتوفير فائض من الانتاج لأغراض التصدير ، كما تقوم بتصدير سوائل الغاز الطبيعي التي ينتجها مصنع سوائل الغاز الطبيعي بوحدتيه بأم سعيد ..

وتنتج المؤسسة أيضا البتروكيماويات مثل الاثيلين والبولي إثلين منخفض الكثافة ، والكبريت من خلال شركة قطر للبتروكيماويات ، وكذلك الأسمدة الكيماوية (الأمونيا واليوريا) من خلال مجمع الأسمدة الكيماوية ..

وكل هذا وغيره يتم الى جانب الحرص على تدريب القوى الوطنية العاملة في هذه الصناعة الرئيسية ، بتوفير الدورات التدريبيه الادارية والفنية داخل قطر وخارجها ، ومن أجل هذا الغرض فإن هناك إدارة خاصة قائمة بذاتها تتولى التدريب والتطوير ..

وهناك في الوقت الحاضر خطوات متصلة تقوم على أسس مدروسة ، من أجل المضي في تنفيذ مشروع تنمية حقل الشمال ، عن طريق انتاج الغاز غير المصاحب من الحقل ، بهدف تلبية احتياجات قطر من الطاقة لفترة طويلة .

قادمة ، ولتصدير الغاز غير المصاحب الى الدول المجاورة والأسواق العالمية ..

وهنا كان لابد أن أسأل الشيخ راشد بن عويضة آل ثاني عن حقل غاز الشمال : ماذا يقدم لقطر والخليج والعرب والعالم ، وكيف يمكن تصور حياة قطر بعد اشتغاله بالكامل ، كيف ستزداد صورة التقدم فيها ؟ ..

وكانت الاجابة التفصيلية الشاملة جاهزة على لسانه ..

قال الشيخ راشد ان تنفيذ هذا المشروع سيتم على مراحل ، حسب نمو الطلب الداخلي على الغاز ، وتوفر الأسواق الخارجية المستوردة له ..

وبالنسبة للمرحلة الأولى فإنها تهدف أساساً لتلبية الاحتياجات المحلية .. ولقد قطعت الأعمال الهندسية الخاصة بهذه المرحلة خطوات متقدمة نسبيا ، ويقدر أن يبدأ انتاج الغاز في نهاية عام ١٩٨٨ على وجه التقريب .

والحقيقة أن حقل الشمال يضع قطر ضمن الدول الخمس الأولى المالكة لأكبر مخزون من الغاز الطبيعي في العالم ..

ومن هنا لك أن تتصور صورة المستقبل .

انها ستكون مشرقة بكل المقاييس ، ولسوف يتعكس ذلك على كل المجالات ..

ان حقل الشمال هو بالفعل من أكبر التجمعات المنفردة للغاز الطبيعي التي تم اكتشافها حتى الآن ، ان لم يكن أكبرها ..

ولقد اكتشف في عام ١٩٧١ في المنطقة البحرية الواقعة الى الشمال الشرقي من قطر ..

وتبلغ مساحته حوالى ٦٠٠٠ كيلومتر مربع (٢٣٠٠ ميل مربع) ..

وتقدر احتياطيات حقل الشمال بحوالى مائة وخمسين تريليون قدم مكعب (٤،٢ تريليون متر مكعب) من الغاز الطبيعي غير المصاحب .. أي الذي لا يرتبط انتاجه بانتاج النفط الخام ..

وبالامكان وفقا لذلك انتاج حوالى ٤٠٠٠ مليون قدم مكعب من الغاز في اليوم لحوالى مائة عام ..

وهذا المعدل من الانتاج يكفي احتياجات قطر المتطورة من الغاز مع توفير كميات ضخمة للتصدير ..

وتسألني عن تكاليف المشروع وأجيبك بصراحة إنها تكاليف باهظة تقدر بعدة بلايين من الدولارات ..

هذه التكاليف يتطلبها مشروع تنمية حقل الشمال والمشاريع المتصلة به لتصدير الغاز ، سواء أكان ذلك تسهيلات انتاج أو خطوط أنابيب أو مصانع لتسييل الغاز ..

ولأعطيك تفصيلا أكثر ..

ان من المقدر أن تزيد تكلفة المرحلة الأولى لتنمية الحقل في سبيل تلبية الاحتياجات المحلية من الغاز عن البليون دولار ..

لكن من المقدر في المقابل أن تصل جملة تكلفة المرحلة الأولى والثانية للمشروع ، بهدف سد احتياجات الاستهلاك المحلي وتصدير حوالى ٦ ملايين طن في السنة من الغاز المسال ، الى حوالى خمسة بلايين دولار ..

وتسألني أيضا عن الدول التي من المتوقع أن تتسوق حاجتها من الغاز المنتج من حقل الشمال ، وهذه هي الاجابة

ان تكلفة نقل الغاز في الحقيقة تشكل عبئا كبيرا على مشاريع تصدير الغاز

لذلك فكلما كانت الأسواق المستهلكة أقرب الى منطقة الانتاج ، كانت اقتصاديات المشروع أفضل بالنسبة للدول المنتجة للغاز

.. والتصـــدير

وعلى هذا الأساس فإن المشروع القطري يتطلع حاليا لتصدير جزء من الغاز إلى الدول المجاورة في مجلس التعاون لدول الخليج العربية ..

وفي الوقت نفسه فإن المشروع يتطلع الى تصدير جزء آخر الى أسواق الدول الصناعية المستهلكة في جنوب شرقي آسيا ، ولا سيما اليابان ، والى دول أوربا الغربية ، وتركيا ..

ولقد تم من أجل هذا الهدف الكبير تأسيس شركة قطر للغاز المسال ، قطر للغاز ، بهدف إقامة مشروع لتسييل الغاز بطاقة ٦ ملايين طن في السنة (حوالي بليون قدم مكعب من الغاز في اليوم) ، وتصديره الى الأسواق العالمية ..

ويساهم في شركة ، قطر للغاز ، كل من المؤسسة العامة القطرية للبترول وشركة البترول البريطانية (BP) وشركة البترول الفرنسية (CFP, TOTAL) وشركة ماروبيني اليابانية ..

وإضافة الى ذلك ستقوم شركتا البترول البريطانية والفرنسية بتقديم المعونة الفنية للمؤسسة لتنفيذ مشروع حقل الشمال ، بينما ستعمل شركة ماروبيني على تأمين السوق للغاز المسال القطري في اليابان ..

هذه هي الصورة كاملة عن حقل غاز الشمال في قطر .. وهي صورة تعبر عن التقدم المستقبلي ، والذي سينعكس على جوانب الحياة على هذه الأرض الطيبة ..

لكن ماذا عن مد خط غاز لتركيا ، وما هي الحقيقة وراء تصدير الغاز القطري الى دولة الكويت ؟

هكذا عدت أسأل استمراراً لموضوع غاز الشمال ..

وقال الشيخ راشد بكل هدوء :

بالنسبة لخط الغاز الى تركيا فلقد أثارت الحكومة التركية موضوع هذا المشروع خلال زيارة سمو أمير البلاد لتركيا في العام الماضي ..

وعلى هذا الأساس فقد تشكلت لجنة لدراسة امكانية تصدير الغاز لتركيا ، ومنها الى أوروبا ..

وقد اجتمعت اللجنة بالفعل في يونيو من العام الماضي بالدوحة ..

وكان من الضروري استطلاع آراء المسئولين الأتراك حول عدد من النقاط الهامة ..

فهل هناك احتياجات كبيرة من الغاز في تركيا ، وهل هناك صناعات قائمة بالفعل على الغاز ، أم أنه سيتم انشاء صناعات جديدة ؟ ..

ولقد كان هذا الطرح ضروريا قبل البدء في إنشاء الخط وبخاصة وأن تكلفته ستكون عالية جداً ..

ولقد قدم المسؤولون الأتراك خلال الزيارة الأخيرة لفخامة الرئيس التركي لقطر ، دراسة حول احتياجات تركيا من الغاز خلال السنوات العشر المقبلة ..

ويتضح من هذه الدراسة أن كميات استهلاك تركيا للغاز قليلة جداً .

فمعظم الصناعات هناك تولد الطاقة اللازمة لها من خلال البترول والفحم ..

لكن اتضح أنهم يدرسون فكرة مد الغاز القطري لتركيا ، بحيث يستغل جزء هناك بينما يتجه الجزء الآخر الى أوروبا ..

وفي الوقت نفسه في تصورهم أن تقوم



الشيخ راشد بن عويضة آل ثاني أجاب عن كل التساؤلات المطروحة

■ لن نكون وحدنا في مواجهة الوقت الصعب إذا استمر تدهور السوق العالمية

■ شبابنا القطري بخير والشباب العربي بوجه عام يزداد عطاؤه بالعلم والإيمان

صناعات بتروكيماوية بين قطر وتركيا ، كأساس لاقامة صناعات مشتركة تصدر انتاجها لأوروبا وللعالم ..

لكنه مكلف

والحقيقة أن هذا المشروع برغم أنه حيوى وهام : إلا أنه مكلف ..

وحتى الآن لم نقم بأى دراسات اقتصادية حوله ..

وفى اعتقادى أنه إذا كان الهدف من هذا المشروع هو تزويد أوربا بالغاز . حيث تحتاج إليه بشدة . فإن المبرر يكون موجوداً ..

وفى هذه الحالة ستكون الأسعار مناسبة مادامت ستكون هناك سوق جديدة ..

لكن إذا اقتصر المشروع على الكميات البسيطة التى تحتاجها تركيا ، فإن المنطق الاقتصادى لا يبرر إنشاء هذا الخط في الوقت الحاضر ..

ونأتى إلى سؤالك عن تصدير الغاز القطرى للكويت ..

وماذا فى هذا التعاون الخليجي ؟ .. أليس هو المطلوب دائما فى كل المجالات ؟ ..

لقد كانت هناك اتصالات بالفعل مع الكويت ..

وفي الوقت نفسه قمت بزيارة مؤسسة البترول الكويتية ، وناقشت مع المسؤولين فيها امكانية تصدير الغاز القطرى للكويت الشقيقة ..

ونحن فى انتظار الرد على هذه المبادرة ..

ونحن فى الواقع على استعداد من جانبنا لتزويد الكويت ودول مجلس التعاون بالغاز القطرى إذا طلبت منا ذلك ..

وكان لابد أن أثير مع الشيخ راشد موضوع أسعار البترول ، وكان سؤالى هو هل هى فى رأيك فى انخفاض دائم ، أم يمكن أن تتجه إلى ثبات نوعى واستقرار إلى حد ما ، أم يجوز أن تصل إلى ارتفاع معقول .. ولماذا ؟ ..

ونظر إلى الرجل بثبات وقال بثقة :

ــ الحقيقة أن هناك تدهوراً ملحوظا فى أسعار النفط ..

وأسباب هذا التدهور كثيرة ..

لكن أهمها فى الواقع عدم تعاون الدول خارج منظمة الأوبيك فيما يتصل بالانتاج .

ولقد أدى هذا إلى وجود فائض نفطى فى السوق ..

وهذا بالتالى أدى إلى انخفاض الأسعار بشكل ملحوظ ..

ويضاف إلى ذلك أيضا وجود المضاربات بين الدول المنتجة للبترول .

ولاشك أن هذه المضاربات هى من الأسباب الرئيسية لما نراه من تردى الأسعار وهبوطها بشكل واضح ..

اذن فإن الجانب التفاؤلى فى سؤالك عن الأسعار لا مبرر له ..

وعموما فإن سوق الأسعار آخذة فى التدهور ..

وهذه هى الحقيقة التى تعمل الدول المنتجة على مواجهتها ..

لكن ياشيخ راشد ــ هكذا عدت أسأله ــ ما هى القوى التى تتحكم فى رأيكم فى أسعار البترول ، وإلى أى حد يمكن مواجهة هذه القوى إن وجدت والحد من تأثيرها ؟

ــ الأمر ليس فيه قوى خفية كما قد يتصور البعض ..

المسألة ببساطة وكما قلت لك هى عرض وطلب وفائض ومضاربات ..

ووسط هذا كله لابد أن تكون هناك كلمة واحدة من الدول المنتجة ..

طيب هل الأوبك تقوم بدورها كما يجب فى

هذا الصدد . ويزداد نشاطها من حين لآخر ام انها في وضع لا تحسد عليه ، وفي موقف صعب ؟

— وما هي الأوبك أصلا ؟ .. إنها مجموعة الدول المنتجة للبترول ، وهي قادرة على أن تجعل من هذه المنظمة قوة فاعلة ، مؤثرة .. وفي اعتقادي أن هذا حاصل ، لكن الظروف كثيرة ، والملابسات لا حد لها ، والأمل كبير في عمل فعال ..

خطوة للاستقرار

وهل يتم ذلك في رأيك في الاجتماع المقبل للأوبك ، أم أن الوضع سيكون على ما هو عليه دون تغيير ؟

— من المؤكد أن هناك قرارت مصيرية ستصدر عن هذا الاجتماع المقبل لمنظمة الأوبك ..

وفي اعتقادي أنه من الممكن أن يعود الاستقرار للأسعار في حالة واحدة ..

أتدرى ما هي ؟

إذا إتفق أعضاء الأوبيك على انتاج معين .. عندئذ ترتفع الأسعار إلى مستوى محدد .. وفي هذه الحالة سوف تعمل الدول على المحافظة على ثبات الأسعار ، حتى تضمن استقرار السوق ..

وما هي توقعاتك بالنسبة لسعر البرميل في حالة اتفاق دول الأوبك على صيغة معينة للانتاج ؟

— أتوقع أن يتراوح سعر البرميل في هذه الحالة بين ٢٠ و٢٢ دولاراً ..

طيب وكيف تؤثر الأوضاع النفطية الحالية على تسويق النفط القطري ؟

— بصراحة لا صعوبة في الوقت الحالي ، لكن الصعوبة قد تأتي مع استمرار تدهور السوق العالمية ، ولن نكون وحدنا في هذا الموقف ، ستواجه الدول الأخرى نفس الظروف ..

أعود وأسألك ياشيخ راشد عن البترول كطاقة : هل أصبح مهدداً في المستقبل القريب ، وهل تغنى البدائل عنه في أوروبا ، وكيف يمكن أن تواجه الدول البترولية هذا الموقف المتغير ؟

— في الحقيقة الدراسات مستمرة في هذا المجال الهام ، وفي اعتقادي أن بدائل البترول ليست جاهزة على الفور ، وان الوقت سيطول ، صحيح أن المحاولات قائمة ، ولا بأس مادام العلم ينهض ويفكر ، ولكن دعنا نتعامل مع الممكن والقائم والمعتمد عليه حتى الآن ، وهو البترول ..

ومشروعات التصنيع القائمة على البترول في قطر والخليج : كيف يمكن أن تزداد قوة لتواجه المستقبل ، وهل هي قادرة على هذه المواجهة ؟ ..

— هذه المشروعات كثيرة وقوية ومستمرة ، وفي قطر بالذات فإنها تتعدد وتتنوع وتتميز أيضا ، وهي الأمل في الحاضر والمستقبل ، ولسوف تكون قادرة كما هي الآن على أن تحدد ملامح المجتمع الصناعي الحقيقي الذي نتطلع إليه ..

وشبابنا القطري في مجالات العمل بالمؤسسة : هل يؤدي دوره كما يجب ويزداد عدده ، ويكتسب الخبرة المطلوبة ، ويتولى المسؤولية بروح مبشرة ؟

— صدقني أنه كذلك في حقيقته وجوهره ، وإن الاجابة عن هذا السؤال بنعم على طول الخط ، وأنا انتهز هذه الفرصة لأسجل فخري وإعجابي بهذه الكوادر المتحمسة المتطلعة إلى تحمل المسؤولية بالكامل ..

ويسعدني في هذه المناسبة أن أسجل أن سياسة الدولة طبقا لتوجيهات حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولي عهده الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني والشيخ عبدالعزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية ورئيس مجلس إدارة المؤسسة ، هي اعطاء الشباب القطري كل الاهتمام ومنحه الفرصة الكاملة في كافة المجالات ..

وهناك بالفعل خطة طموحة لتقطير معظم الوظائف بالمؤسسة ، بحيث يتولى العمل فيها شباب قطري مؤهل مدرب ..

وفي ذات الوقت فلقد قام مجلس إدارة المؤسسة باعداد خطة خمسية تمت الموافقة عليها ، في هذا الصدد ..

وأقول لك هنا بوضوح إننا لن نتردد في اعطاء الشباب القطري الفرصة ، واعداده لتحمل المسؤولية في كافة قطاعات العمل بالمؤسسة .

هنا دعني أسألك ياشيخ راشد عن شبابنا القطري بوجه عام : كيف تراه في كل المجالات خارج المؤسسة . هل هو واثق من نفسه ، تواق إلى المعرفة ، يؤدي دوره بكل جسارة أم أنه في حاجة إلى تأكيد ذاته ؟

— صدقني إنني أراه وثابا ، يحاول بكل ما يستطيع أن يساير العصر ، ويلحق بركب التقدم ، وأن يختصر الزمن ، ليثبت تفوقه ، ويؤكد نفسه . وأنا شديد التفاؤل بكل هذه الظواهر وأعتقد أن شبابنا سوف يكون عند حسن الظن به ، وسوف يكون قادرا على تحمل المسؤولية ، يشارك مشاركة بناءة في صنع نهضتنا وتقدمنا ..

لكن ألا توجد في رأيك ظواهر شبابية سلبية حتى على المستوى العربي ، وكيف يمكن تلافيها في رأيك ؟

— في الواقع فإن الأمر لا يخلو من سلبيات ، وهي في رأيي ناتجة من محاكاة وتقليد القلة لظواهر لا تمت إلينا كعرب بصلة ، والمطلوب في مواجهة هذه الظواهر أن نقوم جميعا بدور في التوجيه كأسرة ومدرسة ووسائل اعلام ، ثم لا ننسى أن اعتصام الشباب بالأيمان ، وتمسكه بالقيم ، واصراره على العلم الجاد والحقيقي ، كل هذا من المؤكد أنه يقود إلى السلامة وإلى بر الأمان ..

وكنت أنا الآخر قد وصلت إلى نهاية المطاف في حديثي مع الشيخ راشد بن عويضة آل ثاني ، وأحسست أنني قد أطلت عليه ، وأن شواغله في العمل كثيرة ومتشعبة ، فآثرت أن يكون السؤال السابق هو مسك الختام ، رغم أنني لم ألحظ عليه أي ضيق من طول الجلسة ..

فقد طرحت على الشيخ راشد كثيرا من القضايا الهامة عن البترول وغير البترول .. وكانت اجاباته وآراؤه تفصيلية ، مؤكدة ، وصريحة ..

وكان احساسي طوال جلستي معه ولا يزال أنه نموذج للشاب القطري العربي ، القادر على تحمل المسؤولية ، المتقد الذهن ، المتفتح الفكر ، المعتز بعلمه وقيم مجتمعه ..

وبكل هذه المواصفات فإنه نموذج طيب لكل شبابنا العربي المتطلع إلى غد مشرق جديد ، والراغب في تقدم حقيقي على أساس سليم ..

السيد حجازي

مع ازديـــاد المعرفـــة — هل سيقضي الإنسان على نفسه ؟



لويز براون

ولادة غير طبيعية تثير ضجة عالمية

●● نسمع هذه الأيام عن أطفال الأنابيب والتلقيح المخبري والتلقيح الصناعي واستئجار الحمل واستبدال الجنين والرحم الصناعية وهندسة الوراثة فما معنى هذه العبارات؟ وماذا يحدث للإنسان في هذا العصر وماذا يخبئه لنا المستقبل؟!

بقلم : الدكتور عامر شيخوني

استطاع الإنسان أن يحافظ على بقائه رغم صعوبة الظروف الطبيعية التي يعيش فيها بفضل كفاءته في التلاؤم وقدرته على تغيير الظروف والأحوال وجعلها أكثر ملاءمة لحياته ولاستمرار وجوده على مر العصور.. كما استطاع الإنسان أن يحافظ على نوعه بفضل كفاءة طريقة تكاثره التي تعتمد على التزاوج بين الرجل والمرأة لإنجاب الأطفال ورعايتهم ضمن الأسرة .. وقد أحاط الإنسان تكاثره بهالة من الطقوس مثل طقوس الزواج والولادة ، كما ارتبط تطوره بكثير من القيم والأخلاق والمثل الدينية والاجتماعية مثل تقديس الأمومة واحترام الوالدين ومحبة الأبناء والحفاظ على الأسرة ..والآن ، وبعد عدة ملايين من السنين ، يتعرض الإنسان لتحديات عميقة تواجه وجوده ذاته ، تحديات موجهة نحو تكاثره الطبيعي تهدد المفاهيم الأساسية التي بني عليها نجاحه وتطوره ، تحديات تهدد الأمومة وتهز كيان الأسرة الذي أرسى قواعده عميقة في تاريخ حياة الإنسان .. ومامصدر هذه التحديات الخطيرة إلا الإنسان ذاته ..!

يتكاثر الإنسان بالتزاوج ، إذ ينتج الرجل حيوانات منوية في حين تنتج المرأة البويضات ، ويبدأ تشكل الإنسان عند لقاء الحيوانات المنوية بالبويضة في رحم المرأة ، وينتج عن هذا اللقاء المثير بويضة ملقحة تبدأ فورا بالانقسام وتتكاثر بسرعة من خلية واحدة إلى ملايين الخلايا التي تشكل الجنين . يستمر نمو الجنين وتطوره في رحم المرأة الحامل تسعة أشهر كاملة يكتمل خلالها نموه ، ثم ينتقل بالولادة إلى مرحلة جديدة من حياة الإنسان .

وفي عام ١٩٧٨ ولدت لويز براون ، وأحدثت ولادتها ضجة عالمية لأنها كانت أول إنسان يولد نتيجة لنجاح الإلقاح الذي تم في أنبوب اختبار زجاجي ..! كان الحديث عن « طفل الأنبوب » في النصف الأول من هذا القرن مجرد خيال مستحيل أو أمر بعيد الاحتمال ، ولكن ولادة لويز براون أول أطفال الأنبوب أثبتت أن نجاح التقليح في المخبر (أوالتلقيح المخبري) ليس مجرد احتمال وإنما حقيقة واقعة ! والآن ، بعد مرور سنوات على نجاح التلقيح المخبري تتفتح آفاق جديدة في علم التوليد يبدو أمامها « طفل الأنبوب » مجرد مغامرة سهلة بسيطة ...!

أن يقوم الذكور بالحمل بدلاً من الإناث أصبح الآن حقيقة واقعة أمكن تطبيقها في حيوانات المخبر ! كما أمكن الحصول على أجنة حية من أناث الفئران دون الحاجة إلى

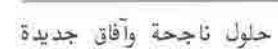
لويز براون
ولادة غير طبيعية تثير ضجة عالمية



البويضات الملقحة في الحاضنة الصناعية بانتظار حدوث التلقيح المخبري الناجح ثم تنقل بعدها إلى رحم الأم.

ذكورها! هذا بالاضافة إلى نجاح عمليات التلقيح بين الأنواع الحيوانية المختلفة.. والسؤال الملح الآن هو: هل يمكن تطبيق هذه النتائج المخبرية على الإنسان؟ وماذا سيكون تأثير ذلك على حياة الإنسان وعلى وجوده؟

اقترح بعض العلماء استخدام الحيوانات للقيام بحمل الأجنة الإنسانية..! وفي هذا المجال تمثل البقرة احتمالاً جيداً لأن مدة الحمل الطبيعي لديها تسعة أشهر مثل الإنسان.. إلا أن نجاح التجارب التوليدية في حيوانات المخبر لايعني بالضرورة إمكان نجاحها في الإنسان أيضاً. كما أن تطبيق مثل هذه التجارب والمغامرات العلمية على الإنسان يواجه مشاكل أخلاقية وفلسفية عميقة.. فماذا سيحدث للإنسان الذي قد يولد نتيجة تلقيح مخبري؟ أو حمل حيواني؟ ربما كان النجاح كاملاً من حيث الشكل والتركيب العضوي، إنما ماذا سيكون شعوره؟ وأخلاقياته؟ ونفسيته؟ وتفكيره؟ قد يختلف العلماء والفلاسفة ورجال الدين كثيراً حول هذه التساؤلات إنما لاشك بأنهم يتفقون جميعاً على أن هذه الثورة الجديدة التي جعلت من التلقيح الصناعي واختيار جنس المولود والتلقيح المخبري حقائق واقعة، هذه الثورة الجديدة في علم التوليد ستؤثر على حياة البشر في المستقبل وسيكون لها دور هام في مستقبل الإنسان.



حلول ناجحة وآفاق جديدة

تحققت أكثر النتائج المخبرية الناجحة في علم التوليد الحديث أثناء بحث العلماء عن أجوبة وحلول لمشكلة العقم، وقد توصل العلماء حتى الآن إلى بعض الحلول الناجحة التي تم تطبيقها عملياً في أوروبا وأمريكا.



ولد هذا الطفل «جون دود» بطريقة استئجار الحمل في اسكوتلانده

١ ـ التلقيح الصناعي

أصبح التلقيح الصناعي الآن حقيقة عملية واقعة، ويقدر أن حوالي ٢٠,٠٠٠ ولادة تتم كل عام نتيجة للتلقيح الصناعي في أمريكا وحدها. يجري التلقيح الصناعي في عيادات خاصة تقوم بجمع وتخزين النطاف من رجال متطوعين وتشكل مايمكن أن يسمى «بنك النطاف» أسوة ببنك الدم وبنك قرنية العين... ثم يتم التلقيح الصناعي بحقن عينة النطاف في رحم المرأة، ويجب أن يتم ذلك في فترة الاباضة لدى المرأة التي يجب أن تكون مستعدة عضوياً ونفسياً لتقبل الجنين وحمله ورعايته. ويمكن أن تؤخذ عينة النطاف من الزوج أو من غيره.. وقد تقبل المجتمع الأمريكي والأوروبي تطبيق التلقيح الصناعي على الانسان رغم مايتضمنه من مشاكل أخلاقية ودينية واجتماعية، فقد يسبب سوء استخدام التلقيح الصناعي كوارث اجتماعية ونفسية تنعكس آثارها ليس على الأفراد فحسب وإنما على المجتمعات وعلى النوع الإنساني بشكل عام.. إذ قد يقدم بعض الأطباء مثلاً على إعطاء التلقيح الصناعي لغير المتزوجات، أو ربما أقدم بعضهم، كما حدث فعلاً في كاليفورنيا، على جمع عينات النطاف من رجال متميزين مثل حاملي جائزة نوبل للعلوم، ومن ثم بيع هذه النطاف لمن يرغب بالحصول على أطفال عباقرة مثلاً، أو أطفال طوال القامة أو زرق العيون أو ماتشاء المرأة من صفات تتضمن حتى جنس المولود.. وبذا قد تتحول عيادات التلقيح الصناعي إلى مركز بيع أجنة إنسانية تحت الطلب..! والمشكلة هنا هي تدخل إرادة الانسان وأهوائه ورغباته في اختيار النسل واحتمال أن يعيق ذلك أو يسيء إلى الاختيار الطبيعي العفوي الذي أثبت جدارته في حفظ النوع البشري حتى الآن.

٢ ـ استئجار الحمل

لدى أطباء التوليد الآن إجابة أخرى على مشكلة العقم إذا كان عقم المرأة سبباً في عدم نجاح التزاوج الطبيعي، وذلك عن طريق استئجار الحمل..! ويتم ذلك بأن يستأجر الزوجان امرأة توافق بالتعاقد لقاء مبلغ من المال على قبول التلقيح الصناعي بنطاف الزوج وإتمام الحمل ومن ثم تسليم المولود إلى الزوجين..! وهذا يعني بالطبع استئجار الأمومة، وفي ذلك معارضة مباشرة لمفهوم مقدس في أغلب

المجتمعات الإنسانية ، كما يعترض بعض الأطباء على هذه العملية من وجهة نظر عملية تعتمد على أن تركيب الجنين العضوي والعقلي قد يتأثر بالحالة النفسية للحامل وخاصة بشعور المحبة والأمومة ، وصعب التنبؤ بالعلاقة النفسية بين المرأة التي تنوي بيع حملها وبين الجنين الذي حملته عن طريق التلقيح الصناعي .! وبالفعل فقد حدث أن رفضت إحدى هؤلاء النساء «الحوامل بالأجر» أن تسلم مولودها الى الزوجين المستأجرين بعد تمام الولادة . ولاشك بأن حكم القضاء في هذه الحالات صعب ومعقد .. إلا أنه بالرغم من هذه المشاكل الأخلاقية والقضائية أمام استئجار الحمل فإن هذه العملية قد طبقت فعلاً في حالات قليلة يمثل فيها هذا الطريق حلاً آخر لمشكلة العقم .

٣ ــ التلقيح المخبري

إذا كان سبب عدم نجاح التزاوج الطبيعي بين الزوجين هو عدم وصول البويضات من مبيض المرأة إلى رحمها ، يمكن تحقيق الحمل عن طريق التلقيح المخبري أو مايسمى بصنع « طفل الأنبوب » . ويتم انتاج « طفل الأنبوب » بأخذ بويضة من مبيض المرأة وتلقيح هذه البويضة في المخبر بنطاف زوجها ،ثم بعد حوالي يومين أو ثلاثة من الحضن في أنبوب اختبار ضمن ظروف مناسبة تزرع هذه البويضة الملقحة في رحم الزوجة حيث يكتمل الحمل وتتم الولادة كما هو الحال في التطور الطبيعي للجنين . وبذلك نرى أنه في استخدام اصطلاح : « طفل الأنبوب » ايحاء خاطىء بأن المولود ينتج عن حمل في انبوب اختبار ، والحقيقة أن الالقاح وفترة قصيرة جداً من بداية تشكيل الجنين فقط تحدث في الأنبوب ، في حين يكتمل الحمل ضمن ظروف رحم الأم الطبيعية .

يمثل التلقيح المخبري حلاً لمشكلة العقم يمكن قبوله من الناحية الأخلاقية والدينية والقانونية ، إلا أنه حل أقل نجاحاً من الناحية العملية ، ويعتقد الأطباء بأن هذه النتائج ستتحسن في السنوات القادمة كما



الطفل دانيل بروكس ، أحد أطفال الأنابيب وهو في الشهر الرابع من عمره

■ **المجتمع الغربي تقبّل التلقيح الصناعي رغم مايثيره من المشاكل الأخلاقية والدينية والاجتماعية**

■ **هل يمكن زيادة النبوغ في الأجيال الجديدة عن طريق أطفال الأنابيب؟**

حدث عندما طبق التلقيح المخبري على الحيوانات الزراعية إذ تنجح هذه الطريقة الآن عند الحيوانات في حوالي ستين بالمئة من الحالات في حين كانت النتائج غير ناجحة عندما بديء في تطبيقها منذ عشر سنوات . ومن ناحية أخرى قد يساء استخدام التلقيح المخبري أيضاً إذ قام بعض الأطباء مثلاً بإجراء التلقيح المخبري بين بويضات منتقاه ونطاف مميزة بحيث يمكن التحكم بصفات المولود وبالتالي التحكم بالنسل وفق الرغبات والأهواء .

٤ ــ استبدال الجنين

يتم استبدال الجنين بأن يستأجر الزوجان امرأة توافق بالتعاقد لقاء مبلغ من المال على قبول التلقيح الصناعي بنطاف الزوج ومن ثم بعد نجاح الإلقاح وبدء التطور ينقل الجنين الى رحم الزوجة حيث يتم الحمل والولادة كما هو الحال في الظروف الطبيعية .! ولهذه الطريقة بعض المزايا على طريقة استئجار الحمل منها قلة التغيرات العضوية والنفسية لدى المرأة المستأجرة لأن الجنين ينقل من رحمها في مرحلة مبكرة جداً من الحمل ، كما أن إتمام الحمل في رحم الأم يضع العلاقة بين الجنين والأم في حالة أكثر ملاءمة تشابه الحمل الطبيعي .

ومن الناحية العملية يصعب تطبيق عملية نقل الجنين بنجاح عند الإنسان لأن هذا يحتاج إلى توافق كامل في الدورة الطمثية بين المرأة المستأجرة لاستقبال النطاف وبين الزوجة التي ستتم الحمل ، وقد يتعرض الجنين أثناء النقل الى مخاطر كثيرة ربما سببت التشوه أو الوفاة ، كما أن استخراج الجنين من رحم المرأة قد لايكون ممكناً في بعض الحالات مما يعرض المرأة لاحتمال الالتزام باستمرار الحمل أو للقيام بالاجهاض .. هذا بالاضافة إلى ماتشكله عملية نقل الجنين وبيعه من تحديات أخلاقية ودينية وفلسفية .

الرحم الصناعية

تجرى الأبحاث بشكل مكثف في أوروبا وأمريكا لاختراع رحم صناعية .! وإذا تم اختراع الرحم الصناعية بنجاح فإن هذا سيحقق ثورة جديدة ستؤثر بعمق على حياة الإنسان في المستقبل . فإذا استطاع العلماء صنع رحم أو آلة تقوم بحقن جنين الإنسان حتى اكتمال تطوره فإن هذا سيكون بداية الطريق الى مايمكن تسميته بمصانع البشر حيث يتم انتاج البشر في هذه الحاضنات الصناعية كما ينتج الدجاج في المداجن الحديثة ..! ويمكن الحصول على البويضات الملقحة اللازمة لبدء تطور الجنين عن طريق التلقيح المخبري أو عن طريق نقل الجنين ذاته من رحم المرأة الحامل إلى الرحم الصناعية حيث يتم الحمل والتطور ومن ثم « الانتاج » إذ لايمكننا عندها أن نتحدث عن « ولادة » الإنسان وإنما عن

لويز براون

ولادة غير طبيعية تثير ضجة عالمية

انتاجه .! وربما امتد الأمر إلى نقل الجنين من رحم الأم إلى رحم إحدى الحيوانات ، كالبقرة مثلا ، حيث يتم الحمل والولادة .! وإذا أضفنا التلقيح المخبري إلى هذه الاحتمالات حصلنا على صورة أخرى من صور مصانع انتاج البشر حيث يحضر الجنين بالتلقيح المخبري وينقل إلى رحم حيوانية أو رحم صناعية حيث يتم الحمل والانتاج .! ولاشك بأن مجرد تخيل مثل هذه المصانع البشرية يثير في النفس قشعريرة ورهبة ، إلا أن تحقيق مثل هذه الأمور عمليا أمر غير بعيد الإمكان ، فقد تم بالفعل نقل الجنين من حيوان إلى آخر بنجاح . كما أمكن تغيير ظروف الرحم في الحيوانات بحيث تستقبل وتحمل أجنة أنواع أخرى من الحيوانات وربما كان من الممكن تطبيق مثل هذه التغييرات على رحم البقرة لكي تستقبل وتحمل جنين الانسان ..! ويظل التساؤل الممض بدون إجابة : ماذا سيكون تأثير « الحمل البقري » أو الحمل في الرحم الصناعية على المولود الانساني ؟ هل سيكون هناك أي خلل أو اضطراب عضوي أو نفسي أو عقلي ؟ هل سيقترب المجتمع الانساني من ذلك المجتمع الذي تنبأ به جورج برناردشو في مسرحيته « العودة إلى ميتوشالح » حين وصف « مصانع « انتاج البشر ..؟ ولا يمكن المرء إلا أن يتساءل عما سيكون دور الجنس في حياة إنسان المستقبل ..؟!

هندسة المورثات

يقترب علماء الوراثة نحو التحكم بانتاج البشر أيضاً إنما من زاوية أخرى هي التحكم بالمورثات . إذ أن جسمنا يتألف من خلايا في كل منها نواة تحتوي على سلاسل ملتوية تسمى الصبغيات . تحمل الصبغيات في تكوينها الكيميائي الخاص كافة الصفات الوراثية بشكل مجموعات من المورثات ، وتتألف المورثات بدورها من حموض نووية هي الحامل الحقيقي للصفات الوراثية : تخزن المورثات صفاتنا الوراثية بحسب تسلسلها وترتيبها مثلما تخزن الذاكرة الألكترونية معلوماتنا في أجهزة الكومبيوتر. إن اختلافنا كأفراد من الناحية العضوية يعود في الأصل إلى اختلاف مورثاتنا الموجودة في نواة كل خلية من خلايا جسمنا . فإلى هذه المورثات تعود صفاتنا المختلفة من لون الشعر إلى لون العيون ومن الطول إلى السمنة إلى الصلع إلى الجمال ... يسود هذا الأسلوب في حمل ونقل الصفات الوراثية كل المخلوقات الحية على هذا الكوكب السيار ، إذ تتألف الكائنات الحية من خلية أو خلايا تحتوي على مورثات تحمل الصفات الوراثية ، وإن وحدة هذا الأسلوب تتجلى لدى دراسة الكائنات الحية من الفيروسات وإلى الجراثيم وإلى النباتات وإلى الحيوانات المختلفة . ويعود اختلاف وتنوع هذه الكائنات الحية التي تعمر الأرض أصلا إلى اختلاف مورثاتها.

والآن .. إذا استطاع الانسان أن يتحكم في هذه المورثات فإن قدرته ستمتد إلى التحكم في الصفات الوراثية لكافة الكائنات الحية بما فيها الانسان نفسه ..! ومن دراسة المورثات في الجراثيم والحشرات والنباتات والحيوانات والإنسان نشأ علم جديد هو علم الوراثة وعلم التحكم بالمورثات أو « هندسة المورثات » . استطاع مهندسو المورثات حتى الآن أن يتحكموا بمورثات بعض الجراثيم وتسخيرها لأغراض صناعية وطبية مثل انتاج الانسولين ، ومازالت معلوماتهم وخبراتهم تتراكم وتتزايد كل يوم بحيث نقترب تدريجيا من عصر قد يصبح فيه التحكم بمورثات الإنسان أمراً غير بعيد الاحتمال .. وهذا يعني أننا نقترب من التحكم بصفات الإنسان عن طريق التحكم بمورثاته التي تحمل في طياتها وتسلسلها سر اختلافنا وتنوعنا .

هل سيستخدم الإنسان هذه القدرات الجديدة لصالحه أم أنه سيحيلها إلى سلاح جديد من أسلحة الدمار؟ يمكن لهندسة



روبرت جراهام في مختبره بكاليفورنيا حيث يحتفظ بنطاف بعض الفائزين بجائزة نوبل للعلوم



المورثات أن تقضي على الأمراض الوراثية والخلقية نهائياً عن طريق إزالتها من المورثات أصلاً. ومن ناحية أخرى قد يساء استخدام طرق التحكم بالمورثات ويتحول إلى تحكم الانسان بالمخلوقات الحية وفق أهوائه ورغباته لتشكيل صفات جديدة وربما أنواع حياتية جديدة لم توجد من قبل لا يعلم أحد ولا نستطيع أن نتصور ماسيكون مدى تأثيرها على التوازن الطبيعي في العالم. وأحب أن أؤكد هنا أن التحكم بالمورثات وصنع أنواع جديدة من المخلوقات ليس خلقاً وإنما تشكيلاً للحياة في صور أخرى وهو تشكيل جديد وتركيب مغاير يخضع أولاً وأخيراً إلى قوانين الحياة ذاتها وإلى سنن الخالق ونواميسه منذ بدء الخلق. أما الخلق نفسه فهو قدرة إلهية يختص بها الخالق وحده سبحانه ولم يستطع الانسان ولن يستطع أن يخلق حتى ذبابة صغيرة.

الاستنساخ

تحتوي كل خلية من خلايا جسمنا على المورثات. ويحمل كل منا مورثاته الخاصة به والمتميزة عن غيره. إلا أن كل خلية من خلايا جسم الفرد منا تحمل نسخاً متماثلة تماماً من المورثات التي تعود في الأصل إلى تلك المورثات التي أخذها عن والديه عند الإلقاح. تتحكم المورثات بالجسم منذ الإلقاح حتى الوفاة، ويرجع شكل المرء ونشاطه ووظائفه الحيوية المختلفة إلى تلك المورثات المكونة في خلاياه. ولذا يبدو أنه من الممكن نظرياً أخذ خلية من خلايا جسم فرد منا وتطويرها ضمن شروط مناسبة إلى فرد آخر يمكن اعتباره، نسخة طبق الأصل، منه ... لأن كل خلية من خلايا الفرد الجديد ستحمل مورثات هي نسخة طبق الأصل من مورثات الفرد الأصلي.. وإذا أمكن استنساخ فرد طبق الأصل فليس هناك مايمنع من استنساخ أفراد يشكلون سلسلة من الأفراد المتشابهين تماماً من حيث البنية الوراثية مثل سلسلة من التوائم الحقيقية..! وربما استطعنا في المستقبل أن نحصل على سلسلة من العباقرة

■ هل يتقبل الإنسان قيام الأبقار والآلات بدور الحاضنة للجنين البشري؟

■ هندسة الموروثات قد تقضي على الأمراض الوراثية لكنها تفتح الباب لمشكلات جديدة

وسلسلة من الموسيقيين وسلاسل أخرى حسب الطلب والحاجة..!

ونجح العلماء حتى الآن بالحصول على سلاسل متماثلة من الخلايا الحيوانية والانسانية في المختبرات، وتسمى هذه السلاسل من الخلايا المتماثلة «مزارع الخلايا». إلا أن تشكيل سلسلة من الخلايا المتماثلة يختلف عن استنساخ مخلوق متكامل مثل الإنسان، لأن جسم الانسان ليس مجرد سلسلة من الخلايا المتماثلة المتراكمة فوق بعضها في شكل معين، إنما يتألف جسم الانسان من بلايين من الخلايا المتخصصة التي تقوم بوظائف مختلفة متكاملة ومنسقة في نظام رائع التوازن رغم أن كلاً من هذه الخلايا تحمل نسخاً متماثلة تماماً من المورثات. يقودنا هذا مباشرة إلى السؤال الذي مازال العلم الإنساني محتار في إجابته: كيف نفسر اختلاف شكل ووظائف خلايا جسم الانسان رغم احتوائها على نسخ متماثلة تماماً من المورثات؟

تنشأ جميع خلايا الفرد منا من خلية واحدة في الأصل هي البويضة الملقحة. تتكاثر هذه الخلية بالانقسام المتكرر وتتطور الخلايا الجديدة وتتخصص إلى خلايا ذات أشكال ووظائف متباينة مختلفة فتذهب بعضها لبناء الدماغ وأخرى إلى الكبد وأخرى إلى العظام أو الجلد أو العضلات وتقوم بوظائفها بشكل متناسق متكامل. كيف نفسر هذا التخصص في وظائف الخلايا وأشكالها رغم احتوائها على الأوامر والمعلومات الوراثية ذاتها؟ يجب علينا فهم تخصص الخلايا وأن نستطيع التحكم في هذا التخصص قبل أن نتمكن من استنساخ الأفراد. ومازال علم تخصص الخلايا في بداياته الأولية، ومازالت معلوماتنا عن تخصص الخلايا مثل معلومات انسان الكهف البدائي عن الطاقة الذرية.. إلا أنه لامعنى لكلمة مستحيل أمام الجد والعمل، وبمزيد من البحث العلمي والاستقصاء المستمر ربما توصل الانسان ذات يوم إلى فهم تخصص الخلايا، وربما تمكن من التحكم به، وربما تمكن الانسان بذلك ذات يوم من استنساخ سلاسل متماثلة لامتناهية من البشر.

اختبار الحكمة

تتزايد قدرة الانسان على التحكم بالطبيعة مع ازدياد معرفته وتقدم علومه، وكلما ازداد الإنسان قوة ازدادت حاجته إلى ضبط النفس، وازدادت حاجته إلى الحكمة والصلاح، فالقوة هي الإختبار الحقيقي للحكمة والصلاح. يتقدم الإنسان في هذا القرن بسرعة متزايدة ويقترب تدريجياً من لحظة الخطر، فقد تصبح قدراته المتزايدة خطراً يهدد التوازن الطبيعي ويهدد وجود الإنسان بل وجود الحياة ذاتها على هذا الكوكب العزيز.. يحتاج الانسان الآن أكثر من أي وقت مضى إلى تضافر قوى الخير والحكمة في هذا العالم لكي يكبح جماح قوته المتزايدة ولكي يتمكن من توجيه معارفه وطاقاته إلى كل مافيه خير الإنسان والحياة.

عامر شيخوني



الفجر الكاذب



قصة جديدة بقلم الكاتب الكبير

نجيب محفوظ

كأنما هو سباق بينى وبين قرص الشمس المائل نحو الغروب . بلغت شارع ابن ياسر المكلل بأشجار الأكاسيا على جانبيه . تستبق فوق أديمه السيارات فى تيارات متدفقة وتقوم فى موقع من وسطه العمارة بمدخلها الواسع الممتد وضوئها المشع من داخل الجدران الشفافة . رفعنى المصعد إلى الدور الثامن . ضغطت على الجرس ففتحت الشراعة عن وجه الخادم . تقدمنى إلى الثوى المكون من ثلاث حجرات متصلة فجلست على مقعدى فى الأعماق . أزاح الرجل ستارة وفتح نافذة فتدفق هواء الخريف . وهلت سيدتى فى فستان أزرق آية فى البساطة والرقة وشبشب أزرق مذهب السير ، ترنو إلى بعينيها النجلاوين الثاقبتين وأنا أتعجب من صفاء بشرتها . سألتنى عما أحب أن أشرب فطلبت القهوة فقالت إنها سلت بعض فراغها بصنع شيكولاطة بالبسكوت ، قلت إذن أتناول واحدة ، وأمرت لى بما طلبت . ونظرت فى وجهى مليا وقالت :



بريشة: سلمان المالكي



ــ واضح أنك لم تتقدم خطوة مفيدة.
فقلت فى تسليم :
ــ هذه هى الحقيقة .
تساءلت ضاحكة :
ــ ترى أهو ذنب المشكلة أم ذنبك ؟
ــ لا أدافع عن نفسى ولكن لا يمكن أن أتهم بالاهمال .
ــ كأننا لم نبدأ بعد .
ــ وهذا ما يؤرقنى .
وجاء الخادم دافعا أمامه خوانا يحمل القهوة والشيكولاطة . وتركتنى أحتسى القهوة فى هدوء ، ودون أن يزايلنى التوتر . وقلت برجاء :
ــ لا تسيئى بى الظن .
ــ تهمنى النتائج لا النوايا أو الأقوال .
ــ نحن فى زمن عجيب . شهدنا انسانا يهبط فوق سطح القمر . ونرى السوق ملأى بكتب عن القوى الخفية ..
ــ لا يعنى هذا أن يقف الانسان مكتوف اليدين وهو يعلم أنه عرضة للهلاك فى أى لحظة .
ــ لم أقف مكتوف اليدين وطالما أتعبت سعادتك معى ..
ــ أمرك يهمنى كما تعلم .
فبسطت راحتى على صدرى وأحنيت رأسى شاكرا . ثم قلت :
ــ طبعا سمعت عن الذى قتل والديه ؟
ــ والتى قتلت ابنها . وقديما سمعنا عن ريا وسكينة ، ماذا تريد أن تقول ؟
ــ يشعرنى ذلك باقتراب القدر .
فقامت لتغادر المكان وهى تقول :
ــ سأحرر لك رسالة للبك .
وغابت حوالى ربع ساعة ثم رجعت فسلمتنى رسالة مطوية فى مظروف مغلق ، وتساءلت :
ــ هل تبقى للعشاء ؟
فقمت بدورى شاكرا وغادرت الشقة . ليل الخريف هبط بسرعته المألوفة . وأضواء السيارات المبهرة اقتحمت الأعين . وذكريات متلاطمة تفعل باحساسى ماتفعله أضواء السيارات المبهرة ولكنها تختفى وتضيع قبل أن أقبض عليها . فالدنيا تبدو مراوغة مثيرة للحيرة والقلق . ومضيت من توى الى شارع البورصة . الى مشرب الزهرة . الصغير الأنيق الذى لا يتلاشى الجالس فيه . طلبت من النادل سندوتش لحم بقرى وقدح شاى . وقال لى الرجل قبل أن يذهب :
ــ سألت عنك .. وستجىء لمقابلتك بعد قليل .
سررت بذلك . وتناولت عشائى وانتظرت . ولم يطل بى الانتظار فجاءت تخطر فى بنطلونها بجسمها الرشيق الثرى ووجهها الأسمر الصافى المنمق . وقد ارتدت جاكته من الجلد البنى . وطلبت الشاى كالعادة وهى تنظر الىّ فى عتاب .
ــ لم أرك منذ أيام .
ــ آسف ، أنا غريق فى مشكلتى ، وأمضى من وسيط الى وسيط ..
ــ لم يمنعك ذلك من ملاحقتى كظلى فى وقت مضى .
ــ لا يمنعنى عنك إلا عذر قاهر .
ــ ولكنك تدور فى حلقة مفرغة لا ترى لها نهاية .
ــ لولا أنه يوجد فى الدنيا أمل كالذى تحدثينى به لانتهيت من زمن بعيد .
استشعرت شيئا من الحياء وهى تتساءل :
ــ لماذا تصر على تأجيل زواجنا حتى تحل جميع مشكلاتك ؟
ــ هذا هو التصور الطبيعى
ــ ولكن الزواج يهيئ لك نصف الأمان على الأقل فأخى من كبار رجال الشرطة !
فقلت وأنا أنظر فى عينيها باشفاق :
ــ خصمى شخص مجهول .
ــ هو أيضا لم يهتد إليك بعد . وقد يساعدك أخى على معرفته .
ــ أتمنى أن أتزوج وأنا رائق البال .
ــ لا عقبة فى طريقنا إلا ما ينبثق من ذاتك .

عاودتنى عواطف صافية من زمن مضى فرمقتها بحنان وحب وقلت :
ــ فلنجلس لنحلم فى عذوبة وهدوء . وقريبا سوف تنقشع الهموم .
وتبادلنا حبا عميقا بلا كلمة ولا حركة . وفى لحظات عابرة بدت الدنيا مراوغة وتلاشت حبيبتى من مجلسها القريب . وعادت مرة أخرى مشرقة الوجه فواصلنا الحب المتبادل الصامت . ولما تركتنى تذكرت بزهو عنادى فى مطاردتها حتى انتزعت من صميم قلبها الاعتراف بالحب . وأمدنى اللقاء بحماس جديد فقمت لأقابل البك واسلمه الرسالة . ذهبت إلى النادى بشارع الشط الأخضر . وجدته جالسا مع نخبة من الأصدقاء فى الشرفة المطلة على الحديقة الواسعة . ولما رآنى مقتربا قام مستأذنا من صحبه . وصافحنى اكراما طبعا للهانم . ومضى بى الى الثوى الأخضر . أجلسنى قريبا منه ونظر إلىّ بعينيه الثقيلتين وبوجه لا يعبر عن شيء ، وسألنى :
ــ هل من جديد ؟
فقلت بأسى :
ــ اقابل أناسا وأتلقى وعودا .
وتناول منى الرسالة وأبقاها فى يده المنبسطة وتساءل :
ــ ألا يقنعك هذا ؟
ــ أريد أن يتحقق وعد .
ــ لكل عمل يشغله . هذه أيام الصرف الصحى والعدوان على تونس وخطف السفينة الايطالية ثم خطف الطيارة المصرية .. والدولار .
ــ مشكلتى غاية فى البساطة .
ــ أنت تتصور ذلك ، لا ، انظر الى الموضوع بعين محايدة ..
ــ لكن حياتى مهددة !
ــ هل تعرف عدد الفلسطينيين الذين قتلهم الاسرائيليون ؟ .. والفلسطينيين الذين قتلهم العرب ؟ .. وضحايا العنصرية فى جنوب أفريقيا .. والطائفية فى لبنان ، وضحايا الزلازل والبراكين ، والسموم البيضاء ، والمظاهرات ؟
فقلت وأنا أنظر بين قدمى :
ــ ما على إذن إلا أن استسلم للموت ..
ــ بل أعنى أن تصبر وتعتمد على النفس .
ــ أليس من الحكمة أن أستثمر علاقاتى بالرجال الكبار ؟
ــ لن ينقذك إلا اعتمادك على نفسك . افعل ما فعله رمسيس الثانى عندما حاصره الحيثيون وأوقعوه فى الشرك ..
فقلت وأنا أدارى ابتسامة :
ــ سيدى ، أنا لست رمسيس الثانى .
ــ لتكن رمسيس المائة أو الألف ..

وتنبه للرسالة بين يديه فقص المظروف وقرأها بعناية . ونادى النادل فطلب رسالة ومظروفا وفى تلك الاثناء هفت الى أنفى رائحة مسك فلم أستطع أن أخفى اضطرابى . فسألنى عما ألم بى . فكاشفته بما تردده الشائعات عن خصمى المجهول قلت :
ــ انه يتطيب عادة بالمسك .
فقال الرجل بضجر :
ــ وغيره كثيرون ، لا أظنه عضوا فى نادينا ..

وغرقت فى مستنقع الهواجس على حين راح هو يكتب التوصية الجديدة . ثم سلمها الى

في مظروف مغلق . وغادرت النادي . ولما قرأت اسم الوسيط الجديد رأيت أن أذهب إليه ضحى الغد . وذهبت إلى مسكني بشارع الجندي المجهول . غيرت ملابسي وجلست أمام التليفزيون أشاهد فيلماً بطله سيارة تندفع ذاتياً وتقتل من يصادفها من البشر . شقتي صغيرة بالية ولكن الزمن رفعها ألف درجة وجعل منها درة لا يفوز بها إلاّ ذو حظ سعيد . وقد أقمت بها مع قريب على عهد التلمذة ثم استقللت بها بعد انتهاء دراستي الجامعية وتعييني في الوزارة . ورن جرس الشقة فعاودني الشك الذي اجتاحني حين شممت رائحة المسك . ومضيت إلى العين السحرية فطالعني وجه جارتي المقيمة في الشقة المواجهة لشقتي . ماذا جاء بها دون طلب أو اتفاق ؟ دخلت ملتفة في روب وردي مشرقة الوجه بالزواق . ولما رأت فتور وجهي قالت :

ــ لا تحب أن تراني إلاّ وقت الحاجة .

وجلست على مقعد قريب من مقعدي وهي تقول :

ــ لا يوجد زبائن فقلت أسلي وحدتي بجلسة بريئة !

ثم بعد صمت :

ــ ماذا جرى للزبائن ؟

فقلت دون أدنى اكتراث :

ــ لعلها الحالة الاقتصادية .

ــ أنا لا أتعامل بالدولار .

وتفحصتني قليلا ثم قالت :

ــ مازلت غارقا في همومك ؟

ــ طبعا

ــ يوجد في قريتي من يصمم على قتلي لو عثر عليّ ولكني لا أفكر في الغد .

فقلت بحياد :

ــ كل شيخ وله طريقة .

ــ لكل أجله وهو يعمل مستقلا عن الأسباب .

فقلت وأنا أداري غيظي :

ــ فلسفة عظيمة ، أنت امرأة سعيدة .

ــ لا .. وزني ثقيل ، وهو آخذ في الازدياد ، وتسبب في حرماني من تعلم الرقص ..

ــ ولكن الشهرة ليست في صالحك وقد تدل عليك من يريد قتلك .

وانقطع حبل الحديث . ولم تجد من ناحيتي أي رغبة في وصله . فسلمت بفشل مهمتها . وانصرفت وهي تلوح لي مودعة . وأنا أهم باللوم عاودني الاحساس بأن الدنيا تراوغني . فخيل إليّ أن جارتي لم تأت لزيارتي . وخيل إليّ حينا آخر إنها ترقد إلى جانبي . وفي الصباح ذهبت إلى الوزارة . هي المكان الوحيد الذي ألقى فيه الاحترام وأسمع الثناء تلو الثناء . ولي زميل غاية في الدماثة والمودة ، وهو يحثني دائما على أن أعيش حياتي ، وأن أستهين بالظنون والأقاويل التي لا يقوم عليها دليل مادي . يقول لي :

ــ من منا لا يتربص به الموت ؟

ودعاني ذلك الصباح إلى الاشتراك في رحلة إلى جنوب سيناء فوعدته بالتفكير في الأمر . وعند الساعة العاشرة استأذنت في الانصراف لعذر هام ، وغادرت المؤسسة إلى شارع الوادي الجديد حيث توجد عيادة الوسيط الجديد الذي أحمل إليه الرسالة . ورجوت التمورجي أن يوصل الرسالة إلى الطبيب فذهب بها ثم عاد بعد دقائق ليأذن لي في الدخول فورا . وجدت الطبيب جالسا وراء مكتبه يطالعني بشخصية قوية وعينين نافذتين ، غير أنه توكد لدى ما يحظى به صاحب الرسالة من منزلة فريدة عنده . قلت :

ــ أعتقد أني قادم إلى سعادتك بصفتك الشخصية لا المهنية .

فسألني بجدية :

ــ ما الذي حملك على هذا الاعتقاد ؟

ــ مشكلتي ، بل كل مشاكلي ، لا علاقة لها بالطب .

ــ لكن الطب له علاقة بكل مشكلة ، على أي حال ظنك في محله ، وما نريد إلاّ أن نمكث في مصحة لي بحلوان فترة من الزمن حيث يتهيأ لك الأمان والأمن .

ــ ولكني بعد خروجي سأرجع إلى ما كنت فيه .

ــ أو يكون الوسطاء قد تمكنوا من تصفية مشكلاتك في أثناء ذلك .

ــ ولكن المصحة ستسيء إلى سمعتي !

ــ مصحتنا تعيش في سرية كاملة .

وترددت متفكرا فتساءل :



ــ ألا يوجد في حياتك ما تخجل منه أو تندم عليه ؟

ــ هذه مسألة أخرى .

ــ بل لعل كثيراً من المشاكل يرجع إليها .

فقلت بيأس :

ــ إذن فأنا ذاهب للعلاج .

ــ لن افرض عليك شيئا لا تريده .

وقلت بمرارة وكأنما أخاطب نفسي :

ــ كيف أعيش بين مجانين !

فتساءل متهكما :

ــ وهل تعتبر نفسك عائشا بين عقلاء ؟!

وانفجر قلقي فقلت :

ــ معذرة ياسيدي ، لن أذهب إلى المصحة .

فقال بهدوء كريه :

ــ في هذه الحالة سأوصي إليك بأن يتركوك لشأنك دون رعاية أو عناية .

فقلبت النغمة قائلا :

ــ اعطني مهلة قصيرة .

فقال موافقا :

ــ لك ذلك .

أنفقت بقية النهار متسكعا ، وتجاذبتني طوال الوقت الحقائق والأحلام . ولم تبق إلا خطوة يسيرة لأتساءل عمن أكون وفي أي مكان أقيم والزمان الذي أعاصره . ورجعت مساء إلى عمارتي ولكنني قصدت شقة الجارة لا شقتي ، وخيل إليّ أنها استقبلتني دون مبالاة ، وربما بشيء من الجفاء . وكأنما تعاقبني على اعراضي عنها ليلة أمس . ولكن مسكنها يضفي على شعورا بالألفة ، ولا يخلو من فتور وضجر واحساس شبه خفي بالخيبة . وهو بعيد كل البعد عما يجده الزائر المتسلل من التوتر والمغامرة . ولكيلا تتساءل عن سر غيابي الوشيك زعمت لها أني راحل إلى قريتي لمهمة طارئة . وفي الصباح اعددت حقيبتي وذهبت إلى المصحة بحلوان . وهي مبنى رائع يقع في اقصى المدينة ، ويقوم على هضبة تطل على الصحراء . واخترقت حديقة واسعة لأصل إلى البناء في العمق ، وقادوني إلى جناح يتكون من صف طويل من الحجرات ، تفتح ابوابها على ممشى طويل يتصل بالحديقة بسلم رخامي يشغل الوسط . وتبدت حجرتي بيضاء الجدران والسقف ، بها ما يلزم من فراش وصوان وخوان ومقعدان . ولبثت وحيدا حتى جاءتني ممرضة ناضجة الشخصية والانوثة بالغداء . سألتها عن الطبيب فأجابت بأدب :

ــ سيجيء في وقته !

وأعطتني قارورة صغيرة تشف عن أقراص بيضاء خالية من أي ملصقات وقالت :

ــ حبة بعد كل وجبة .

الفجر الكاذب



فقلت محتجا :
ــ ولكنني لست مريضا ..
فقالت بهدوء وهى تغادرنى :
ــ ليست مصحتنا للمرضى ولكنها للراحة والأمان .
وأخذت أشعر بالندم على المجيء ، وانتظر في ملل متصاعد . وفي تمام الخامسة مساء ، انفتح الباب ودخل الطبيب . جلس على المقعد الآخر أمامي وقال :
ــ بداية حسنة فانعم بالأمن والأمان .
فقلت بقلق :
ــ ولكنني اتعاطى دواء .
ــ ما هو إلا مهدئ وفاتح للشهية .
ــ ومتى يستحسن أن أذهب ؟
ــ وقتما تشاء من ناحية المبدأ ، أما إذا راعينا مصلحتك فالأوفق أن تذهب بعد أن تؤدى الامتحان ..
ــ أى امتحان ياسيدى ؟
ــ ما عليك إلا أن تسجل على الورق أكبر مشكلة مصرية ، وأكبر مشكلة عالمية ، ثم تفكر في الحل المناسب لكل منهما .
فندت عني ضحكة عالية وقلت :
ــ لاشك أنك تمزح ياسيدى .
فقال بجدية وبرود :
ــ ليست مصحتى مسرحا فكاهيا .
فقلت متراجعا :
ــ معنى هذا أننى سأبقى هنا إلى الأبد .
ــ إنها محاولة لمعرفة تصورك ليس إلا ، وعقب ذلك تذهب بسلام .
ــ ولكن ما علاقة ذلك بمشكلتى أنا ؟
ــ إذا استطعت أن تقدم تصورا لحل مشكلتى مصر والعالم فلاشك أنك تستطيع ذلك بالنسبة لمشكلتك الخاصة .
ــ لكن مشكلتى من نوع خاص .
ــ ولو ، لن تكون أعقد من مشاكل العالم .
ــ أنت تعلم ولاشك أننى مهدد بالقتل في أى لحظة .
ــ كلنا مهددون بالقتل في أى لحظة !
وسكت مغلوبا على أمرى حتى همّ بالذهاب فسألته :
ــ هل يشترط أن تكون الاجابة صحيحة ؟
ــ لا أحد يزعم أنه يعرف الاجابة الصحيحة ليقيس عليها ، حسبك أن تقدم تصورا معقولا ..
وعلى أثر ذهابه جاءتنى المرضة بورقة مسطرة وقلم رصاص ووضعتهما على الخوان ، جذبتنى بقوة إلى انوثتها ونضجها دون أن تتكلف كلمة أو حركة . وانبعثت في آمال عجيبة ملأتنى جرأة وفي الوقت نفسه محت صورتها من قلبى العالق من خطيبتى وجارتى . قلت لها :
ــ إنى مدين لك بحسن الرعاية
فقالت بجدية وحياء :
ــ انى أؤدى واجبى .
ونظرت إلى خاتم الزواج في يسراها وتساءلت :
ــ سعيدة في زواجك ؟
فقالت بدهشة :
ــ سؤال غريب !
ــ لا مؤاخذة ولكن لى هدفا .
ــ أى هدف ؟
ــ إذا خطر لك أن تجربى حظك من جديد فإننى على أتم الاستعداد للزواج منك .
فغادرت الحجرة دون أن تنبس بكلمة ، وسرت فيّ قشعريرة إحباط وبرودة . وضقت بالحجرة فخرجت إلى الممشى . بعض النزلاء يجلسون أمام الحجرات أو يتمشون . جارى رجل في الأربعين ، حدجنى باهتمام فتبادلنا التحية . واقترب منى وسألنى عما جاء بى فلخصت له الموقف في شيء من التحفظ ثم سألته بدورى عما جاء به فقال :
ــ لعلى الوحيد بينكم الذي جاء بلا مشكلة !
ــ ولكن كيف ؟
ــ أنا رجل ميسور الحال ، صاحب مزاج ، أحب السرور والرحلات ، ولا أحمل للدنيا هما .
ــ عظيم .. عظيم ..
ــ لى صديق مشترك بينى وبين الطبيب ، هاله أن يجدنى بلا مشكلة ، وأصر على أن أعيش في المصحة مدة .
ــ جئت لأنك بلا مشكلة !
ــ هذا هو الواقع .

ــ وكيف قبلت ؟
ــ قلت لتكن تسلية جديدة .
ــ وهل أديت الامتحان ؟
ــ هذه هى مشكلتى الجديدة ، فلا علم لى عن أى مشكلة فى مصر أو العالم ، ولا أقرأ من الصحيفة إلا الاعلانات والوفيات وأين تذهب هذا المساء .
ــ ما عليك إلاّ أن تقرأ الصحف وستمدك بمشكلات لا حصر لها .
فتساءل ضاحكاً :
ــ وكيف أقدم حلولا لمشكلات لا تهمنى البتة ؟
والحق أنه امتص منى توترى بغرابة مشكلته ، وفتح نفسى للرجوع إلى حجرتى لأداء الامتحان المطلوب منى . وعند منتصف الليل آويت الى فراشى ونمت نوما عميقا . وفى الصباح الباكر جاءتنى الممرضة بالافطار . وجاءت معها برائحة ما أن شممتها حتى ارتعدت أطرافى . ولما لاحظت تغيرى سألتنى عما ألم بى ، فقلت بقلق لم أستطع أن أداريه :
ــ هذه الرائحة !
فقالت بثقة :
ــ رائحة المسك أطيب الروائح ..
ــ من أين لك بها ؟
ــ أهدانيها أحد زوار النزلاء .
ــ هل يتردد على المصحة من زمن ؟
ــ منذ أكثر من شهر ، ألا تعجبك ؟
فقلت متحفظا :
ــ هى مرتبطة فى حياتى بذكريات غير سارة !
فقالت بمرح :
ــ فك الارتباط وتناول أفطارك .
ونضب اعجابى بالممرضة وتبخر . ولعلها شعرت بذلك على نحو ما فتساءلت بجدية :
ــ هل فرغت من تسجيل المشكلات لآخذها الى الدكتور؟
وفى الحال أعطيتها الورقة لأتخلص منها فى أقصر مدة . وجاءنى الطبيب قبيل الظهر . دعانى إلى الجلوس أمامه واضعا الخوان بيننا . وألقى على ورقتى نظرة جديدة وقال :
ــ أنت ترى أن مشكلة مصر الأولى تتركز فى عدد السكان ؟
ــ هم أم المشاكل كلها .
ــ عظيم ، أى حل تقترح لها ؟
ــ يجب أن يهبط العدد إلى ما يتناسب مع الامكانات المتاحة فتحل جميع المشكلات دفعة واحدة .
ــ وكيف نتخلص من الزائد ؟
ــ بالهجرة الدائمة وقتل الباقى بوسيلة رحيمة خالية من الألم !
ــ يالك من رجل رحيم !





— كل عاقل يجب أن يعتبرني كذلك .
— ومن حسن الحظ أنني عاقل ، والآن ننتقل إلى العالم ، فأنت ترى أن الحرب النووية هي مشكلته الأولى ؟
— نعم ..
— فكيف ترى العلاج ؟
— أن تقوم الحرب وتقضي على العالم وتخلصه من مخاوفه .

— ولكن الابادة ستلتهم الخاوف والخائفين معا .
— أو يبقى نفر كالذين نجوا من الطوفان ..
— الحق أن تفكيرك لا يخلو من رحمة وكمال دائما !

وتبادلنا نظرة طويلة ثم سألته بقلق :
— هل أستطيع أن أذهب الآن ؟
فقال وهو يقوم تأهبا للذهاب :
— بيدك وحدك أن تذهب وقتما تشاء .

وفى الحال أعددت حقيبتي وذهبت . ذهبت أسوأ مما جئت ولكن روح استهانة استحوذت علي وأملت علي أن أمضي في حياتي دون اعتبار لأي شيء إلا الحياة نفسها وتازعتني نفسي إلى لقاء الهانم التي لولا عطفها لهلكت من زمن بعيد . وعند العصر أقبلت علي في ثوبها متلفعة بروب خفيف بنفسجي زادها جمالا وصفاء . جلسنا حول ابريق الشاي وهي تقول :

— لم يفتني شيء من أخبارك وإنني مسرورة بما سمعت .
فنظرت إليها بارتياب وقلت :
— تجربة المصحة تجربة غريبة ، وفي جملتها غير سارة ، وحتى هنا طاردتني رائحة المسك ..

فابتسمت عن لآلئها وقالت :
— الطبيب مرتاح ومتفائل ويجب أن تطمئن إلى حكمه فهو ثقة علامة .
وترددت قليلا ثم قلت :
— عنَّ لي أن أزور قارئة الفنجان المشهورة ..
فابتسمت قائلة :
— كما تشاء ، الحقيقة اتسعت في أيامنا هذه حتى شملت كل شيء ..
وقبلت يدها ، وغادرت مقامها إلى مصر القديمة ، إلى مسكن المرأة التي شغل ذكرها صحفنا الكبرى . وجدت حجرة الانتظار مزدحمة فطال انتظاري حتى أوشك صبري أن ينفد . ثم جلست أمامها على مقعد صغير مريح الوسادة ، وحسوت فنجان القهوة فلم تبق إلا الرواسب . وتناولت الفنجان وراحت تتأمله بعناية ، وطال تأملها حتى قطبت كالحائرة .

ثم قالت :
— لا أدري كيف أقرأ مستقبلك .
فتساءلت منزعجا :
— أهو غامض لهذه الدرجة ؟
— المسألة أن نجاتك أو هلاكك بيدك أنت فليس عندي ما أقوله .

— لي خصم عنيد مجهول .
— نعم ، أنت مجهول أمامه أيضا ، وهو يخشاك كما تخشاه ..
— لم يعرفني بعد ؟
— على رغم أن الحياة جمعت بينكما أكثر من مرة !
— جمعت بيننا !؟
— هذا واضح .
— أليس لديك معلومة اضافية تبل الريق ؟
— قلت ما عندي والله معك .

تركتها مشتت الخاطر ينهمر فوق رأسي القلق من سماء ملبدة بالغيوم . تقول إن الحياة جمعت بيننا أكثر من مرة ! . اللعنة فهو اذن احد سكان العمارة أو زميل في الوزارة وربما يكون البك أو طبيب المصحة ! وذهبت إلى الزهرة لأتناول لقمة وأتعالك أنفاسي . سرح بي الخيال إلى عهد الطمأنينة والسلام قبل أن أطلب يد خطيبتي . وكيف نما إلى علمي أن نفرا من أهلها اقترحوا رفضي لهوان أصلي . ومع أن خطيبتي ذللت العقبات بقوة ارادتها إلا أن اقتراح الرفض آلمني جدا . ودفعني إلى النبش في الماضي لعلي أعثر على أصل كريم غابر أخنى عليه دهر لا يرحم . وأهلتني دراستي الجامعية للبحث فتوغلت فيه باصرار ، ومازلت انتقل من جد فقير إلى آخر أجير حتى أهتديت إلى جد خطير في عصر غابر . كيف تدهور ذلك الجد العظيم ؟ . لقد تمرد على أبيه فحرمه من الميراث ، واستقبلت ذريته تاريخا طويلا من الفقر والذل . وعرفت من التاريخ سر النزاع القديم الذي اتخذ من الثأر المتوارث وسيلة متجددة ومقدسة فتك بها بأرواح لا تحصى من أبناء الأسرة جيلا بعد جيل ، لا يعفي منها غني أو فقير . وقدرت بالحساب الدقيق أنني المرشح اليوم للقتل لا يؤخر الأجل عني إلا الخصم لم يهتد إلي بعد . هكذا استوعبتني مشاكل الأصل والموت فلم تبق من حيويتي إلا القليل لمشكلات الحياة اليومية الملحة . وطبيب المصحة يرى أن تصوري لحل مشاكل مصر والعالم قادر ضمنا على حل مشكلتي المؤرقة ولكن من يضمن لي الحياة حتى تحل مشاكل مصر والعالم ؟! . وتاقت نفسي للخروج من قصر التيه بأي ثمن ولأن أحيا حياتي مهما كلفني الأمر . ودعوت خطيبتي إلى لقاء بالزهرة في أصيل اليوم التالي . ولبت كالعادة بكل حيويتها واستجابتها العذبة وقصصت عليها حكايتي مع قارئة الفنجان منتظرا تعليقها . قالت بأسمه :
— هذا يعني أنه يحتمل أن أكون أنا خصمك المجهول !
ثم بجدية :
— احذر أن تسيء الظن بالجميع فتصبح وحيدا منبوذا .
فقلت بنبرة واضحة وقوية :
— لا أود أن أموت قبل أن أموت .
— يسعدني أن أسمع ذلك ..
— وأود أن نتزوج في الحال .

فوهبتني الموافقة بنظرة عينيها ودون كلام . وإني على أتم استعداد والحمد لله واتفقت مع مقاول من المترددين على الوزارة لتجديد شقتي الصغيرة العتيقة ، يغير أرضيتها ويصلح النوافذ ويدهن الجدران والأسقف ، ويعيد بناء الحمام ودورة المياه والمطبخ . ولما انتهى العمل في الشقة مضوا يفرشونها بجهاز العروس تحت اشراف خطيبتي وأمها وأخيها ضابط الشرطة . ولما كل التعب بحسن الختام إذا بحماتي تقول بنبرة ذات مغزى :
— لابد من فرحة !
لكن مدخراتي أوشكت على النفاد ، وهمست بذلك ، فقالت الست :
— لا نريد حفلا في فندق ، حسبنا عشاء لائق في مطعم خلوي ، وبلا رقص أو غناء !
ولبيت رغبتها على رغمي . واقتصرت الدعوة على الأهل . غير أني دعوت الهانم فشرفتنا مع هدية سعيدة متبرعة للاجتماع بفرقة « كان كان » الموسيقية . وجلسنا متواجهين حول مائدة طويلة ، ورأيت بين

بقلم : الدكتور محمد البهي

الإسلام دين الله

لكى نعرف ماهو دين الله نرجع الى الرسالة الإلهية الأولى على عهد ابراهيم عليه السلام . والقرآن الكريم يقص علينا دين ابراهيم الذى أمر باتباعه ، وتبليغه للناس ، فيما تذكره هذه الآيات الثلاث :

« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه . ولقد اصطفيناه فى الدنيا ، وانه فى الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه أسلم قال : أسلمت لرب العالمين . ووصى بها (أى بملته) ابراهيم .. بنيه — ويعقوب — يابنى : ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء ، اذ حضر يعقوب الموت ، اذ قال لبنيه : ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد إلهك ، وإله آبائك ، ابراهيم ، واسماعيل ، واسحاق ، الهاً واحداً ، ونحن له مسلمون » (البقره ١٣٠ — ١٣٣)

فقد ذكرت هذه الآيات :

أولا : أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان رسولا مصطفى ومختارا من الله . « ولقد اصطفيناه فى الدنيا » .

وثانيا : أن الدين الذى جاء به كان رسالة من الله وتعالى : « ان الله اصطفى لكم الدين ... » وأن هذه الرسالة لايميل عنها الا من انحرف عن جادة الحكمة : « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه » .

وثالثا : أنه طلب من أبنائه ان يسلموا ، وأن لايدركهم الموت الا وهم مسلمون : « فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » .

ورابعا : أن يعقوب — بعده — سأل أبناءه بدوره عن نوع عبادتهم فأجابوه : بأنهم مسلمون ، يعبدون إلهاً واحداً ، وهو ماكان يعبده ابراهيم ، واسماعيل واسحاق من قبل . فالاسلام كان رسالة ابراهيم ، ورسالة من بعده من الرسل من أبنائه ، واتباع اسماعيل واسحق ويعقوب .. كانوا أيضا على دين الاسلام .

وكذلك لكى نعرف : ماهو دين الله ، نرجع الى القرآن ذاته فى التعرف على دين الله على عهد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، فنتلو هاتين الآيتين فى سورة آل عمران . والخطاب فيهما موجه اليه صلى الله عليه وسلم ، والى المؤمنين به :

« قل : آمنا بالله ، وما أُنزل علينا ، وما أُنزل على ابراهيم ، واسماعيل ، واسحاق ، ويعقوب ، والأسباط (وهم من نسل يعقوب) ، وما أوتى موسى ، وعيسى ، والنبيون من ربهم . لانفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (آل عمران : ٨٤ ، ٨٥) .

فالقرآن هنا يأمر : اولا : بالايمان بالله ، وثانيا : بالايمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .. وبما كان من رسالة نزلت على ابراهيم — حتى عيسى عليهم السلام ، دون التفرقة بين أحد منهم . وثالثا : بأن هذه الرسالة هى : الاسلام ، وأن من يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين . وأخيرا : أن المؤمنين بهذه الرسالة هم مسلمون .

والآن : ماهو مضمون الدعوة لدين الله ؟ أو ماهو مضمون دعوة الاسلام ؟

« قل : ياأيها الناس : ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم . وأمرت أن أكون من المؤمنين . وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ، ولاتكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك (اى فى واقع الأمر ، وعلى طول المدى) فان فعلت فانك إذاً من الظالمين . وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلاّ هو ، وان يردك بخير فلاراد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده ، وهو الغفور الرحيم .

قل : ياأيها الناس : قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وماأنا عليكم بوكيل » (يونس ١٠٤ — ١٠٨)

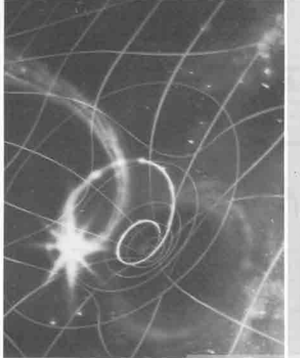
فى هذه الآيات يتحدث القرآن عن مضمون الدعوة الى دين الله ، وهو الاسلام فى كل عهد من عهود الرسالة الإلهية ومضمونها هو : الايمان بالله وحده والنهى عن الشرك ، وعن الوثنية المادية : « وان أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين » .

والنهى عن توجيه العبادة — وهى منتهى الاحترام والاجلال — الى مالا يملك فى واقع الأمر ضراً ولا نفعاً لأحد .. أى لما هو عاجز عن المحافظة على ذاته ، فضلا عن عجزه عن قدرة الاعطاء للآخرين : « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك » .

وعدم الإكراه والإلزام فى شأن الايمان بالله ، اذ الايمان والكفر تعود نتائجهما على المؤمن ، او على الكافر وحدهما : « فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل » .

وبهذا يكون : الاسلام : دين الله فى كل وقت ، ودين الله هو الوقوف بالعبادة والاحترام عند المولى سبحانه ، وصفاته هى التى تمثل القيم العليا فى حياة الانسان .

ودين الله أيضا عدم التجاوز بالعبادة والاحترام الى الموجودين الآخرين مع الانسان أيًا كان نوعهم ، فهم أشباح تستمد ظل وجودها من غيرها . وأن دين الله لا اكراه فيه ، ولا إرهاب فى حمل الناس على طاعته . ودين الله — الذى هو الاسلام فى كل وقت — اذا كان يدعو فى جوهره الى قصر العبادة على الله وحده ، فانه يريد ان يحتفظ للانسان بكرامته . واذا كان لا إكراه فيه فانه يريد أن يحفظ عليه حريته ومشيئته . وهنا كان الاسلام : دين الله ودين الانسانية معا .



شكل (٢) لكل علم طريقة عمل محددة ، وبها يستطيع أن يكشف عن نظم الخلق المقدرة تقديرا حسنا . والشكل يوضح كيف يتعامل دارسو الزهور مع أجزائها المختلفة ، ويرسمون لها مقاطع زهرية ، مع الرجوع دائما الى نقطة البداية — الى محور الزهرة الذى يمثلونه بنقطة دائرية تراها فى أعلى المقطع

شكل (١) أحد القواقع الحلزونية التى لها اتجاه خاص فى بناء الهيكل الذى تسكن بداخله ولو فحصت أنواعها لوجدت بعضها يدور بشكله الحلزونى فى اتجاه عقرب الساعة ، أو فى عكس هذا الاتجاه !



لغز الحلزونيات

فى الكون والحياة أسرار محيرة ، وألغاز مربكة ، ولكنها — مع ذلك — تثير عقولنا في البحث عن أصول الخلق المذهلة ، وبها قد ندرك ماكان قد غاب عن فكر الأجيال السابقة . إذ كلما تقدم العلم وتطورت المعرفة ، استطاع الانسان أن يكشف عن الغموض الذي يحيط بطبائع الأشياء .. بداية بأدق الجسيمات التي تكون الذرات وانتهاء بالكواكب والشموس والمجرات ، أومابين ذلك من مخلوقات تنطوي على نظم غامضة ، لكن أسرارها تتفتح للعقول الباحثة ، فتدرك أن من وراء ذلك شرائع محكمة ، ونواميس متقنة .. ومن هذه الأسرار ، سوف نختار سر الحلزونيات التي تكمن فينا ، أو في كثير من ظواهر الكون والحياة.

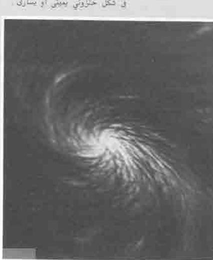
بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح



شكل (٣) وكما جاءت بعض أنواع القواقع بشكل حلزونى ، كذلك تجىء جزيئات المادة الوراثية المعقدة بشكل حلزوني — والصورة نموذج مبكر جدا لجزء جد ضئيل من جزيئــــات الحمض النووى — أى الذى يسكن نواة الخلية ، ويحمل الشفرات الوراثية



شكل (٤) قمة رأس طفل . وفيها تشاهد بوضوح كيف يبدأ نمو الشعر . ثم يدور في شكل حلزوني يميني أو يساري .



شكل (٥) الأذن الداخلية جاءت بدورها على هيئة قوقعة أو حلزونية . وهي مزودة بسائل خاص ليتقبل الموجات الصوتية ويدور بها في الجسم القوقعي حيث تلتقطها الأعصاب السمعية وتبعث بها إلى مراكز السمع في المخ العظيم



شكل (٦) دوامة مائية تدور بكميات هائلة من الماء . وهي هنا تتخذ النمط الحلزوني بوضوح تام

في الأرض والسموات

عندما دخلت بالصدفة إلى معمل زميل وصديق يشغل وظيفة استاذ الأمراض الطفيلية : بأحد المعاهد العلمية . لاحظته وهو يجلس أمام كومة صغيرة من القواقع الحلزونية الناقلة لأمراض الانسان . ولقد كان يمسك القوقع بطريقة خاصة . ثم يفحصه ويلقيه إلى اليمين . وقد يقع بين يديه قوقع آخر . فيلقيه إلى اليسار .. القواقع تقريباً متشابهة ، لكن ماالذي جعله يفرزها هكذا بمجرد النظر اليها . ثم يختار هذا . فيضعه تلك الناحية . ثم ذاك ، ليضعه الناحية الأخرى .

ولقد تنبه إلى وجودي بينما كنت أرقبه ملياً بنوع من الفضول . ثم تحدثت معه مازحاً عما يفعل . فشرح لي أن القواقع قد تكون يمينية ، وقد تكون يسارية . بمعنى أن شكلها الحلزوني قد يلف في اتجاه عقرب الساعة . أو في عكس اتجاهه . ومن هنا تحدد لنا هذه الصفة الهامة المبدئية نوع القوقع وسلالته (شكل ١) .

مثل هذه الأمور تمر على معظم الناس مرّ الكرام . ودون أن يشغلوا أنفسهم بملاحظة أصول الخلق البادية للعين المجردة .. مع أن الملاحظة المتأنية هي بداية هامة للبحث في أصول الخلق . كما أنها من أعظم السبل التي تقدم العلم من ناحية ، وتقرب الانسان إلى خالقه من ناحية أخرى . لأنه سيعلم أن كل خلق قد جاء وفق خطط مذهلة ، ونظم محكمة ، وقوانين صامدة ، لاخلل فيها ولا حيود !

إن قصة تلك القواقع ـ التي تبدو يمينية الدوران . أو يسارية ـ قد أثارت في العقل ذكريات قديمة عن النظام الذي نشأت عليه زهور النباتات . فلقد كان أساتذتنا في كلية العلوم يعلموننا كيف نختار الموقع الصحيح لكي ننظر إلى تراكيب أجزاء الزهرة : تماماً كما كان الأستاذ يضع القواقع أمام عينيه في موضع صحيح وموحد .. ولكي نبدأ البداية الصحيحة . كان لابد أن نضع المحور الذي تنمو عليه الزهرة أمام عيوننا تماماً . ونرمز له على الورق بنقطة . ومن هذه النقطة نبدأ في رسم الأجزاء الزهرية . لنحدد إلى أية رتبة وعائلة تنتمي الزهرة . ودون أن نعرف النبات الذي منه قد عزلت .. لكن . ماذا نريد بذلك مثلاً ؟

النظام المتقن في الخلق .. ففي كل مرة تلتقط هذا النوع من الزهور . في مكان مختلف . وزمان مختلف . تجد نفس التناسق في الأجزاء . مما يوحي إليك أن هذا الخلق الصامت له قوانينه التي تحكمه (شكل ٢) .. ليس فقط على مستوى القواقع والزهور ، ولكن على كل المستويات ، وطبيعي أن الحديث عن نظام الخلق يستوعب مجلدات كثيرة من فوق مجلدات ، ومن أجل هذا . فسوف نتعرض هنا لمسألة واحدة تخص نظاماً واحداً ومحدداً .. ذلكم هو النظام اللولبي أو الحلزوني .

أكوان غريبة

ولنبدأ أولاً بأنفسنا ، لأن النظام الحلزوني قد ظهر فينا وفي كل المخلوقات . بداية من

لغز الحلزونيات في الأرض والسموات

شكل (٧) في التفاعلات الذرية يشهد العلماء ولادة جسيمات وموت أخرى ، لكن بعض هذه الجسيمات الوليدة تنطلق في اتجاه عقرب الساعة ، أو في عكس هذا الاتجاه (أي قد تكون يمينية أو يسارية).

الفيروسات والميكروبات ، ومروراً بكل أنواع النباتات والحيوانات .. فالنظام الجزيئي للمادة الوراثية التي تحدد صفات الكائنات ثبت أنها نظام حلزوني (شكل ٣) .. أما لماذا اتخذت هذا النظام المثير ، فشرح ذلك قد يطول ، لكنها على أية حال ترجع الى طبيعة الروابط الاليكترونية التي تربط الجزيئات الصغيرة في الجزيء الكبير العملاق ، وهذا بدوره يطوي في داخله شفرة الحياة المبرمجة بمركبات أربعة لاغير ، (تسمى القواعد الأربع) .. ثم أن الشكل الحلزوني للجزيء الوراثي هو التكوين الأمثل للهندسة الفراغية المتاحة ، أي وضع أكبر كمية من هذه اللولبيات في أقل كمية من الفراغ ، وهذا ــ بلاشك ــ أحد الأفكار الرائعة في الحياة .. لكن الغريب أيضاً أن هذه الحلزونيات الوراثية قد يأتي بعضها ليلف يميناً ، وبعضها الآخر يدور يساراً . وكأنما نحن قد عدنا الى نظام القواقع الحلزونية اليمينية واليسارية ، ومع ذلك فلن نذهب بعيداً ، لأن نظام بداية الشعر في رؤوسنا يبدأ من نقطة في القمة ، ومنها قد يدور يميناً ، أو يدور يساراً (شكل ٤).

فإذا خرجنا من عالم الجزيئات الدقيقة ، الى عالم الكائنات الصغيرة ، ممثلة في بعض الميكروبات والطحالب ، ثم نظرت إليها من خلال عدسات الميكروسكوب ، لوجدت أن بعضها يتخذ النظام الحلزوني في شكله وحركته ، حتى لتحسبه « بريمة » كالتي نعرفها في حياتنا ، لكنها على أية حال بريمات حية .

وعندما نتعرض لتكوينات أكبر من الميكروبات الحلزونية ، وبحيث يمكن رؤيتها

■ هل للنباتات ذاكرة تعرف مبادئ الزوايا والحساب والأرقام والمعادلات ؟

بالعين المجردة ، فإننا لاشك واجدوها في الأذن الداخلية للانسان والحيوان ، وهو مايطلق عليه اسم الجسم القوقعي أو الحلزوني ، أما لماذا جاء بهذا التكوين فشرح ذلك يطول ، لكن يكفي أن نعرف أنه قد جاء لحكمة بالغة (شكل ٥) .

وفي النباتات يظهر العديد من الأشكال الحلزونية ، فالنباتات المتسلقة تلتف حول جذور النباتات القائمة ، وتدور حولها في شكل حلزوني غالبا ، كما أن المحاليق (وهي أجزاء محورة من النبات) التي نراها في نبات العنب مثلاً تلتف وتتشبث بأية دعامة ، لكنها تتخذ أيضاً شكلاً لولبياً أو حلزونياً .

والغريب أيضا أن قرون بعض أنواع الحيوان تستطيل وتلتوي وتبدو لنا على هيئة حلزونية .. كذلك تكون الدوامات المائية والهوائية (أو مايطلق عليها اسم السيكلون) .. وأنت تستطيع أن تشاهد ذلك في دوامة عندما تلتقط هذه أو تلك بضع أوراق في جوفها ، فتدور فيها على هيئة حلزونية (شكل ٦) ..

وعلماء الطبيعة الذرية أو النووية يشهدون في مجال بحوثهم جسيمات تنطلق بشكل لولبي ، فمنها مايدور يساراً ، ومنها مايدور يميناً ، لكن الذي يحكم ذلك هو المجالات المغناطيسية ، والشحنة الكهربية ، وقوانين الحركة في تلك الجسيمات ، لكننا لن نتعرض لشرح ذلك لضيق المجال (شكل ٧) .

وإذا كانت أدق مكونات كوننا ممثلة في الجسيمات الذرية تتخذ في مسيرتها الشكل اللولبي أو الحلزوني ، فإن علماء الفلك يرون ذلك أيضاً في خلق السماوات ، فمعظم المجرات قد جاءت على هيئة حلزونية ، هذا والمجرة الواحدة قد تحوي مائتي ألف مليون نجم ، وكلها تدور حول نواة أو مركز ، لكنها تتخذ نمطاً غريباً (شكل ٨) .. وقد حاول علماء الفلك معرفة السر في ذلك ، لكن الغموض لايزال يسيطر على تكوينها ، ومع ذلك ، يفسرها بعض العلماء بحركة النجوم في مجراتها حول مركز محدد ، ثم خضوعها لقوانين الجاذبية التي تمنعها من الافلات .. فكأنما نحن أمام « دوامة » سماوية من نوع آخر !

ويقال أيضاً إن الأجرام السماوية تندفع بسرعة وعنف بالغين نحو ثقوب سماوية



شكل (٨) إحدى المجرات التى تحتوى على أكثر من مائة ألف مليون نجم تبدو أيضا على هيئة حلزونية .. أى أن نجومها تدور حول نواة أو مركز ، لكنها تظهر بهذا الشكل المثير .. هذا ومجرتنا التى نقطن فيها مع شمسنا من هذا النوع ـ أى من المجرات الحلزونية .

شكل (٩) نموذج للثقب الأسود كما يتخيله العلماء من سلوك مادة الأجرام السماوية التى تندفع نحوه وهى تدور بقوة بالغة .. لاحظ فى الصورة اليسرى خط أفق الحدث الذى يفصل بين عالمين : عالم معلوم لنا ، وعالم مخفى عنا فى دوامة حلزونية تنتهى فى نقطة (خط أفق الحدث يبدأ عند الاشعاع ، ثم يسقط فى قمع حلزونى)



لايعرف العلماء عما يجري في داخلها شيئاً ، وهي التي تعرف باسم الثقوب السوداء وإليها تندفع المادة وهي تلف وتدور كدوامات حلزونية ، وتطلق موجات كهرومغناطيسية عاتية ، ثم تعبر ما يسمى بأفق الحدث ، وهو الخط الفاصل بين مادة وموجات عالمنا كما نعرفها ، وبين عالم آخر مجهول ومخفي عنا تماماً ، لأنه موجود داخل الثقب الأسود ، وفيه يتوقف الزمن ، وتختفي المادة ، وتحبس الموجة .. فلاحس ولاخبر .. أي كأنما الكون نفسه سيختفي ويقبر في قبور حلزونية ، لها فوهة واسعة جداً كفوهة الاعصار الدوار ، وتنتهي في نقطة .. الى لاشيء (شكل ٩) ..

ويقال أيضاً إنّ الكون سوف يبعث من حيث ينتهي ، أي أن موته في ثقوب سوداء ، وبعثه من خلال ثقوب بيضاء ، فكأنما نحن قد عدنا الى شيء أقرب بالخلق اليميني والخلق اليساري .. لكن ذلك موضوع كبير ، ولقد ذكرناه ذكراً عابراً ، لأنه يدخل ضمن الحلزونيات على مستواها الكوني الكبير .

الموضوع ـ بلاشك ـ طويل جداً ، ومن أجل هذا اخترنا نماذج قليلة وبسيطة مما يكمن فينا وفيما حولنا ، وفي الآفاق ، وبحيث يشمل مجالات علمية مختلفة .. فعلماء الميكروبات ، وعلماء النبات ، وعلماء الحيوان ، وعلماء الوراثة ، وعلماء الظواهر الجوية ، والطبيعة الذرية ، والبحوث الفلكية .. الخ ، كل هؤلاء يرون نماذج من هذه اللولبيات أو الحلزونيات في مجال بحوثهم ، وكل يحاول أن يجد التفسير المعقول الذي يريح فضوله لفهم ألغاز هذا الكون وخباياه !

لغز محير وغريب

ومع أننا مررنا على أشياء كثيرة مر الكرام ، إلا أن ذلك يدفعنا للتعرض لمسألة واحدة بشيء من التفصيل ، حتى يتضح لنا أن هذه النظم اللولبية قد جاءت شاهدة على نظام متقن ، وخلق مدبر ، وحكمة لايخفى مغزاها على لبيب ، ولنختر هنا نظام التبادل في بعض أجزاء النبات ، رغم أن النباتات لاتحظى منا بالاهتمام ، مع أنها مفعمة بالألغاز .. أن نرى في النبات لغزاً رياضياً محيراً كاللغز الذي قدمه لنا الايطالي فيبوناكي (اسمه بالكامل ليوناردودابيزا ، وهو ابن تاجر يدعى بوناكي ، وكان ليوناردو يُنادى باسم ولد بوناكي ، وولد بالايطالية تعني « فيليو » أو « في » .. واندمجت « في » مع « بوناكي » فأصبحت فيبوناكي) وظهر عام ١٢٠٢ في كتابه الذي اسماه لغز الأعداد ، فهذا مايستحق التقديم ، خاصة وأن الصدفة التي جمعت بين لغز الانسان والنبات صدفة غريبة ومثيرة حقاً .

إذن .. ماهو لغز فيبوناكي ولغز النبات ؟

يطرح فيبوناكي لغزه هكذا : افرض أن لديك زوجاً من الأرانب ، وأن هذا الزوج يستطيع أن ينجب زوجاً في بداية كل شهر ، وافرض كذلك أن كل زوج مولود يستطيع بدوره أن ينجب زوجاً بعد شهرين من ولادته .. فكم زوجاً تستطيع أن تحصل عليها بعد عام كامل وعلى فرض أن كل الأرانب ستظل حية وخصيبة ؟

لغز الحلزونيات في الأرض والسموات

شكل (١٠) نظام واحد من نظم الخلق التي لا تعد ولا تحصى .. لاحظ كيف تأخذ كل ورقة مكانها بين كل ورقتين تحتها أو فوقها . ودون أن تشذ احداها عن الأصول .. لكن ما أكثر ما يحيد البشر عن نظم الحياة المحكومة بقوانين !

ولن نشركك طبعاً في معمعة هذه الأرقام ، فالحل عبارة عن سلسلة من الأعداد هكذا : ١، ١، ٢، ٣، ٥، ٨، ١٣، ٢١، ٣٤، ٥٥، ٨٩، ١٤٤، ٢٣٣ ... الخ .. وطبيعي أنك قد لاحظت أن الرقم الأول (١) هو الزوج الأول ، فأعطى زوجاً في بداية الشهر التالي (رقم ١ التالي) . مجموعهما (الرقم ٢) أي الزوج الأول والثاني .. أو ببساطة شديدة عليك أن تجمع كل رقمين متتاليين ، ثم تضع المجموع الى يسارهما ، لتنتج لك حصيلة الشهر الذي يليه ، وسر على هذا النهج في سلسلة الأرقام ، وعندئذ ستحصل ببساطة على الحل الصحيح للغز .

وقد يبدو ذلك خروجاً من موضوع إلى موضوع ، لكنه ليس في الواقع كذلك ، إذ أن كثيرا من النباتات قد اتخذت هذا اللغز سبيلاً في حياتها قبل أن يظهر فيبوناكي وقومه ، أو الجنس البشري كله بعشرات الملايين من السنين .. لكن بدلاً من اتخاذ الأرانب وسيلة للتكاثر ، وهو افتراض نظري يبدو كتسلية أو مزحة أو لغز ، إلا أن النبات قام بتطبيق هذه السلسلة من الأرقام في إنتاج الأوراق والفروع والزهور والثمار ، وبكل دقة واقتدار ، ودون أن يشذ الخلف على تقاليد السلف مهما تعاقبت الأجيال والسنوات .

كأنما للنباتات هنا ذاكرة ، أو أنها تعرف مبادىء الزوايا والحساب والأرقام والمعادلات . وهذا أمر صحيح ، غير أن مسألة الذاكرة والمعرفة بمبادىء الحساب قد أوحي في نظامها وحياً جميلاً ، وما الوحي هنا إلا خطط وراثية مبرمجة على أشرطة مسجلة بمركبات كيمائية ــ نقصد ذلك الشريط الحلزوني الذي يحدد صفات الكائنات (أنظر شكل ٣) ، فيجعل موضع الأذن هنا والعين هناك ، أو



شكل (١١) نظام ترتيب الأوراق على الساق يبدو بموقع ورقة محددة ، ثم تسير مع الأوراق التى على الساق ، حتى تصل الى الورقة التى تقع بالضبط فوق الورقة التى بدأت بها .. وتضع عدد الدورات الكاملة في البسط ، وعدد الأوراق في المقام ، تحصل على نسبة ثابتة لكل نبات ، ودون أن يشذ عنها .

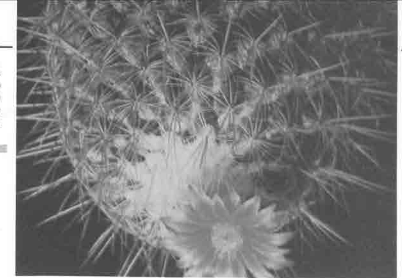
■ الشكل الحلزوني يُتيح وضع أكبر كمية من اللؤلبيات في أقل كمية من الفراغ

الورقة هنا ، والزهرة هناك ، إلى آخر هذه الصفات الظاهرية التي نراها بعيوننا ، ولا نرى البرمجة الوراثية الدقيقة والمذهلة الكامنة فيها .

لحظات من تأمل

وطبيعي أن نظم الخلق المتقن لاتعلن عن نفسها ، إلا لكل من سعى إليها ، وتعلم من أحكامها ، وعندئذ يعرف الانسان أنه أمام تكوينات لاخلل فيها ولافوضى ، ولاشك أن بداية العلم ملاحظات وتأملات واستيعاب وتسجيل نتائج ، وإجراء تجارب ، ثم نسج كل ذلك في إطار متسق ، لاستخلاص حقيقة تسعد العقول الواعية ، ولا شأن لها باللاهية .. ومن مثل هذه الأشياء البسيطة نشأ ــ على سبيل المثال ــ علم تقسيم الكائنات الحية ، واستطاع العلماء أن يضعوها في أقسام ورتب وعائلات وأجناس وأنواع وسلالات ، وبهذا يمكن دراستها على أنها مجموعات تجمعها بعض صفات مشتركة ، وليس كما يراها الناس على هيئة مشتتة لاتربطها رابطة .

والواقع أن الطبيعة هي كتاب الكون والحياة المفتوح ، لهذا دعنا نقرأ فيه مسألة



شكل (١٢) أحد النباتات الشوكية العصيرية ، وتبدو فيه التراكيب الحلزونية بوضوح ، وكأنها هي بدورها تقلد بعض النظم الكونية التي تسير على نفس هذا النمط المثير

بسيطة للغاية . ولتكن هذه القراءة في تكوين نبات . وعليك أن تنظر فقط إلى الظاهر ، فهو المتاح لعيون البشر . أما الباطن فينطوي على هندسة بنائية دقيقة تحتاج في كشفها إلى الميكروسكوبات .. لهذا تأمل في زهرة كيف تراكيبت ، وأوراق كيف تبادلت ، وأغصان كيف توزعت ، وثمار انتظمت ، وجذور كيف انتشرت .. إلى آخر هذه الأمور التي توحي للعقل أن كل تكوين فيه قد أتى بآية من آيات الخلق المحكمة .

خذ على سبيل المثال أحد أنواع نبات الصبار ذي الأوراق العصيرية المنتفخة بالماء . ولاحظ كيف توزعت أوراقه على ساقه القصير . تجد أنك أمام تكوينات متراكبة بشكل هندسي مثير (شكل ١٠) .. وكأنما كل ورقة قد اتخذت لنفسها مجالاً محدداً ، وبحيث لا تزاحم إحداها الأخرى في الحصول على نصيبها من أشعة الشمس .. أي أنك لن تجد ورقة وقد ركبت الأخرى . بل هي دائماً بين بين . (وهو ما تلاحظه ربة البيت في المطبخ مثلاً . عندما تتعامل مع أوراق الكرنب المتراكمة . أو أوراق الخرشوف المتبادلة) وطبيعي أن ذلك لا يأتي إلا من خلال برمجة وراثية دقيقة يحملها هذا النبات أو ذاك في مخزونه الوراثي ، فتتحول البرمجة الكيميائية إلى هندسة ونظام وإتقان ــ هو الذي نراه في تكوين النباتات .

مثل هذا النظام يعرفه علماء النبات باسم فيللوتاكسي phyllotaxy أي نظام تبادل أو ترتيب الأوراق على السيقان ، ومسألة تحديد ذلك بسيطة للغاية . فما عليك مثلاً إلا أن تنتقي ورقة ، وتحدد موضعها بالدقة على ساقها ، ثم تبدأ بالمرور أو الدوران حول قواعد الأوراق التي تليها على الساق ، وكأنما أنت تمسك بخيط وهمي ، حتى تصل إلى الورقة التي تقع بالضبط فوق الورقة التي بدأت فيها ، ثم عليك أن تعد كم ورقة مررت بها ، وكم دورة حلزونية كاملة درتها بالخيط الوهمي ، ثم تقسم عدد الدورات على عدد الأوراق . وعندئذ قد تحل إلى حسبة فيبوناكي . ولكي لا أشق عليك ، كان من الأوفق أن أسوق النتائج إليك . فأوراق الحشائش ١/٢ ، وأوراق الزان ١/٣ ، والتفاح ٢/٥ ، والكمثرى ٣/٨ ، واللوز ٥/١٣ ، الخ (شكل ١١)

ولاشك أنك قد لاحظت أن أرقام البسط والمقام المستخلصة من ترتيب الأوراق في بعض النباتات التي ذكرناها (والتي لم نذكرها لضيق المجال) هي نفس الأرقام المستخلصة من سلسلة أعداد فيبوناكي أي ١ ، ٢ ، ٥ ، ٨ ، ١٣ ... الخ .

هل هناك علاقة ود ؟

لكن الغريب أن تنظيم الأجزاء النباتية المختلفة على محاورها قد يتخذ بدوره شكلاً حلزونياً ، خاصة إذا تقاربت هذه التكوينات من بعضها . كأن تكون مثلاً أشواكاً للحماية ، أو زهوراً لإنتاج البذور ، أو أوراقاً لتجهيز الغذاء ... الخ ــ تأمل مثلاً في شكل (١٢) تجد النبات قد اتخذ الشكل الحلزوني ، ولو أحصيت الصفوف المائلة التي تتجه يميناً ، والصفوف المائلة التي تتجه يساراً ، لوجدتها أيضاً أعداداً فيبوناكية !

هل يعني ذلك أن هناك علاقة ود أو حب بين حسبة فيبوناكي مع أرانبه ، وحسبة النبات مع أجزائه ؟

بالتأكيد كلا .. فربما كان ذلك محض صدفة .. لكن يبدو أن الأمور أغرب من ذلك بكثير . فبعض هذه النباتات مثلاً قد توصل ــ من خلال ترتيب أوراقه أو زهوره ــ إلى ما يطلق عليه علماء الرياضيات اسم العدد المقدس ، أو العدد الذهبي .. ليس ذلك فحسب ، بل إن هذا الترتيب قد يصل إلى الحد الذي يشبه الكلمات المتقاطعة ، أو مربعات الأعداد المتسلسلة أو المتكاملة ، لدرجة أن واحداً من المهتمين بمثل هذه الدراسات الغربية قد توج دراسة له في مجلة علمية بعنوان غريب يأتي هكذا : زهرة الربيع الرياضية ــ أي التي ترص زهوراً على حسب مبادئ رياضية ! والغريب أنها جميعاً تتبع النظام الحلزوني ، وتسير على مبادئ حسبة فيبوناكي . وهي فوق كل هذا تطبق النظرية أو الحسبة أجمل تطبيق . في حين أن حسبة الايطالي ليست إلا للتسلية ، وتطبيقها غير وارد !

لكن .. ماذا يعني كل ذلك ؟

يعني أن الحياة تنطوي على أسرار غريبة ، وهو ما سوف نفرد له دراسة مستقلة ، لنعلم مالم نكن نعلم من غرائب الكون والحياة . وسبحان الله العظيم المبدع الأعظم للكون والحياة .

عبد المحسن صالح

زمان الصمت المهيب

فيما سلف من الأيام ، لم يكن الانسان وحده هو الذي يتكلم بل كان كل ما على سطح الأرض من حيوان ونبات وطير وجماد يتكلم مثلما يتكلم أبناء آدم وحواء .

كانت الأنهار تتكلم كلاما أجمل من أعذب موسيقى ، ولكنها لاذت بالصمت مرتجفة الماء عندما شيدت سجون على ضفافها ، وامتزج دم بمياهها .

كانت الدجاجات تتكلم ، ولا تكف عن ترديد القول التالي بفخر : « وما التأنيث لاسم الشمس عيب ، ولا التذكير فخر للهلال » ، ثم تنبه الناس الى أن لحومها لذيذة الطعم ، وانقضوا عليها بسكاكينهم ، فتخلت عن الكلام احتجاجا ، ولم ينفعها احتجاجها ، وظلت طبقا ذا مكانة مرموقة على موائد الآكلين .

كانت العقارب تتكلم ، ثم اكتشفت في لحظة من لحظات الوعي المباغت أن هناك في صفوف البشر من يفوقها في اللدغ ، فخجلت ، وخجلها قضى على كلامها ، وأخرسها .

كان الحمار يتكلم بفصاحة ، ولكنه في يوم من الأيام ضرب ضربا مبرحا أدى الى حرمانه القدرة على التكلم ، ولم يبق له سوى النهيق وسيلة وحيدة للتعبير عن أفكاره ومشاعره ، فخسر الكون خطيبا مفوها لوذعيا .

كانت القنافذ تتكلم ، واشتهرت بولعها بمناقشة القضايا السياسية ، ولما تبدلت السياسة ، وصارت نوعا مبتذلا من التجارة بالمبادىء ، تضاءل كلامها رويدا رويدا حتى انقرض نهائيا .

كانت الجدران تتكلم باستمرار ، وتتهم بالثرثرة غير أن ما شاهدته من مهازل سرية أفقدها الرغبة في الكلام ، فصمتت غير آسفة .

كانت البلابل تتكلم ، ثم امتنعت عن الكلام اشمئزازا من أصوات منكرة تنال التصفيق الحار من مستمعين معجبين ، ولكنها ظلت تشدو متحدية على الرغم من ثقتها بأن تحديها مخفق ، ولن يختتم بأي انتصار .

كان الجمل يتكلم ، ثم قيل له يوما إن صحراءه ستضمحل في المستقبل وتحل محلها مدن من اسمنت وحديد ، فصدق ما قيل له ، وصمت تعبيرا عن حزنه ، ويحق لمن يخسر وطنه أن يحزن ، وأن يصبح قدوة .

كانت النعامة تتكلم داعية الى دفن الرؤوس في الرمال ، ولما نجحت دعوتها ، رأت أن كلامها لم يعد له أي دور ، ولا مبرر لاستمراره ، فقررت أن تصمت ، ونفذت قرارها التنفيذ الأمين .

كانت الأشجار تتكلم ، وتقول بجرأة ما لا يقال ، ولكنها سكتت رعبا مما حل بمن يتكلمون بجرأة من أبناء البشر ، ولم يتهمها أحد بالتقاعس والجبن .

كان البحر يتكلم ، ولكن غضبه على ما يقتل من سمكه جعله ينبذ الكلام ، ويبتلع سفناً وأناساً انتقاماً من المعتدين على أملاكه .

كانت الكراسي تتكلم ، ثم جاءت أيام تكاثر فيها المتنافسون على الجلوس عليها ، وكتموا أنفاسها ، وخنقوها ، وحولوها الى خشب هامد .

كانت الطواويس تتكلم ، وحين تتكلم ينصت لها كل من يكون حولها بخشوع ، وكل جملة تنطق بها تسجل فورا بوصفها الحكمة الخالدة ، وعندما صارت الحكمة مذمومة ، والسفاهة محمودة آثرت الطواويس السكوت ، ولم تندم فيما بعد .

كان الورق الأبيض يتكلم ، ولكن ما كتب عليه من كلمات كاذبة حضه على ازدراء الكلام ، وأصبح مواطنا في وطن الصامتين .

كانت النجوم تتكلم ، وتؤمن بأن خير الكلام ما قل ودل غير أن طغيان الثرثارين والمتشدقين أقنعها أن الكلام ليس بالأمر الحسن الذي يليق بمن يتلألأ في أحشاء الظلمة ، كانت الجياد تتكلم لتشرح لتلامذتها الكثيرين فوائد الحرية ، فهزمت الحرية شرّ هزيمة ، وأضحت ضحية ، وكان من البديهي أن يخلد المبشرون بها الى الصمت العميق .

كانت الأرانب تتكلم ، وتتقن العربية الفصحى اتقانا تاما ، وتنظم ببراعة الشعر الموزون المقفى ، ولا تحاول المراوغة والغش ، وتعترف بأنها تلجأ الى الهرب خائفة كلما أحست بأن خطرا ما يهدد حياتها ، ولم تكن تخجل من اتهامها بالجبن ، ولكنها هجرت الكلام وسكتت حانقة عندما رأت أناساً يهربون قبل أن يهدد الخطر حياتهم ، ثم تنهمر عليهم ألقاب البطولة تقديرا لشجاعتهم التاريخية .

كان الناس كافة يتكلمون بأصوات عالية ، ثم توارت أصواتهم ، وبدوا كالنائمين وكالموتى ، وما هم بنائمين أو موتى .

من ينبغي أن يتكلم ويصرخ هو الآن صامت ، ومن ينبغي له أن يصمت لا يتوقف عن الكلام ، ولا دليل في الآفاق العربية على أن ثمة تبدلا سيحدث .



الغضب الجميل المنسي

الغضب نوعان : غضب يدحر عدوا غازيا ، ويحرر أرضا وانسانا ، ويزهق باطلا ، ويشيد للعدول صروحا . وغضب آخر لا يفزع ذبابة ، ولا يمنع بوما من النعيق .

وكل غضب يعجز عن التجسد في أعمال وأفعال هو ثرثرة وانفعال عابر وغضب وهمي مزور يشبه غبارا يريد الاطاحة بجبل .

ومن المؤسف أن الغضب الوهمي هو الآن السائد في حياتنا اليومية ، والمهيمن على كثير من عقولنا وألسنتنا وأيدينا وأقلامنا .

نحن نغضب إذا دعس شخص ما على قدمنا مصادفة ، ولا نغضب إذا احتل العدو جزءا من وطننا ، إنما نهز رؤوسنا آسفين ، ونغمغم متسائلين بحيرة : « ماذا نفعل ؟ الدول الكبرى تؤيده تأييدا بلا حدود ، فهل نستطيع محاربة الدول الكبرى والانتصار عليها ؟ » .

نحن نغضب إذا نمى إلى سمعنا أن أحدهم قال علينا كلاما لا يرضينا ، ولا نغضب حين يزدرينا الأجنبي ، ويكرس أجهزة اعلامه لتشويه صورتنا يوميا ، بل نزداد تبجيلا له ، ونسرف في استيراد بضائعه ، ونتخم مصارفه بأموالنا ، كأننا نعترف بأن موقفه منا صحيح ، ولم يقل إلا الحقيقة .

نحن نغضب إذا رأينا قمامة متناثرة على أرض شارع من الشوارع ، ولا نغضب إذا رأينا أرض الشارع نفسها تغرقها دماء بشرية مسفوكة ظلما وبغير ذنب ، ونكتفي بالقول مهددين : « أجدادنا علمونا أن نثأر ولو بعد أربعين سنة » .

وقبل أعوام ليست بالقليلة غنت المطربة المشهورة فيروز قائلة بثقة وحماسة إن الغضب الساطع آت ، فإذ قولها مجرد شائعة يعوزها الصدق ، ولكن ثمة معجبين بفيروز يدافعون عنها قائلين : « فيروز كانت صادقة ، لقد قالت إن الغضب الساطع آت من دون أن تحدد موعدا معينا لمقدمه ، وسيأتي بالتأكيد بعد ألف سنة » .

والغضب ليس هو وحده الذي يتصف بأنه نوعان هناك أشياء أخرى كثيرة تتصف بأنها نوعان .

الليالي نوعان ، ليال لنوم الناس ، وليال لنوم الضمير ، ونوم الضمير بات صفة للذكي وفق المعايير المعاصرة .

الأنهار نوعان ، أنهار من ماء تسير إلى أمام ، وأنهار من بني البشر تجري إلى الوراء اذعانا لمشيئة من إذا أمر أطيع ، والعصاة هم من الهالكين .

الكتب نوعان ، كتب ترشد إلى الدواء وكتب هي الداء والوباء .

الأسواق نوعان ، أسواق تباع فيها السلع الضرورية والسلع الكمالية ، وأسواق يباع فيها الانسان بأساليب متقدمة ، فالرقيق محظور قانونيا ، وأصفاده اختفت لتحل محلها أصفاد أخرى أبشع وأقسى وغير مرئية ، وتسمى أحيانا الفقر والخوف .

الكلام نوعان ، كلام صادق يجلب الهوان لصاحبه أو يصرعه ، وكلام منافق يتيح لقائليه امتلاك الثروات واحتلال كراسي المناصب ، والكلام المرائي هو الرائج والمطلوب .

استقلال الأوطان نوعان ، استقلال يطرد الأجنبي المحتل كي يبقى الوطن ويطور المواطن ، واستقلال يرغم المواطنين على الحنين إلى أيام الاحتلال والمحتلين .

الأشجار نوعان ، أشجار تفقد أوراقها الخضراء في الخريف والشتاء ، وأشجار تحافظ على خضرتها في الفصول الأربعة ، والناس الذين لا يذبل ما يؤمنون به من قيم ومثل ، ولا يصفر ولا يتساقط هم قليلو العدد ، ولكن قلة عددهم لا تعني أنهم مهزومون في الجولات كافة ، فالفيل الواحد أضخم من مليون بعوضة .

الحمير نوعان ، حمير تعرف أنها حمير ، فتحمل الأثقال ، وتكتفي بالنهيق صابرة ، وحمير تدعي أنها قادرة على الطيران ، وستطير كالعصافير الدورية إذا كانت مدعومة من قبل قوى دولية .

البطون نوعان ، بطون يشبعها القليل من القوت ، وبطون تظل جائعة مهما أكلت ، وستطالب بالمزيد حتى ولو التهمت الكرة الأرضية وما على سطحها .

الناس نوعان ، ناس ينظرون إلى الأقدام على أنها وسيلة للتنقل من مكان إلى مكان ، وناس يعتقدون أن لا مهمة للأقدام إلا الركض من عتبة مسؤول إلى عتبة مسؤول .

الزمان نوعان ، زمان للنمور ، وزمان للقرود ، والزمان الراهن ليس زمان النمور .

محاورات أفلاطون

رئيس التحرير : « قصيدتك التي تتناول بالتحليل والدرس علاقة حب بين مواطن صالح ومواطنة صالحة هي أكثر من رائعة ، ولكنها لا تصلح للنشر حاليا لأنها لا تتحدث عن الخطط الحكومية لمكافحة الأمية والآفات الزراعية » .

الشاعر : « ولكن قصيدتي الثانية مكرسة كلها لتبيان محاسن الخطط الحكومية المناوئة للأمية والامبريالية » .

رئيس التحرير : « يؤسفني القول إنها أيضا لا تصلح للنشر لكونها تغفل الانجازات الحكومية الباهرة في مجال تربية الدواجن والمواشي » .

الشاعر : « وقصيدتي الثالثة ؟ » .

رئيس التحرير : « أهنئك عليها ، إنها من روائع الشعر العالمي ، وقد حولت إلى الجهات المختصة للاستفادة مما فيها من معلومات قيمة عن الاتجاهات السياسية لأصدقائك ومعارفك ، وستتلقى عما قريب رسالة شكر وتقدير مرفقة بمكافأة رمزية لأنك ممن يوظفون الرمز لخدمة الواقع » .

بقلم: جمال قطب



لعل لقاء اليوم مع قرائنا المهتمين بعالم الفن وآفاقه الرحيبة. يكشف عن مفارقات غريبة في تكوين الشخصية الفنية من خلال مراحلها وتطورها عاماً بعد عام. فعندما تتضح معالم هذه الشخصية المميزة في نهاية الأمر، فإنما هي محصلة العديد من التجارب والممارسات والتأثيرات. كالنحلة عندما تجتذبها مئات الزهور من كل نوع ولون. ترتشف رحيقها، ثم تفرزه عسلاً صافياً من صنعها ولا أثر فيه لزهرة بعينها دون أخرى! وهكذا الفنان في بدايته الأولى. ينجذب إلى إبداعات الأقدمين والمعاصرين ممن شغف بعبقرياتهم.. يقلد هذا، وينقل عن ذاك. ويدرس ويتمعن ويستخلص مايروق له من أعمال الآخرين. إلى أن تتضح السبل أمامه.. وتتبلور شخصيته المميزة.

وفناننا اليوم هو فرانسيسكو جويا (١٧٤٦ ـ ١٨٢٨) الذي عاش حتى بلغ الثالثة والثمانين من عمره. وعاصر فترات الصراع والتحولات الفنية والسياسية في أسبانيا. نراه وقد مرّ على نفس التجارب والممارسات. حتى أصبح الفنان العالمي الذي دخل تاريخ الفن كأحد الرواد الكبار في مسيرة الابداع الانساني الرفيع!

مارس جويا في صباه وشبابه المبكر كثيراً من الأعمال اليدوية الفنية كزخرفة الستائر والتحف الخزفية والطنافس. وكان يقلد من سبقوه في رسم الأساطير القديمة والميثولوجيات الاغريقية على طريقة فنان الشمال الأوروبي الشهير (روبنز). وظل غارقاً في هذه الأساليب الرومانسية الحالمة حتى ذاعت شهرته بين الطبقات الأرستقراطية الموسرة. فأغدقت عليه من مالها وسلطانها ماجعله يتسلق إلى البلاط الأسباني وتتوثق عرى الصداقة بينه وبين شقيق الملك شارل الثالث. وكان يجمع بينهما جموح العبث وطيش الشباب وجنون المغامرات المثيرة! ويوماً بعد يوم تجلى نبوغه في الفن، فأصبح مرسمه مقصداً ومطمحاً للوجهاء من علية القوم وفاتنات المجتمع. علهم يحظون برضاء جويا بأن يجلسوا امامه ليرسم صورهم! وعندما توفى الملك شارل الثالث، وتولى شقيقه حكم أسبانيا تحت اسم شارل الرابع، بادر بتعيين صديقه ورفيق مغامراته جويا، رساماً للبلاط.. وعندئذ تبدأ أهم مرحلة في حياة جويا. حيث بلغ الذروة في فنه، كما بلغ في الوقت ذاته الحد الأقصى في سلاطته وتهوره!

وكانت أسبانيا في ذلك الوقت (أواخر القرن الثامن عشر) تعيش عصر الفساد والانحلال. وقد عاشر جويا شتى طبقاتها شعبها الذي طحنه الفقر، وشبابها المحروم، وفتياتها الضائعات. وهاهو ذا الآن يخالط أفراد البلاط الأسباني وحاشيته الأرستقراطية البازخة. وتترسب في ذهنه ووجدانه من كل مايراه صورة قاتمة مهينة تثير اليأس والسخرية! وهنا تأتي مرحلة النضوج الفكري واستيعاب هذه المؤثرات المتناقضة في بصيرة الفنان، فيرسم اللوحات الذكية الساخرة التي تعلق في أروقة القصور والمتاحف. وكأنها هجاء لاذع ولعنة على العبث والرذيلة المقنعة المحصنة خلف الأسوار العالية!

ومن الغريب والعجيب. أنه بقدر ماكان يقسو في هجاء سادته في لوحاته، بقدر ماكانوا يغدقون عليه ويبذلون له العطاء. وبخاصة السيدات منهم، كمن يرشو ويحاول جاهداً أن يستميل من يعرف سره ونقائصه وخباياه حتى يسكته أو يأمن جانبه أو يروّضه إذا استطاع!

واستبد اليأس والغضب بالفنان، وكان لابد له من متنفس يصب فيه جام سخريته على الناس والمجتمع وحتى على نفسه كذلك! فعكف جويا على مجموعة لوحات حفرها على النحاس، تُعرف باسم لوس كابريكوس Los Caprchos كانت من أروع وأصدق مارسمه فنان عالمي في التاريخ، جسد فيها انحلال المجتمع الأسباني، مجتمع العبث والشهوات والضياع!

وفي عام ١٨٠٨ اقتحم الفرنسيون الأرض الأسبانية، وشهدت البلاد ويلات الحرب ووحشية الغزاة والتنكيل والمجازر. وظهر جويا، فنان أسبانيا، كمواطن غيور يذوب في حب وطنه. فأخرج مجموعته الثانية المسماة (كوارث الحرب). ثم أردفها بمجموعة ثالثة من اللوحات تعرف باسم (فظائع الحرب). جمع فيها جويا كل خبرته وتجاربه وعبقريته.. ولذلك. فلا غرو أن تصبح هذه اللوحات الملحمية الرومانتيكية الرهيبة. بمثابة صيحة وعي وزفرة ألم وصحوة ضمير تستعر هائجة في وجه القهر والظلم والتسلط!

ودارت الأحداث الرهيبة، وجاء نابليون بنفسه ليقمع ثورة الشعب الأسباني عقب تنصيب شقيقه جوزيف بونابرت على عرش أسبانيا. ولسبب لاندريه، وبالرغم من أن لوحات جويا كانت أقوى سلاح ضد الغزاة الفرنسيين. فقد ظل جويا في منصبه رساماً للبلاط تحت الحكم الفرنسي! وكان طبيعياً أن يحنق عليه الشعب الأسباني، ويطالب برأسه بعد أن انقشعت غمامة الغزو وعاد فردیناند السابع إلى حكم بلاده بعد سقوط نابليون. ولكن فرديناند استحضر جويا إلى مجلسه وقال له: إنك تستحق النفي، بل تستحق الشنق، ولكنك جويا.. فنان أسبانيا العظيم. لذا سأنسى كل مافات.. وستظل في مكانك ومكانتك....!!

غير أن جويا كان قد برم بحياة القصر والشهرة والأضواء والمغامرات. فانطوى على نفسه في بيته يرسم آخر لوحاته باسلوب سريالي متشائم. ثم رحل إلى مدينة بوردو الفرنسية، حيث وافته المنية وهو معتل الصحة كليل البصر زاهد في الحياة. ولفظ آخر أنفاسه هناك بعيداً عن وطنه وهو في الثالثة والثمانين من عمره الزاخر بكل صنوف الحيوية والعطاء.

.. قراءنا الأعزاء: وسط هذا الجو الدرامي الذي عايشنا من خلاله حياة جويا المفعمة بالأحداث والنزعات والنزوات والخطوب والشجون.. نلتفت يساراً إلى الصفحة المقابلة لنراه في إحدى روائعه وهي لوحة «دونا ايزابيل» إحدى حسان المجتمع الاسباني.



كيف تسللت الأزياء الأوروبية إلى بلادنا خلال أقل من مائة سنة ؟



الأفندية

بقلم : محمد سيد كيلاني

« مخطىء كل الخطأ صاحب الزي الشرقي الجميل يستبدله بالزي الغربى مرضاة لهوى كاذب وشهوة خادعة . مخطىء لأنه ينزل عن كرامة الأمة فى عاداتها وآدابها ليندمج فى أمة أخرى من غير حق ولا داعية . نحن لانريد أن نقارن بين الأزياء الشرقية والغربية ونحكم على أحدها بحسن أو قبح . ولكنا نقول إن للشرق زيًّا تدعو اليه طبيعته وللغرب زيًّا يقتضيه جوه واقليمه . فليس تبديل الزى الشرقى بالزي الغربى صادرا إلا عن نفس مرتبكة مختلطة ومزاج غير منتظم » .

طه حسين ١٩١٠ م

كان الصبيان في مصر إذا رأوا شخصاً مرتدياً الملابس الأوربية وعلى رأسه طربوش جروا وراءه صائحين « أفندي طز ، أكل اللحمة وخلّى الرز » .

ولم يكن المصريون يعرفون شيئاً عن الملابس الأوربيـة لأن الرحالة والتجار الأوربيين الذين وفدوا على مصر كانوا يرتدون الملابس الشرقية فيحسبهم الناس أتراكاً . ولكن لما جاءت الحملة الفرنسية شاهد المصريون لأول مرة ملابس تختلف عما ألفوه . وقد شهد الجبرتي بأفضلية الزي الأوربي لميادين القتال . قال « والفرنساوية هجموا على مصر وبولاق من كل ناحية ولم يبالوا بالأمطار ، وعندهم الاستعداد والتحفظ والخفة في ملابسـهم وما على رءوسهم بخلاف المسلمين » .

ويذكر ادوارد لين الذي جاء إلى مصر في عهد محمد علي أن الكلاب كانت تتجمع حول الشخص المرتدي للملابس الأوربية وتنبح نباحاً شديداً .

وقد أخذ محمد علي باشا جميع ألوان الحضارة الأوربية ماعدا الأزياء . فقد كان الشرقيون عامة والمسلمون خاصة يرفضونها رفضاً باتاً ويرون أنها ملابس اختص بها الكفار فلا يجوز للمسلمين إرتداؤها . ومن فعل ذلك فقد مرق عن الدين والوطنية . وقد ذكر ادوارد لين « أن رجال الدين المسلمين يضعون على رؤوسهم عمامات تمتاز بضخامة الحجم ، ويتكون منها حول رءوسهم مايشبه الكرة العظيمة . وكان بعضهم يحليها بوشاح من الكشمير أو الحرير الموصلي تهبط منه عذبتان تحفان بوجه العالم أو الشيخ فتعطيه هيبة الجلال والوقار . وكان أغلب الفلاحين لا يرتدون السراويل الداخلية .

وكان الجنود المصريون في عصر محمد علي باشا يرتدون سراويل واسعة وصدرية تحشر في السروال ويثبتون ذلك بشريط من القماش وعلى رءوسـهم الطرابيش المغربية وينتعلون بالمراكيب الحمراء . وقد استمرت الحال على هذا المنوال حتى عصر الخديوي إسماعيل الذي ترك زي الآباء والأجداد ، وارتدى البنطلون كما نعرفه الآن . أما السترة فكانت طويلة وتسمى الإسطمبولية . واتخذ الحذاء الأوربي . أما غطاء الرأس فكان الطربوش كما نعرفه الآن . وليس الطربوش المغربي الذي نراه في صور محمد علي باشا وابراهيم باشا . وكان من واجب الأدب والاحترام أمام الرؤساء أن يكون وضع الطربوش عمودياً لايميل يميناً أويساراً أو ينحدر إلى الأمام أوإلى الخلف . ولابد أن يكون زر الطربوش في خلف الرأس . ولا يجوز أن يدخل الإنسان على الرؤساء وأصحاب المقامات الرفيعة وهو عاري الرأس .

ومنذ عصر الخديوي إسماعيل انقسم المجتمع المصري إلى طائفتين : طائفة المعممين وطائفة المطربشين . وقد اشتدت الحرب القلمية بين الطائفتين . فالأولون يتهمون الآخرين بالخروج على الوطنية والتقاليد الموروثة . كتب طه حسين في (الجريدة بتاريخ ٣٠ ــ ١٠ ــ ١٩١٠) مانصه :



« مخطئ كل الخطأ صاحب الزي الشرقي الجميل يستبدله بالزي الغربي مرضاة لهوى كاذب وشهوة خادعة . مخطئ لأنه ينزل عن كرامة الأمة في عاداتها وآدابها ليندمج في أمة أخرى من غير حق ولاداعية . نحن لانريد أن نقارن بين الأزياء الشرقية والغربية ونحكم على أحدهما بحسن أو قبح . ولكنا نقول إن للشرق زياً تدعو إليه طبيعته وللغرب زياً يقتضيه جوه وإقليمه . فليس تبديل الزي الشرقي بالزي الغربي صادراً إلا عن نفس مرتبكة مختلطة ومزاج غير منتظم » .

وكان الشبان يبالغون في تحسين هندامهم . وكان المعممون يعيبون عليهم لبس الحذاء الملون اللامع وحلق اللحية والشارب كل يوم أو يومين وارتداء قميص بياقة عريضة مفتوح من أعلى الصدر (سبور) أو اتخاذ ساعة يد لأن لها سواراً يشبه سوار المرأة أو ارتداء الملابس ذات اللون الفاتح أو إطالة شعر الرأس أو ارتداء السراويل (البنطلونات) المحزقة والسترات المشقوقة من الخلف . وكان مصطفى صادق الرافعي من الشعراء الذين يشنون الغارات على الشبان المطربشين . فمن قوله :

أرى فئة كالغانيات تدللا
تميل مع الأهواء كل مميل
تخال الفتى منهم على ظلمة النهى
لألوان ثوبيه سماء أصيل
وظن الفتى أن التمدن أنثوي
فتابع فيه كل ذات حليل

قالت صحيفة المؤيد (٣٠ ـ ٣ ـ ١٩٠٨)
« كلام الرافعي يصدق على بعض من يتأنقون في الزينة فيصففون شعورهم . ويحففون خدودهم ويختارون من الألبسة آخر زي من صدرية ملونة مخرمة صنعت من القطيفة المزركشة وسترة مشقوقة وسراويل ضيقة وحذاء ملوناً ملمعاً . وقد حرصوا على الأزياء حرصهم على أعز الأشياء إن من شبابنا من يصرفون ساعتين كل يوم في التبرج » .

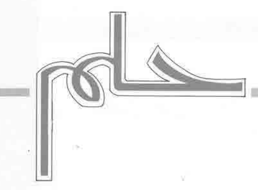
وفي سنة ١٩٣٠ أصدر وزير المعارف محمد حلمي عيسى باشا قراراً يقضي بأن يرتدي رجال التعليم الأولي والالزامي الملابس العربية التي يرتديها أهل القرى وقد انصاع المدرسون لهذا القرار ، ولكن طه حسين ـ وكان قد غير رأيه في موضوع الزي ـ سخر من الوزير وأطلق عليه لقب وزير التقاليد لما اتخذه بخصوص هؤلاء المدرسين .

وتجد عرب شبه الجزيرة العربية قد تمسكوا بزيهم القومي ولاسيما الشيوخ والأمراء والحكام . وهذا يدل على اعتزازهم بعروبتهم واحترامهم لتقاليدهم الموروثة عن الآباء والأجداد ، ولملائمة هذه الملابس لجو بلادهم .

وفي مصر اتفق الجميع من مسلمين وأقباط على كراهية اتخاذ القبعة غطاء للرأس على الرغم من فتوى الشيخ محمد عبده بألا حرمة في ارتدائها لأنه لادليل في الكتاب ولافي السنة على منعها .

ولما صدر قانون في تركيا يقضي بارتداء القبعة حدثت ضجة كبرى لم تكن أقل من الضجة التي حدثت في عصر السلطان محمود الثاني حين صدر قانون يقضي بترك العمامة واتخاذ الطربوش . وقد أصدر مدير الشئون الدينية في تركيا فتوى تجيز للإنسان أن يصلي بالقبعة أو عاري الرأس أو يحمل معه طاقية يضعها على رأسه أثناء الصلاة . وقامت حركات أخرى في بعض البلاد الاسلامية مقلدة لحركة مصطفى كمال ، نذكر منها حركة أمان الله خان في أفغانستان ولكنها لم تنجح . وقد حاول بعض المصريين أن يروجوا لارتداء القبعة . وكانت حجتهم أن الأتراك الذين أخذنا عنهم الطربوش قد تركوه فما بالنا نتمسك به ؟ وارتدوا القبعة فعلاً : نذكر منهم محمود عزمي وسلامة موسى واسماعيل مظهر . فكان الصبيان إذا رأوا شخصاً لابساً برنيطة صاحوا « خواجه طيطه باع البرنيطة » ولم يكتب لهذه الحركة النجاح وظل الطربوش سيد الموقف وخاصة بعد ظهور « مشروع القرش » وإنشاء مصنع الطرابيش .

ولما قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ أصدرت قراراً بإلغاء الطربوش كغطاء رسمي للرأس ولكنهم لم تجرؤ على تقرير القبعة كما حدث في تركيا . فبقي الشعب في حالة فوضى . فمن الناس من يغطي رأسه بطاقية أو لبدة ، واختفى الطربوش . أما العمامة فقد ظلت متربعة على عرشها ولكنها صغرت عما كانت عليه في الماضي كما تطور طربوشها .



حلم

شعر: محمد الحارثي

ذاتَ ليلةْ
مرَّ حلمٌ باردٌ بالقرب مني..
ثم في جمجمتي حطَّ.. ومن ثمَّ احترقْ
قلتُ يا حلمُ استفقْ
أنتَ كالعنقاء تُبعثُ من رمادكَ.. فاستفقْ
واستدر نحوي. وأسندْ ظهركَ العاري
على جمجمتي. ولتشرب الشاى على مهلكَ..
حتى أسألكْ
عن بلادٍ. قيل. تدعى الواق واقْ
فقدتْ قبل الزواجْ..
بثلاثين دقيقةْ
في نهايات الأفقْ..
عن بلادٍ. قيل. ماتتْ
وعبيرُ السيف. والنخلة.
والنارنج فيها قد هلكْ

* * *

أيها الحلمُ تكلَّمْ
فأنا أحتاج لكْ
كل من حولي. وما حولي طوَتهُ الريحُ..
أو أخفتهُ في سُرَّتها
كلُّ من حولي. وما حولي رمادٌ كان في يومٍ
من الأيام سُلَّمْ
لمدارات الفلكْ
أيها الحلمُ أنا وحدي تماماً. وتماماً. وتماماً..
فتـــكلـمْ

* * *

أيها الحلمُ تبسَّمْ..
ثم غطي بابتساماتك ما تلقاهُ قُدَّامك من حزن..
ومن أشياءَ لا تُذكر في جمجمتي..
علّها تخرجُ بيضاء بلا سوء..
فإني أتألَّمْ

أيها الحلمُ إلى أين تحلِّقْ؟
فسمائي كلها أو بعضها ما خُلقتْ. يوماً. لترقى
لسمـــاواتك..
يا حلم سمائي خُلقتْ. أصلاً. لتغرقْ
أيها الحلمُ إلى أين؟.. ومن أين؟..
ومن أعطاكَ يا حلمُ جوازاً لتغني وتصفِّقْ
ثم من أعطاك حلماً لتسمِّي نفسكَ الحلم..
لتبني لكَ من جمجمتي عشاً ومرفقْ؟
أيها الحلم إلى أين؟.. ومن أين؟
وهذا الأفقُ مغلقْ

* * *

أيها الحلمُ تعلَّمْ
لم تكن يوماً طباشيراً. ورأسي لم يكن سبورة سوداء
فــاهربْ
أيها الحلمُ لتسلمْ
إنهم خلفك بالكرباج. فــاهربْ
قال ممَّنْ؟..
قلتُ: (ممن إذا شاهدوا حلماً..
أعدوا له القبر. والزهر. والشاهده)
قال ـ وهو يلملم أشياءهُ ـ يا فتى:
قبل بدء الرحيل. أتسمحُ لي أن أبيض بويضة
حلم. لتفقس بعد ثلاثين عاماً..
لتبقى دليلا على أنني كنتُ يوماً هنا..
لتكون الهدية. والمائده؟
قلتُ لا أيها الحلمُ. إن ثلاثين عاماً ستدخلُ
زنزانة الوقت لو فقس البيضُ..
فارحلْ وبيضكَ. يا حلمُ دع لي ثلاثين عاماً
لأفرشها كيفما أشتهي..
إنها لعبتي السائده

عُمـــان



عاصمة عربية تتمسك بالماضي وتفتح ذراعيها للحاضر وتحلم بالمستقبل

عندما تهبط بك الطائرة في مطار تونس قرطاج، سوف تصافحك على الفور وجوه مبتسمة، مرحبة. يحاول أصحابها تأكيد هويتهم العربية بالاصرار على التحدث بلغة الضاد.. رغم أن الجو العام يوحي في البداية أن الحديث لابد أن يدور بالفرنسية، حتى وأنت تمشي وسط الناس العاديين، وتتجول في المحلات والأسواق..



الخضرة تكسو كل مكان في تونس والمباني البيضاء تبرز بجمالها ▲

جامع الزيتونة الشهير بعمارته المميزة ▼







لباس تقليدي تونسي وبوابة قديمة

لكن سرعان ماتنتهي هذه الصورة المفاجئة ، لتحل محلها صورة تونس العرب ، الذين يتكلمون اللهجة المحلية ، مصبوغة بالعربية الفصحى في شبه اعتذار أحياناً عندما لاتصل إليك المعاني واضحة ، فهم لايخفون تأثرهم بالثقافة الفرنسية ، ولايترددون عن القول بأن هذه مسألة قديمة ، تراثية ، ترجع إلى سنوات الاحتلال التي توجت بالصحوة الحديثة ، والتي عمت كل الأرجاء ، وانسحبت على البشر..

اللغة الأولى

صحيح أن هذا التأثر بالفرنسية كان كبيراً ، لكن ردة الفعل أيضاً كانت أكبر ، فلقد أصبحت اللغة العربية هي اللغة الأولى في المدارس ، وتراجعت اللغة الفرنسية ، لتصبح لغة ثانية ، يدرسها الطفل في السنة الرابعة

■ تونس العاصمة تقاوم التحدث بالفرنسية وتصر على تأكيد هويتها الإسلامية

■ تاريخ حافل بالتراث المضيء وحاضر تشغله مشاكل الوضع الاقتصادي

بالمرحلة الابتدائية . وهناك تفكير في أن لاتدرس الفرنسية إلا بعد الإنتهاء من المرحلة الابتدائية . وفي بداية المرحلة المتوسطة أو الاعدادية ..

هكذا كانت هذه الخطوة ضرورية تعميقاً للتعامل بالعربية : التي لاتتعامل بها حتى هذه اللحظة سوى وزارتين معاملة رسمية ، هما وزارة العدل ووزارة الداخلية ! ..

لكن والحق يقال إن كل الأجهزة الاعلامية والثقافية تلعب دورها في هذا المجال ، بما يؤكد أن تونس الخضراء هي تونس العربية الأصيلة التي تعرف دورها العربي الطليعي حق المعرفة ، والتي تستضيف الجامعة العربية مقر اجتماع كل العرب ، والتي تحتضن أيضاً منظمة التحرير الفلسطينية قائدة النضال من أجل قضية كل العرب ..

وسوف تصبح مدينة تونس هي حديث كل ركاب الطائرة قبل أن تهبط إلى أرض المطار : فالجمال لايوصف : والسحب البيضاء تغطي المكان ، والخضرة تستقبل العيون . والوجوه المبتسمة ترحب بكل الأخوة العرب . وغير العرب ..

وهذه هي طبيعة أهل تونس .. ولكنه أيضاً أسلوب لكسب الثقة والمودة ..

فالسياحة أصبحت ــ كما قال لي رفيق الرحلة ومنظمها أحمد فخرو مدير المبيعات بطيران الخليج ــ هي عماد الحياة الآن في تونس ، وكل المقومات الأساسية متوفرة فيها لانجاح كل خططها .. فالجو ، والآثار ، والفنادق ، والأجهزة العاملة ، والمعاملة .. كل هذا وأكثر منه يؤكد أن تونس أصبحت احدى الدول الرائدة في مجال العمل السياحي ، والتي تعرف كيف تستقبل السائح بقلب مفتوح وعقل مفتوح أيضاً ..

والحقيقة أن ماقاله أحمد فخرو يمثل الواقع الحادث الآن في تونس ، فقد أصبحت السياحة هي صاحبة أكبر عائد بعد المنتجات الزراعية ، وينتظر أن تحتل المكانة الأولى في الدخل القومي خلال هذا العام والأعوام المقبلة .. فهذا ماأكده لي أكثر من مسئول في أكثر من مجال ..

استقبال حار

والناس هنا في مدينة تونس بالذات يعرفون هذه الحقيقة حق المعرفة ، ويدركون أبعادها تمام الادراك ..

ومن هنا فإن استقبالهم لأي سائح يفوق الوصف : من الترحاب ، وتقديم كل الخدمات التطوعية في رقة وتهذيب ، وحسن معاشرة .. وقدرة على الحديث عن تونس ، وجمال تونس ، وأهم مناطقها ، وأبرز آثارها التاريخية ..

بل إن الحديث يدور دائماً ودون أي قصد عن الأحوال السياسية العربية : والهموم العربية ، والأشجان العربية ..

وفي هذا المجال يطول الكلام ويمتد ..

فالعرب إخوة : وسيظلون كذلك ، ولا يمكن أن يستغنوا عن بعضهم البعض ، مهما تفرقت



مقهى شعبي قديم وهو واحد من عشرات المقاهي



في كل مكان : الزي التقليدي مع الزي الحديث



تزخر المتاحف في تونس بالعديد من الآثار التي تشهد بالتاريخ الحافل





عاصمة عربية

بهم السبل، وبعدت بينهم الاتجاهات والمسافات..

وهذا الاحساس العربي التلقائي الذي يعبر عن كوامن النفس هو العنصر الباقي، والمطمئن على مستقبل الشعوب العربية، والذي يحمل كثيراً من الاضاءات والعلامات الكاشفة عن معدن شعبنا العربي الأصيل في تونس، وفي كل بلد عربي، من الخليج إلى المحيط..

وترحب بنا مدينة تونس ليلة وصولنا على لسان مسئولي السياحة، وعلى رأسهم الأخ يونس كمون، الذي يتولى مسئولية السياحة الخارجية في الديوان القومي للسياحة في تونس، والأخ محمد بن جبارة الدليل السياحي المثقف الذي يحدثك عن تونس شبراً شبراً، ويعطيك معلومات من الذاكرة عن كل صغيرة وكبيرة تراها..

وهو يفعل ذلك بكل حب لعمله وإخلاص وتفان في أدائه..

وهو في الحقيقة مثل حي على الشباب التونسي الناهض، الذي يعرف دوره نحو بلده، ويثق في حاضرها ومستقبلها..

وأمثال هؤلاء الشباب كثيرون..

وهم منفتحون على العلم والمعرفة، ولاتحكمهم عقد أو رواسب..

من هنا فإن تفكيرهم ينطلق إلى آفاق ربما لايعرفها شباب الشرق العربي..

إن التعليم المختلط منذ الابتدائي وحتى الجامعة، وعمل المرأة في كل الميادين تقريباً، جعل العلاقة بين المرأة والرجل لايحوطها الغموض، ولاتحفها كثير من الألغاز والمخاطر..

أوضاع مميزة

ومن هنا تتشكل الحياة الاجتماعية بشكل ربما يثير الكثير من التساؤلات حول وضع المرأة التونسية، وحول الأوضاع الاجتماعية والأسرية بشكل عام..

والحقيقة أن المرأة التونسية قد تحققت لها أوضاع مميزة في ظل قانون الأحوال الشخصية الذي يمنع تعدد الزوجات، ولايسمح بالطلاق إلا أمام القاضي، والذي منحها حق الحضانة في حالة الطلاق وجعل لها الولاية على الأبناء في حالة وفاة الزوج، وساوى بينها وبين الرجل في حرية السفر، واستخراج الجواز، بحيث لاتأخذ موافقة الزوج على استخراجه..

لكن برغم كل شيء، فالمرأة تعتقد أنها في حاجة إلى المزيد، وتتردد أصوات نسائية كثيرة تتنازعها اتجاهات مختلفة، فهناك من ترى أن الوقت لايسمح بما تريده المرأة وعليها أن تتمسك بالحد الأدنى، وهذا الرأي تمثله كثيرات في مقدمتهن رشيدة النيفر (٢٧ سنة) نقيبة الصحفيين، ونائبة رئيس اتحاد الصحفيين العرب.. لكن هناك بالمقابل من ترى أن القانون غير كاف، فهو لم يعط المرأة فرصاً متكافئة مع الرجل، فمازالت تتحمل العبء الأكبر في الأسرة بدون مساعدة من



■ شباب متفتح ونساء يطالبن بالمزيد من الحقوق مع المحافظة على التقاليد العربية



القديم والحديث في لقطة تبرز جمال الطبيعة في تونس



جامع يوسف داي

الرجل أو المجتمع ، وهذا الرأي تمثله كثيرات أيضاً من بينهن آمنة بلحاج يحيى رئيسة تحرير مجلة « نساء » ..

وأياً كان الأمر فالمرأة التونسية في وضع قد تحسدها عليه كثيرات . وهي تعمل في شتى مجالات الحياة العملية ، دون استثناء ، حتى في القضاء ، كما وصلت إلى منصب الوزيرة ، من غير أن يثير ذلك غيرة الرجل ، وقد أثبتت التونسية ـ كما أكد لي الكثير من الرجال الذين قابلتهم هنا ـ قدرتها وتفوقها في كثير من المواقع ..

هكذا فإن ماحدث في تونس ومايحدث على صعيد الحياة الاجتماعية ، ربما يدفع إلى الظن بأن الانسان يمضي وسط أجواء شبه أوربية ، أو أنه قد انتقل إلى عاصمة غير عربية ..

لكن هذا الظن ليس في محله اطلاقاً .. فالحرص على التقاليد العربية قائم ، والاصرار على التمسك بالقيم الدينية يبدو في كل تصرف وفي كل موقف ..

بل أن تونس العاصمة بالذات مازالت تفخر بتاريخها الاسلامي القديم الحافل .. فهي وريثة قرطاج الواقعة في مفترق الطرق البحرية التي سطرها التاريخ ، فالى جانب الشواطيء الجميلة المنتشرة فيها شمالاً وجنوباً ، فإن تونس تمتاز بأنها مدينة عتيقة



النقش على النحاس ، أحد الفنون التقليدية القديمة



ضاحية من ضواحي تونس الشمالية والتي تجذب السياح



ناس في مكان عام ومسجد قديم







الأسواق القديمة : تاريخ وصناعات شعبية

احتفظت بكنوز عديدة من الفن والحضارة..

إن على بعد خمسة عشر كيلو متراً من وسط العاصمة تقع « قرطاج » مفخرة الامبراطورية الرومانية ومعقل اغستينوس ، محتفظة بمجموعة آثارها الأخاذة بجمالها ، والتي تجعلك تعيش ماضي هذه المدينة المجيدة..

وإضافة إلى ذلك فإن متاحف تونس العديدة تضم مجموعات أثرية غنية ، وفيها فسيفساء ترجع إلى العهد الروماني ، وعهد المسيحيين القدامى ، لا يوجد لها مثيل في جميع متاحف العالم..

أسرار المدينة القديمة

وتنتظرك في مدينة تونس ألوان من الجمال التي تعبق برائحة التاريخ وبخاصة في المدينة القديمة التي شهدت الكثير من العصور الاسلامية المجيدة..

إن هناك من القصور الفخمة مثلاً دار بن عبدالله ودار حسين ودار الاصرم ، وهناك أيضاً مساجد الزيتونة والقصبة ، ويوسف داي وحمودة باشا ، وصاحب الطابع..

وما المدرسة السليمانية والمدرسة الباشية وزاوية سيدي محرز وزاوية سيدي بن عروس إلا نماذج من المعالم السبعمائة التي تعتز بها المدينة..

وأنت إذا تجولت في المدينة العتيقة واخترقت شوارعها الضيقة المتشابكة وانطلقت وسط الزحام ، فسوف تشم روائح العطور المنبعثة من الدكاكين الصغيرة ، كما ستشهد ثراء الصناعات التقليدية المعروضة..

ولسوف تبهرك الحجارة المنقوشة والأبواب والنوافذ المزخرفة وانعكاسات الألوان والأضواء المتألقة عليها..

وسوف تعيش التاريخ بكل أبعاده وروائحه..

الناس ، واللباس ، والأطعمة ، والمعروضات.. كل هذا ينقلك عبر الزمن إلى مئات وآلاف من السنين خلال الماضي التليد لمدينة تونس..

ويحكي التاريخ أن تونس قد بقيت تحت الهيمنة الرومانية والبيزنطية إلى أن توالت حملات المسلمين نحو قرطاج ، وحاصرها القائد حسان بن نعمان ، حتى استسلم أهلها ، ثم هدم أسوارها ، واختار تونس لتكون عاصمة الاسلام في هذه الربوع من أفريقيا سنة ٦٠٨م ، وشيد جامعة الزيتونة

عهود خالدة

منذ هذا التاريخ تسجل تونس صفحات عديدة من حياتها..

حوار الأجيال بين شاب وعجوز عند احدى المناطق الأثرية





فهي في العهد الأغلبي تنافس القيروان ، وهي في عهد الدولة الفاطمية وريثة القيروان ، وهي في العصر الحفصي عاصمة لأفريقيا ، وهي في العصر التركي والحسيني في القرن الثامن عشر مزدهرة ازدهاراً واضحاً..

فقد امتد فيها العمران ونشطت الصناعات ، وتحلت تونس بالمباني والمساجد الفاخرة والقصور والثكنات والحصون ، ونشطت فيها التجارة ، لكن عملت أوربا على احباط هذا النشاط ، وأهملت المدينة العتيقة في عهد الحماية ، كما تدهورت الصناعات التقليدية ، وسار نظام الحماية على أساس فرنسة البلاد ، ومسخ ذاتيتها ، والاستئثار بميزاتها..

لكن الثورة ضد الاستعمار الفرنسي تشتعل ، يقودها الحبيب بورقيبة ، لتتوج باستقلال البلاد التام..

لحظات من نزولها بمطار تونس قرطاج فوق شبه جزيرة رحبة ، تكاد ألوانها تشابه طوق الياسمين على جبين صينية عربية . وهذا التشبيه ليس من عندي ، وإنما جاء على لسان مسئول السياحة الخارجية في تونس ، لكنني استرجعت المشهد ، فوجدته أقرب إلى ماقاله فعلاً ..

وتعد مدينة الحمامات في جنوب مدينة تونس من أشهر المواقع السياحية في العالم ، وهي تعانق البحر بمياه خليجها ، ويتصدر البرج العتيق فيها حافة الأمواج ، ينتظر عودة الصيادين منذ القرن الخامس عشر ، وهو يشرف من جهة الشرق على خليج الحمامات ، ومن جهة الغرب على بساتين البرتقال والياسمين ..

مشاكل جديدة

وهكذا ومع هذا التطور العمراني الكبير في مدينة تونس العاصمة ، ازداد عدد السكان ، حتى وصل الآن إلى أكثر من مليون نسمة ، وهو رقم يعده التونسيون كبيراً .. وبخاصة أن الزيادة مستمرة ، والزحف إلى العاصمة قائم والمشاكل المترتبة على هذا كله تكبر وتتزايد.

وكل هذه المشاكل في تونس العاصمة أدت إلى العمل بقوة من أجل تحقيق عدة أهداف قومية واجتماعية ..

إن صيحة تحديد النسل وتنظيم الأسرة تنطلق عبر الأجهزة الرسمية وعبر التنظيمات النسائية داخل الحزب الحاكم .. حزب الأغلبية في تونس ..

ولكن يبدو أن معدلات الزيادة آخذة في الاضطراد .. ويأمل الداعون إلى هذه الدعوة في أن يصلوا إلى تحقيق ولو خطوة .. تتلوها خطوات ..

لكن من الملاحظ أن الناس هنا ، وقد التقيت بالعديدين منهم عبر اللقاءات السريعة ، يؤمنون بضرورة تنظيم النسل ، ولكن يؤمنون أكثر بضرورة توفير المستوى المادي المرتفع للأسرة عن طريق الأعمال الاضافية ..

لكن هذه الأعمال لاتتوفر أمامهم بشكل واضح ، والعمل الأساسي لا يكاد يفي بالاحتياجات الأساسية الضرورية ..

فما هو الحل ؟

إن كثيرين يلجأون إلى الهجرة بحثاً عن الرزق ، وفي فرنسا بالذات جموع هائلة من التونسيين ، وفي غيرها من الدول الأوروبية .



خضرة ومياه وطبيعة ساحرة .. كل مقومات السياحة الناجحة

كنوز من الفن والحضارة ومتاحف تضم مجموعات أثرية غنية

وقد كان لمدينة تونس اسهامات رائعة في معارك التحرير ، وسالت دماء الشهداء ، وسجل مناضلو المدينة صفحات خالدة في تاريخها ..

ومنذ ذلك الوقت أخذت المدينة تتطلع إلى تطوير نفسها ، وتحديث كل ماهو فيها ، لتساير العصر ، وتقف في مصاف المدن الأخرى ، اضافة إلى كل المدن والبلاد الأخرى في كل تونس ..

وانتشرت في مدينة تونس المباني الفارهة والفنادق والأحياء والضواحي الجديدة ، وتبرز الضواحي بالذات بشكلها المميز للغاية ..

إن ضاحية تونس الشمالية والتي جذبت الفينيقيين منذ ثلاثة آلاف سنة ، هي اليوم ضاحية شاسعة تمتد على طول عشرين كيلومترا بطول البحر ، ويزداد نشاطها صيفاً ، لتضاهي أشهر شواطئ العالم جمالاً وروعة ..

أما جنوب تونس العاصمة فقد تحول إلى مجموعة من الشواطئ ومراكز الاصطياف ، مثل رادس بحيها القديم فوق هضبة رائعة الجمال ، والزهراء بفنادقها ومطاعمها العصرية ، وحمامة الانف التي كانت محل إقامة الباي في الشتاء ، وأصبحت اليوم مدينة كبيرة تمتد من الشاطئ الرملي إلى جبل بوقرنين المغطى بشجر الصنوبر ..

وتحلق الطائرة القادمة من الشرق قبل



عاصمة عربية



يجمع الفن المعماري في تونس بين الاتجاهات المعاصرة والقديمة

وفي العراق الآن أعداد ملحوظة منهم ..

هكذا تدفع الظروف الاقتصادية الصعبة الكثيرين الى هذا الموقف . وهم يربطون بكل وعي بين هذه الظروف المحلية والوضع العالمي المتأزم اقتصاديا .. فهم يدركون أن الأزمة عالمية لاتخص تونس وحدها ..

وعموما فان هذه القضية وغيرها من القضايا تطرح على بساط البحث من خلال اللجان الحزبية داخل الحزب الحاكم .. وأحزاب المعارضة الأخرى أيضاً ..

في تونس يحتل الحزب الاشتراكي الدستوري كل مقاعد المجلس النيابي بلا منازع . ويرأسه الرئيس الحبيب بورقيبة . وهذا الحزب يقوم بدور سياسي مؤثر ويتولى المسئولية بالكامل ..

لكن إلى جانبه تقوم ثلاثة أحزاب صغيرة أخرى . أولها الحزب الشيوعي التونسي ويرأسه محمد حرمل . وحزب الوحدة الشعبية ويرأسه بل حاج . والحركة الاشتراكية الديمقراطية وهو الحزب الذي يرأسه أحمد المستيري الوزير السابق في الحكومة التونسية ..

وهذه الأحزاب الثلاثة تحاول أن يكون لها دور في القضايا الأساسية . ولها مقارها . وصحفها التي تعبر عن رأيها . لكن من الواضح أن تأثيرها يكاد لايذكر . لكنها على أي حال تعبر عن « أصوات » لها وجهة نظر . وترمز الى وجود حياة ديمقراطية . تتزايد مظاهرها على الساحة التونسية .. وكل هذا في صالح تونس العاصمة بالذات .. فمعظم النشاطات السياسية والثقافية والعمرانية تتركز فيها .. صحيح أن المدن الأخرى تحظى بألوان مماثلة من النهضة العمرانية الحديثة . لكن مدينة تونس بالذات تعيش أزهى عصورها من هذه الناحية ..

نظافة ونظام

وهي مدينة ذات مجلس بلدي يعرف دوره جيداً .. فهو يحرص على نظافتها . ونظام الشوارع والمرور فيها . ويراقب خطوات عمرانها . ويتطلع إلى نهضتها بثقة وتفاؤل ..

إن هناك مثلاً مشروعاً هاماً لتجفيف بحيرة كبيرة بمدينة تونس .. وتتولى مسئولية هذا العمل شركة خاصة ينهض برئاستها السيد فتحي جالا . وقد وصف لنا [illegible] أهمية هذا العمل بالنسبة للمدينة .. فهو يعني اكتساب مساحة ضخمة جداً صالحة للبناء . تعد في الواقع ثلثي مساحة مدينة تونس الحالية ..

ولقد كانت هذه البحيرة . وهي موجودة من قديم الزمن . متروكة للفضلات الآدمية . ولاتستغل في أي شيء اطلاقاً ..

ولاشك أن تجفيفها فضلاً عن توفيرها لهذه المساحة الهائلة من الأراضي الفضاء . سيحد من التلوث . ويؤدي إلى توسيع العاصمة بشكل واضح ..

وتتولى هذا المشروع الهام مؤسسات كويتية تونسية . إذ أن العمل فيه عمل عربي مشترك ..

والاهتمام بمدينة تونس يأخذ أشكالاً واتجاهات متعددة . إن هناك مثلاً جمعية لصيانة المدينة . ونائب رئيسها هو عبدالعزيز الدولاتي . الذي يتحدث عن دور هذه الجمعية بفخر واعتزاز ..

فهو دور ضروري من أجل أن تظل محتفظة بكل مقوماتها . ومحافظة لملامحها وسماتها المميزة ..

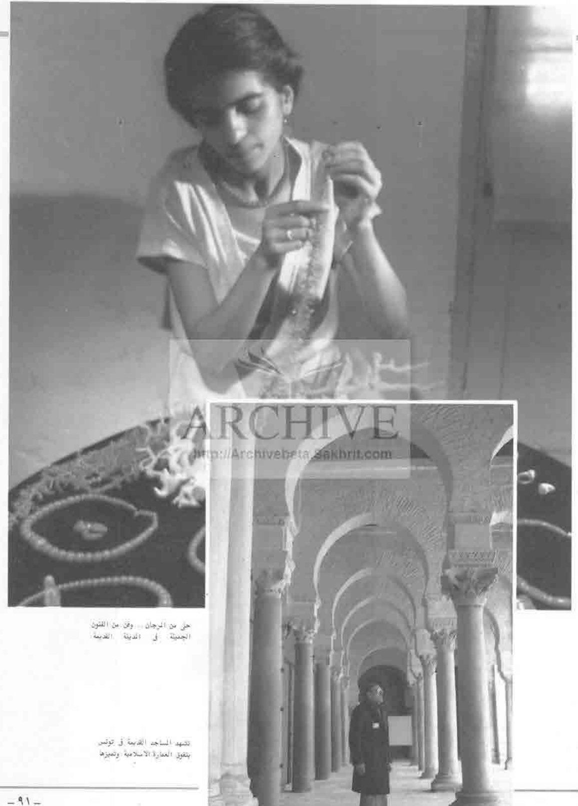
وفي الوقت نفسه هناك مشروع ضخم بدأ العمل فيه داخل المدينة هذه الأيام .. إنه « تونس سنتر » وهو عبارة عن بناء اقتصادي

■ قصور ومساجد في المدينة القديمة شهدت أمجاد العصور الإسلامية

■ العاصمة التونسية تشهد جوًّا سياسيًّا وثقافيًّا جديدًا . والناس يرددون أغاني « أم كلثوم »



في ضاحية قرطاج آثار تشهد بتاريخها الحافل التليد



حلي من المرجان .. وفن من الفنون الجميلة في المدينة القديمة

تشهد المساجد القديمة في تونس بتفوق العمارة الاسلامية وتميزها

وثقافي وسياحي ، في المنطقة التي تقع فيها دار الصناعة التقليدية ، بالقرب من مسرح البلدية . ويشتمل هذا البناء الضخم الذي سيكون على هيئة برج مرتفع ويمتد على مساحة ضخمة جداً ، على فندق يتسع لأكثر من أربعمائة سرير ، وموقف للسيارات ، وقاعة للسينما ، وقاعة أخرى لعرض الصناعات التقليدية ، وقاعة ثالثة للعروض الفنية ، ومساحة تخصص للمحلات التجارية والمكاتب الاقتصادية ..

وهكذا تتطلع تونس المدينة إلى أن تكون اسماً على مسمى ، المدينة العصرية التي تأخذ مكانها اللائق بها ، لتجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل ..

ولقد احتفلت منذ شهور بيوم المدينة العربية ، وجاء هذا الاحتفال الذي اشتركت فيه وفود من كل المدن العربية ، تحت شعار نحو حلول مثلى لمشاكل التوسع العمراني والبيئي بالمدن العربية ..

تخطيط مدروس

وتعلن مدينة تونس على لسان مصطفى الشريف مسئول الاعلام والعلاقات العامة ببلدية تونس ، إنها تقدم حلولاً مثلى في هذا الصدد ، فهي تعرف كيف تحل مشاكلها ، وتستشرف آفاق المستقبل بكل قوة .. وفق تخطيط علمي مدروس ، يراعي الظروف الاقتصادية والاجتماعية ، ويعمل حساباً للزمن ..

وهذا هو التحدي الذي تعيشه مدينة تونس .. فهي تريد أن تكون مدينة المستقبل بلا مشاكل ، كما كانت مدينة الماضي بكل آثاره وازدهاره ..

وتونس المدينة لاتنسى نفسها .. إنها مرحة وقت المرح ، تغني وترقص في الليل .. في الفنادق ، والملاهي الليلية ، وفي المطاعم الشعبية أيضاً ..

ويوم الأجازة الأسبوعية ، وهو مازال يوم الأحد لا الجمعة ، هو أجازة بالفعل ، فالهدوء يخيم على الشوارع ، والناس في الضواحي ، أو في الأسواق الشعبية ، أو المحلات الضخمة





في سوق العطارين

التي تعرض المنتجات التونسية والأوربية ..
وأينما ذهبت فسوف تستمع الى الأغنيات المصرية يرددها مطربون ومطربات من تونس ، حتى أحمد عدوية أصبح مشهوراً هناك ، يردد أغانيه أكثر من مطرب ..

والرقص يقدم أيضاً على إيقاعات الأغاني المصرية المشهورة وبالذات على أنغام أغنيات أم كلثوم .. .

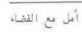
وأفلام محمود ياسين وعادل امام تقدم في دور السينما هنا ، وتعلق اعلاناتها في أكبر الأماكن ..

واللهجة المصرية تلعب دورها بوضوح من خلال كل هذه المعطيات .. لدرجة أن إحدى العاملات في فندق المشتل ، كانت تصر على الحديث بكلمات وتعبيرات مصرية صميمة ، مع أنها لم تزر مصر ولم ترها حتى الآن ..

وهذا هو تفاعل اللهجات وتأثير التبادل الثقافي الذي يجب أن يكون محل دراسة شاملة لتعرف إيجابياته وسلبياته أيضاً ..



شارع بورقيبة .. أحد الشوارع الرئيسية في العاصمة التونسية



أمل مع الفضاء

وقبل أن نترك مدينة تونس أشار السائق الذي يتحدث العربية بطلاقة ، ويؤمن بأن في الوحدة العربية الخلاص من كل المشاكل ، أشار الى قطعة فضاء كبيرة تقع على ربوة فسيحة ، وقال :

ــ هنا سوف يقام المبنى الجديد للجامعة العربية .. وسوف يكون بناء عالياً شامخاً ، يليق بأهمية هذه المنظمة ، ويواكب تطلعاتها المستقبلية ..

ونظر الىّ بتأمل يريد أن يستنطقني شيئا لم يقله .. لكن الاحساس بالأمل كان يغمرني ، فلعل هذا التفكير المستقبلي في الشكل ، يواكبه تفكير مماثل في المضمون ..

لعل هذا المبنى الجديد يشهد وحدة عربية واحدة ، وكلمة عربية واحدة ، وموقفاً عربياً واحداً ..

وهكذا هي مدينة تونس لابد أن تخرج منها وأنت أكثر احساساً بالعروبة ، وأعمق أملاً في مستقبلها ، حتى وإن وصلت الى مسمعك وأنت تغادرها كلمات فرنسية متناثرة تحاول أن تجد لها مكاناً مؤثراً دون جدوى !

السيد حجازي



منظر من المدينة لتونس
ولقطة أثرية بأحد المساجد

من ثمار المهرجان الثاني للتراث والثقافة بالجنادرية والرياض

نحن العرب في حاجة إلى :

أطلس ومتحف للصحراء

في كل أرجاء البوادي العربية ، يصنع البدوي من سعف النخيل بعض آنيته وأوعيته

بقلم : درويش مصطفى الفار

لا جدال في أن إقامة مهرجان عربي للتراث والثقافة في أعماق شبه الجزيرة العربية حول الرياض ، فكرة رائدة رائعة تستحق التقدير وتسجل بالعرفان لقيادة ورجال الحرس الوطني بالمملكة العربية السعودية الشقيقة . لأن مثل هذا المهرجان الحافل يتيح للإنسان العربي فرصة التأمل في أصول نفسه ، والتعرف على جذور مجتمعه الضاربة في عمق التاريخ . فتمنحه لحظات من الصفاء الذهني في عرض الصحراء . يفكر خلالها في حاضر أمته ومستقبلها على أساس من الوجدان المرهف والحس العلمي الصحيح ..





النخلة ، الشجرة المباركة التي خص الله بها الصحراء وإنسانها

غروب الشمس في الصحراء



وفي تفاعل غامر خلال معطيات هذا المهرجان بأنواعها ، بضاحية الجنادرية استقرت في نفسي قناعة ، بضرورة أن نفكر نحن العرب ، في تعاون علمي على سعة بلادنا كلها بين المحيطين الهندي والأطلسي ، لتحقيق عملين هامين لا يقل أحدهما عن الآخر شأنا وأهمية ، وهما :

• إصدار أطلس علمي متكامل عن الصحارى جميعا .

• إنشاء (متحف) يستوعب كل ما يعرف به زائره خصائص الصحارى ، عربية وغير عربية ، بأسلوب علمي فني غير مسبوق ، في عالمنا المعاصر الذي يطيب فيه لكثير من المفكرين أن يسموه (عصر التلاحق) ..

الأطلـــــس

أما الأطلس فهو سفر كبير ، من عدة مجلدات ، يتناول كل منها جانبا مما عرفه العلم والبحث عن خصائص الصحراء ، جوا ، وجغرافية ، وتاريخا ، وجيولوجية ، وحيوانا ، ونباتا ، وإنسانا . وعماد الأطلس ، الصورة والمخطط التوضيحي والخريطة والرسم البياني مع عبارات موجزة للشرح والتعليق ، دون إخلال أو قصور . ويقسم هذا الأطلس إلى أبواب وموضوعات ، تغطي المصورات الفضائية والجوية لكافة أنواع الصحارى ، والصفات الطبوغرافية ، وأنواع التربة ، وقوانين عوامل التعرية في البيئة القاحلة ، وأنماط الكثبان الرملية والرمال السافية ، وخصائص النبات والحيوان الصحراوي ، مصورة تصويرا دقيقا جميلا ، ونتائج تفاعل الإنسان في الصحراء مع بيئته في الغذاء والكساء والمأوى والدواء واستنباط الماء ، واتقاء الأخطار ، وتخطيط طرق التجارة ومسالك الجيوش .

ويختم أطلس الصحراء المقترح بثبت كامل بكل الكتب والأبحاث العلمية المنشورة عن خصائص الصحارى ودراساتها العلمية لا يترك شاردة ولا واردة إلا أحصاها ، بكل لغات البشر .

ويكون للصحارى العربية النصيب الأوفر في هذا الأطلس . ولا بأس أن تكتب الترجمة الانجليزية لكل ما فيه من تعليقات وشروح ، أو أن يقتصر على اللغة العربية وحدها ..

المتحـــــف

وأما المتحف ، الذي استقرت صورته في خيالي بين ربوع (الجنادرية) ، فإنني أتصوره كما يلي :



جانب من احتفال مهرجان التراث والثقافة



أطلس ومتحف للصحراء



فيما بين ظفار شرقاً وموريتانيا غرباً ، يصنع البدوي فرشه من الشعر والوبر والصوف ، بهذا الاسلوب الذي عرض في المهرجان الثاني للتراث والثقافة الذي أقامه الحرس الوطني السعودي أخيراً



أول تجربة لذوات العجلات الأربع في عرض الصحراء بين مصر وفلسطين

في إطار التعريف العلمي المعاصر للمتاحف ، بأنها (جامعات مفتوحة) لكل طبقات الناس . وأنها لم تعد مجرد ، معارض ، ستاتيكية ثابتة ، لغرائب المصنوعات وعجائب المخلوقات ، ومخلفات الأقدمين عبر قرون التاريخ من الآثار والعاديات ، بدأ بانشاء حديقة واسعة رحبة ، تستجلب اليها كل أنواع نباتات الصحارى في أنحاء العالم ، وتوزع فيها :

إما بالتوزيع الجغرافي ، لكل صحراء ركن خاص ، فهذه نباتات أتاكاما ، وتلك أشجار منغوليا .

وإما طبقا للتصنيف العلمي للنباتات الصحراوية ، حسب الأجناس والأنواع والعائلات النباتية ، كما يحدده علماء النبات ومصنفوه ، فهذا ركن لأنواع الصبار ، وذلك جانب للمركبات .

وإما طبقا لبيئتها الطبوغرافية ، كما أشار لذلك العلامة ابن سيده الاندلسي في كتابه الموسوعي « المخصص » ، فهنا نباتات الكثبان ، وهنالك نباتات السهوب ، وتلك نباتات التربة الصخرية . وإما طبقا لصفاتها الدوائية واستخداماتها الحياتية .

ولابد ، بالطبع أن يكون نصيب الأسد في هذه الحديقة لنباتات صحارى الوطن العربي ، لا سيما تلك التي لها مع التاريخ ذكر طويل ، كنباتات جنوب شبه الجزيرة العربية من اللبان والمر والمقل ودم الأخوين .

وتتخلل تلك الحديقة الصحراوية الغناء ، أبنية ذات طراز عربي مبسط متين لا تعقيد فيه . يتصل بعضها ببعض من مبتداها الى منتهاها ، بحيث يشاهد الزائر

قاعة الخرائط والمصورات

وفيها خريطة كبيرة أو مصور فضائي لكل صحارى الدنيا ، وخريطة اكبر تفصيلا لصحارى الوطن العربي خاصة تبين عليها أسماء الآبار والأودية والجبال والكثبان المتشابهة لفظا على سعة الوطن العربي ، والدروب ، كدرب البخور ، ودرب الملح ، ودرب الرقيق ، والطرق التي سلكتها جيوش الفتح الاسلامي ، والدروب التي اخترقها المستكشفون في العصر الحديث عبر صحارينا وبوادينا .

■ أطلس الصحراء المقترح عماده الصورة والمخطط والخريطة والرسم البياني

■ المتاحف في عصرنا جامعات مفتوحة لكل طبقات الناس

وتعرض في هذا القسم خريطة مجسمة جيولوجية للوطن العربي ، مبين عليها التكاوين الجيولوجية وسكان الثروات المعدنية والمياه الباطنية والنفط . وخرائط جيولوجية تبين الانتشار الجغرافي للصحارى على سطح الأرض منذ أن برأها الله سبحانه وتعالى .

وتصاحب الخرائط ، صور فوتوغرافية لمناظر طبيعية من مختلف صحارى العالم وخاصة صحارينا العربية .

ويشتمل هذا القسم على فيلم يشرح مميزات الصحارى وخصائصها الطبيعية من الرياح والأعاصير ودرجات الحرارة ودرجات الرطوبة ومعدلات الأمطار ، والمسميات الجيومورفولوجية لسطحها ، وحبذا أن يدخل في هذا الفيلم ما أطلقه العربي من مسميات على الأودية والقلاع والآكام والأطواد والقيعان والهضاب والنجود والأغوار وأنواع الحجارة والصخور .

قاعة حيوان الصحراء

وهذه تخصص لجميع أنواع حيوانات الصحارى ، محنطة تحنيطا فنيا ومعرفة بأسمائها العلمية المعروفة ، وبأسمائها المحلية . من الحشرات والزواحف والثدييات والطيور والعناكب والديدان والبرمائيات . ويتخلل هذه القاعة فيلم عن خصائص حيوانات الصحراء واسرار خلقتها التى زودها بها الخالق سبحانه ، لتوائم بيئة الصحراء وشظفها ، من مثل ما أودع الله فى الجرذان الصحراوية من قدرة على صناعة الماء فى خلاياها من عنصريه : الايدروجين والأوكسجين ، دون ما حاجة إلى شرب الماء ! ! وما اكتشفه الدارسون من (ساعات بيولوجية) لدى بعض خنافس الصحراء العربية ، وما أثبتوه من قدرة العقارب والعناكب فى الصحراء على مقاومة الإشعاعات الذرية .

قاعة الجمـــل

وهذه جزء خاص مكمل لقاعة الحيوان ، وذلك لأن للجمل مع العربى فى صحرائه تاريخ طـويل . فنحـن الذيـن دجنـوا الجمل واستأنسوه ، ونحن الذين استخدمناه حين حملنا رسالة الإسلام من الصحراء إلى أرجاء الدنيا .

وفى هذه القاعة نعرض كل ما يخص الإبل من صفات تشريحية ، وصفات حياتية ومميزات خلقية ، فى ألبانها ، وجلودها وأوبارها ولحومها :

« أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟ »

ونعرض فى قاعة الجمل كل أدواته ومستلزمات استخدامه فى الحمل والسفر والحرب ، والسباق ، وطعامه وطبيعة حياته فى أرجاء القفار .

ولا بأس إلى جانب الجمل أن نخصص ركنا فى قاعته للحيوانات الشبيهة به كاللاما والالباكا التى تعيش فى جبال الأنديز ، وللجمال التى تهيم فى الصحارى الاسترالية ، لتبيان ما اعتراها من ضمور واضمحلال خلقى .

ويزود هذا كله بفيلم عن حياة الجمل ، وأسمائه حسب عدده وسنه فى لغتنا والرسوم المميزة لمختلف ابل القبائل العربية فى جميع أرجاء صحارينا . وبعض ما جاء فى الشعر القديم عن الإبل والنوق .

قاعة حيــاة البادية

وفيها يعرض المتحف نماذج لأنواع الخيام من مختلف الصحارى ، مع التركيز على أنماط



نخلة فريدة فى أعماق الصحراء العربية فى مصر ، دلالة على صلاحية تلك البيئة للنخيل



باحث أجنبي ينصب خيمته فى عرض الصحراء العربية ، لقد سبقونا إلى حين فى التعرف على بعض أسرار وخصائص الصحراء



أدوات منزلية صنعها البدوى فى الصحراء من خامات الصحراء . ليس فيها أى شىء من الغزو أو التقليد

أطلس ومتحف للصحراء

بيوت الشعر فى البوادى العربية على سعتها ، وأدوات المعيشة التى صنعها البدوى فى صحرائه من خاماته المحلية قبل أن تتلوث الحياة بالمصنوعات الوافدة .

وفى هذا القسم الى جانب المعروضات الحقيقية المستجلبة من كل البوادى العربية مسماة بأسمائها المحلية فى كل بادية . يعرض فيلم عن حياة البوادى العربية وأسلوب المعيشة فى كل بادية . وعن الصفات الفسيولوجية التى أثبتها العلم الحديث للبدوى قبل التلوث الحضارى المعاصر : من أنه يكفيه من الغذاء والماء : مالا تقوم به حياة غيره . ومن أنه لا يصاب بضغط الدم والسكر ولغط القلب وضعف البصر ويخصص فى هذه القاعة جانب للآبار والثمائل والقلب والجفار وغيرها من مصادر الماء للبدوى فى صحرائه . وكيفية حفره للآبار ونقله وحفظه للماء . وتسمياته للسحب والأنواء والنجوم والبروج والرياح . وأسلوبه الطبى فى العلاج بالأعشاب والكى والفصد والحجامة وجانب عن أنواع الطعام وأساليب طهيه وخبزه وحفظه فى البادية وادوات البدوى الموسيقية وانغامها . واهازيج الصحراء وأناشيدها وأفراحها .

قـــاعـــة النخيـــل

يخصص جانب فى متحف الصحراء المقترح للنخلة ، لأن النخلة هى شجرة الصحراء المباركة : تعرض فيها أنواع التمور من مختلف صحارى الوطن العربى ، والصور التى يتخذ بها بدوى الصحراء غذاءه من التمور والبلح والرطب والدبس . والشرح العلمى الكامل لخطوات نضج ثمرة البلح بانزيماتها وهرموناتها وتحولاتها الكيماوية . مع رسوم وصور تبين الأسماء العلمية لأجزاء النخلة مع ما يقابلها من كلام العرب عن تلك الأجزاء وفوائدها واستخداماتها . وبالجملة تكون قاعة النخيل هذه متكاملة بكل المعلومات العلمية والتراثية عن هذه الشجرة الكريمة التى خص الله بها الصحراء وإنسانها

قـــاعة المكتبـــة



وهذه تستقطب اليها كل الكتب والمنشورات العلمية : بمختلف لغات الأرض عن الصحراء والمناطق القاحلة ، حتى تكون مرجعا لكل باحث فى أمور الصحراء علميا وأدبيا وفنيا

المعمل البحثـــى

وهذا جزء لابد منه لاستكمال رسالة متحف الصحراء . يزود بكافة الأجهزة

لمسات اللطف الذى تخترق جذوره الصخور الصماء



المستحدثة فى الكيمياء والفيزياء ودراسة الصخور والحيوانات والنبات ليكون مقرا يسترجع فيه أبناء الصحراء المعاصرين أمجاد أجدادهم جابر والرازى وابن الهيثم وابن سينا وآلاف غيرهم . وخاصة فى المجالات العلمية الحديثة فيما يخص الصحراء . كالبحث فى الطاقة الشمسية وطاقة الريح ومقاومة التصحر . فنحن أولى الناس بهذه الجوانب من البحث العلمى على وجه التخصيص .

تلك مجرد إشارات . لا أدعى أنها فى غير حاجة الى مزيد لكى تصنع صنيعا غير مسبوق . وفاء للصحراء . التى فيها نشأ أجدادنا . واليها مآلنا . ونحن أبناؤها الأوفياء الذين لا يضنون عليها بفكر ولا بحث ولا سعى لمستقبل أحسن .

وانني لمدين لمعطيات المهرجان الوطنى الثانى للتراث والثقافة الذى أقامه الحرس الوطنى فى المملكة العربية السعودية الشقيقة . بهذه الفكرة . فكرة إعداد أطلس عن الصحراء بعلم شامل وأداء متكامل . وإنشاء متحف للصحراء يجمع بين المتطلبات الأربعة للمتاحف : كما هى فلسفتها اليوم : الترويج والتثقيف والتعليم والبحث العلمى المتقدم .

درويش مصطفى الفار

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة



من تجاربي في التعليم

بقلم: عبدالرحمن شكري



كان الكاتب والشاعر الكبير عبدالرحمن شكري رائداً من رواد التجديد الأدبي في النصف الأول من هذا القرن، وكان زميلاً للعقاد والمازني. وقد اعترف المازني في بعض مقالاته بأستاذية شكري وأسبقيته. وكان عبدالرحمن شكري قد قضى فترة طويلة في الاشتغال بالتعليم. وفي هذا المقال الجميل تصوير لبعض خبراته العملية والروحية في التعليم. حيث تبدو المدرسة صورة من الحياة والمجتمع بما يجري فيها من مشاكل وصراعات وأحداث:

من تجاربي في التعليم

دخلت مدرسة المعلمين سنة ١٩٠٦ وطلبت الإحالة على المعاش سنة ١٩٣٨ وكانت مدة اشتغالي بالتعليم كطالب ومدرس وناظر ومفتش اثنتين وثلاثين سنة وهي ليست بالزمن القليل. وربما كان منصب الناظر أشق مناصب التعليم التي وليتها بالرغم من وجاهة مظاهره. وقد كنت ناظراً لخمس مدارس ثانوية وقبلها لثلاث مدارس ابتدائية. وكانت مدة نظارتي للمدارس الثانوية تسع سنوات وللمدارس الابتدائية ثلاثاً أي كانت نظارتي للمدارس اثنتي عشرة سنة. وهي أيضاً ليست بالزمن القليل. وقد لبثت في نظارة المدارس الثانوية في عهود وزارات وأحزاب مختلفة. وفي عهد كانت المدارس الثانوية فيه مضطربة جد الاضطراب بسبب قلة الاستقرار السياسي.

وأعترف أن بقائي في نظارة المدارس تلك المدة الطويلة لم يكن بحسن لباقة في معاشرة الناس ومخالطتهم واكتساب معونتهم، فإن ميلي الطبيعي إلى الوحدة منع من ذلك حتى أساء أناس فهم هذا الميل إلى الوحدة وعدوه تكبراً وهو ضعف في البنية يتطلب الراحة بالانقطاع عن الحديث وعن تكاليف المجالس وأعفى ماتكلفه من تعب. ولم يكن بقائي في النظارة بسبب مكر ودهاء وخلابة تحبب الناظر إلى تلاميذه لأن المكر إذا تكلفه الإنسان يتعبه ويكلفه جهداً ربما كان لاطاقة له به، وإنما كان بقائي بها أولاً لأني آثرت تصريف الأمور بنفسي بدل الرجوع إلى الوزارة في أمور كثيرة وبدل خلق مشكلات لها. ولاتكره الوزارة أمراً قدر كرهها أن يُرجع إليها في أمر كان لايستطيع الناظر ألا يكبّر أمره حتى يصير لامناص من الرجوع إليها فيه. وثانياً لأني اتخذت في خطط التعليم ماتخذه نابليون في خطط حروبه إذ كان يعبىء أكثر قوته لمواجهة موطن الضعف في العدو فيهزمه، وكذلك كنت أنا والأساتذة نعبىء عنايتنا وجهدنا لمعالجة التلاميذ الضعاف ولمعالجة أماكن الصعوبة في المناهج وأماكن الخطأ والضعف في التلاميذ الضعاف، وهذه خطة تحتاج إلى تفصيل ولكنها الخطة الوحيدة التي يستطاع بها جعل نسبة النجاح في الامتحانات حسنة مرتفعة، وقد استطعنا في الواقع أن نجعل بهذه الخطة نسبة النجاح حسنة، وهذا كان يسر بعض رؤسائنا عند ظهور النتائج.

ومنصب ناظر المدرسة من المدارس الثانوية المصرية منصب كانت تحوطه العداوات. فإذا أراد أن يهيىء أسباب النظام قيل متشدد مرهق مجرم. وإذا تسهل وترك الأمور تجري في مجاريها قيل ضعيف كسول، وإذا كان بين بين اتهم تارة بالإرهاق والإجرام، وتارة بالضعف والكسل، واتهم علاوة على ذلك بالتذبذب. وقد خرجنا والحمد لله من هذا المنصب ومن غيره من المناصب وليس في ملف خدمتنا مؤاخذة ولا سؤال ولا تحقيق في مؤاخذة، ولم تكن هناك حتى ولا مخاطبة شفوية في أمر مؤاخذة مالية أو أدبية أو علمية أو خلقية إلا مؤاخذة على رفع صوتنا في حضرة عزّ بك حافظ رحمه الله أيام كنت مدرساً وهو ناظر، وهذا أمر ربما [illegible] الأساتذة المدرسين في هذا الجيل.

وقد كانت خطتي في معاملة الأساتذة المدرسين على العموم خطة معاوية في قوله، لو كانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت إذا أرخوا شددت وإذا شدوا أرخيت، وربما أفادني ميلي الغالب إلى الوحدة من ناحية وإن أضر بي من ناحية أخرى. فإن أضر بي من ناحية جهلي بما يدبر في الخفاء ومن ناحية إساءة بعضهم ذلك الميل إلى الوحدة وعده تكبراً. فقد أفادني من ناحية أخرى إذ لم يخلق أسباب الانقسام والتحزب والمشاحنة بين الموظفين بمناصرة بعضهم على بعض.

وكانت خطتي نحو الطلبة إعزاز الطالب الكريم الأخلاق واحترامه إذا كان ممن لايطغيه الإعزاز والاحترام. وإفهام المقصر أو الخارج على النظام أن العقاب ضرورة لا إهانة فيها وأن الشهامة تقتضي أن يرحب مستحق العقاب بالعقاب. وقد حاول بعضهم أن يذيع في مدرسة أني أتشدد تشدداً سيئاً في معاملة الموظفين فلم يفلح بالرغم من الإلحاح في هذا المسعى لأن هذا المسعى كان مهزلة حقيرة، ولا يقبل الموظفون في هذا الجيل إساءة في المعاملة لا إلى الحد الذي حدده هذا المسعى ولا إلى أقل منه. وكبار رجال الوزارة يعلمون أنه ليس في استطاعتي أن أفعل ذلك حتى لو حدثتني نفسي بإساءة معاملة أحد. ولكنه مسعى يدل القارىء على المتاعب التي يتعرض لها حتى أقل النظار طلباً للمتاعب وأبعدهم عن مظانها. وقد حاول أيضاً أصحاب ذلك المسعى إفهام الطلبة أني أتشدد تشدداً مرهقاً للطلبة، وهم يعرفون أني قلما كنت أوقع إلا العقوبات المدرسية المفروضة ولم أكن أوقعها إلا بمقدار مايستقيم معه التدريس.

وقد كنت أتعجب من الخبث والشر في نفوس أصحاب ذلك المسعى. ولكن مما هوّن الأمر عليّ أن بعض الطلبة الذين كنت أضطر إلى معالجتهم بشدة كانوا بعد نجاحهم وتخرجهم يرسلون إليّ الخطابات ينسبون فيها نجاحهم إلى ما عالجتهم به أو كانوا يفعلون ذلك إذا قابلتهم بعد تخرجهم.

وقد علّمتُ آلافاً من التلاميذ بمدارس الإسكندرية ودمنهور والمنصورة والزقازيق والقاهرة وحلوان والفيوم الأميرية. وكثير منهم قد صادفوا نجاحاً كبيراً في حياتهم بعد أيام التلمذة. وهم يعرفون أن الخشونة والعجرفة والقسوة أبعد الطباع عن طبعي ويعرفون أني كنت أعامل أكثرهم معاملة الأخ الكبير للأخ الصغير. وقد كنا نتبع خطة التعبئة لمعالجة الضعف في جميع سني الدراسة لا في السنة الأخيرة وحدها، ومن أجل ذلك كانت تأتي نتائج امتحانات النقل للفرق حسنة مرضية في جملتها إلا ماشذ بسبب ضعف شديد في فرقة أو فصل وعجز في الأستاذ عن معالجته مما يحدث مثله في جميع المدارس. والوزارة إنما تأخذ بمتوسط نسبة النجاح للمدرسة كلها، وتنظر في أسباب تخلف الفرقة الواحدة أو الفصل الواحد. ولا أذكر أن الوزارة آخذتنا حتى ولا مرة واحدة بسبب تلك النتائج.

ومما يؤسف له أن بعض كبار آباء التلاميذ كانوا إذا رسب ابن أحدهم حقد حقداً شديداً. ولا أعرف إذا كانت هذه الصفة لاتزال في الآباء. ولو أنهم سألوا الوزارة عن مستوى

النتائج لأراحوا أنفسهم وأراحوا النظار من عواقب حقدهم الذى لايتفق وتربيتهم العالية ومنزلتهم الكبيرة. والمدرسة دنيا مصغرة: ففيها العالم والجاهل والذكي والغبي والوديع والشرس الطباع والكريم والحقود، والذى يغلب على طبعه الخير، والآخر الذى يغلب على طبعه الخبث والشر وحب الأذى. ولايستطيع أستاذ مدرس ولا ناظر أن يعجن جبلّة هؤلاء وأن يجعلهم كلهم على طبيعة واحدة من العلم والذكاء والكرم وسمو الشمائل، ولا أن ينال إخاءهم وإنصافهم جميعاً.

ومهنة المدرس والناظر من أشق المهن، ولا يهون متاعب التعليم غير إنصاف الوزارة من ناحية وإنصاف الآباء من ناحية أخرى وحسن موازرتهم؛ وهذا الإنصاف لايغنى عنه لإنجاح التعليم تغيير الوسائل والأنظمة. ولسنا نقول هذا القول لأننا نطلب أو نرجى نفعاً فقد انتهت حياتنا العملية وانتهت مطامعنا وآمالنا إلى غير عودة. ولكنا نقوله ونحن نعلم أن المعلم والناظر يعملان فى سذاجة الشباب أو عادات الشباب والمشيب حتى وإن لم يجدا عطفاً من بعض الآباء أو من الوزارة؛ ولكن صعب على النفس ألا تجد مايعينها على تحمل مشقة التعليم، واستخراج حلاوته؛ والتعليم شيّق حلو إذا انتظمت أموره، وامتنعت عنه الأحقاد، والمعاداة على كل أمر تافه.

ولا أذكر أنى تأثرت مرة من حسن عطف ومودة قدر تأثرى عندما نُقلْتُ من نظارة مدرسة المنصورة. وجاء تلاميذ لتوديعى، ووقف باقى الطلبة فى الفناء يحيوننى وأنا فى القطار، وقد دمعت أعين بعض الطلبة المودعين ولم أكن أتعمد اللين معهم، ولا التراخى، حتى أنال عطفهم! ولم يكتفوا بذلك بل أظهروا وفاء عندما صاروا إلى المدرسة الثانوية بالمنصورة، وجاء إليهم تلاميذى من مدرسة الزقازيق الثانوية لمباراتهم. وقد جعلنى وفاؤهم هذا أندم على أنى لم أكن أكثر ليناً فى معاملتهم. وإن كنت لم أنقطع عن مشاركتهم فى سرورهم ومباسطتهم والعمل على راحتهم ولإنجاحهم، وتعهد مرضاهم، والسهر على صحتهم إذ لم تكن شدتى قسوة بل رحمة.

١٩٣٩

الموظفون والناس



بقلم: أحمد حسن الزيات

ابتُليتُ فى هذه الأيام أن اختلف إلى بعض الوزارات فى شأن من شؤون الرسالة. وأشد الأمور على نفسي أن أغشى دواوين الوزارة أو أقسام الإدارة، لأني أعتقد كما يعتقد أمثالي من السوقة الأحرار أن الحكومة من الأمة بمثابة الرأس من الجسد، فيه التفكير والتدبير والقيادة. وليس فيه الاختيال والشموخ والسيادة. ولكن الحكومات في أمم الشرق لاتزال تعتقد أن الرأس معناه أن يوضع فوق الجسم ليسمو على أعضائه ويعيش على غذائه. فإذا دخلت دورها لاتجد فيها الروح الوطنية التي تبعث الحياة العامة، ولا الفكرة الاجتماعية التي تدبر المنفعة المشتركة. وإنما تجد بها مظاهر شتى للسلطان الجبار والبيروقراطية الصلفة تعطل معنى الإصلاح وتبطل حقيقة العدالة.

ترى أول ماترى جيشاً من الشرطة والسكرتيرين والحجاب والسعاة يسد أبواب المكاتب، ويملأ مدارج الطرق، ويشغل فراغ الحجر؛ وهذا الجيش الذي يكلف الخزانة لاأدري كم من المال لا عمل له إلا بث الرهبة وإظهار الأبهة والحيلولة بين الناس وبين القائمين على (مصالحهم) من أولي الأمر. فإذا ساعفتك الفرصة أو ساعدتك اللجاجة فنجوت من شراسة الشرطي أو الحاجب، وخلصت من غطرسة السكرتير أو الكاتب، دخلت على الموظف الكبير بهوا كأبهاء القصور، فرش بالطنافس وأثث بالأرائك وزين بالتحف وأدفئ بالكهرباء وقام في صدره الحالي طرفة من طرف الأثاث يقولون إنها مكتب. ومن وراء هذا المكتب الفاخر كرسي وثير متحرك جلس عليه الموظف العظيم وثيابه تكاد تنشق من ورم الكبر ونفخة السلطة. فلاتستطيع من رهبة السلطان أن تكلمه. ولايستطيع هو من عزة المنصب أن يكلمك.

هذه الظاهرة القائمة على السرف والترف يجب أن تزول أوتخفف، لأنها تحيط

الموظف بجو من العظمة المستعارة تزوّر له ذاته ، وتفسد عليه حياته . وتجعل ميزانه الاجتماعي منصوباً على ضميرين مختلفين : يزن في بيته ولنفسه بضمير . ويزن في الديوان وللناس بضمير . وياويل ذي الحاجة إذا دخل على الموظف مكتبه وليس منسوباً إليه ولامعروفاً لديه ولا موصى به ! إنه لايجد إلا النظرة القاسية : والكلمة الجاسية ، والإشارة المهينة ، والهيئة الوقحة التي تصرخ في وجهه بهذه الجملة :

يابعد مابيني وبينك ! أنا حاكم وأنت محكوم . وأنا (ميري) وأنت (براني) . فإن احتمل المسكين الهون وقف على مضض . وإذا ملكته الحمية انصرف على شجار !

لقيت منذ يومين في فناء الوزارة الفلانية صديقي فلاناً المهندس المقاول خارجاً يزمجر من الغيظ وينتفض من الغضب . فقلت له وأنا أربت على كتفه :

ــ كفاك الله الشر ! ماذا بك ؟

فقال بصوت يتفجر بالسخط ويتهدج من التأثر :

ــ والله ياأخي ماأدري أنحن عبيد الموظفين أم نحن وهم عبيد القانون ؟ هذا فلان بك ...

ــ فلان بك ؟! إنه الرجل الذي أقصده الساعة في مسألة عامة .

ــ تعال تعال ! لاخير في لقائه اليوم . لقد تركته يفور على الكرسي فوران القدر على الموقد .

ــ ولم كان ذلك ؟

طلبت الإذن عليه لأشكو إليه خلل إدارته وإهمال مرءوسيه . فإن لي عملاً يدخل في اختصاصه مضى عليه سنتان ، وكان يكفي لإنجازه يومان . فأهملني عند سكرتيره ساعة ثم خرج غير آذن ولامعتذر . فانصرفت خجلان من سوء مايظن بي مدير مكتبه ، ثم عدت إليه يوماً آخر وطلبت إذنه مع الطالبين وفيهم كما علمت النائب والصاحب والقريب . فدخلوا وخرجوا ، ثم دخل قبلي من جاء بعدي . حتى لم يبق في شرف الانتظار إلا أنا ورجلان من أصحاب العمل . حينئذ قال سكرتيره : إن البك مشغول بقية الوقت ! فثار في وجهي الدم . وطغى في رأسي الغضب فاقتحمت عليه الباب وقلت له من غير اعتذار ولاتحية : ياسيدي البك ! ربما كنت أنا الزائر الوحيد الذي زارك اليوم لعمل من الأعمال التي تجلس لها وتؤجر عليها . فلم يكن من اللائق بأمانة المنصب أن تحجبني مرة بعد مرة لتستجيب إلى طلاب الشفاعات والوساطات من ذوي الصداقة والقرابة .

فحملق البك فيّ وقد استشاط وبربر وصاح : مَنْ أنت ومن أذن لك بالدخول ؟ فقلت له : أنا فلان ! سري من سراة البلد ، وثروة من ثروات الأمة . نشأت في مهد العُدم ، ثم تعلمت للعمل الحر ، وضربت في سبيل العيش الكريم من أفق إلى أفق ، حتى أصبح عملي الناجح مرتزقاً لمئات من الأسر العاملة ، وأصبحت ــ وأنا لاأزال في شباب الكهولة ــ ذا خمسين ألف جنيه ورتبة . أما أنت فالكبير الصغير ! كبرك المنصب والمرتب اللذان أدركتهما بمضي المدة ، وصغرك العجز والكسل اللذان كشفاك في إدارة العمل . إن سلطان الوظيفة ياسيدي عرض منفك ومتاع زائل . فإذا شئت أن تعرف أين أنت مني فدع منصبك الحصين وادخل معي في غمرة الدنيا وزحمة الناس ، ويومئذ نرى أينا يوطأ بالأقدام ، وأينا يرفع على الرؤوس ...

وهنا رأيت الرجل يكاد يتمزع من الغيظ فأهوى بيده على أزرار الأجراس فصلصلت جميعاً ، وقال لحجابه وسعاته : أخرجوا هذا ... من هنا . فأخرجوني على حال من الهوان لايصبر عليها إلا رجل حازم أمام موظف أحمق .

فقلت له ونحن نمشي الهوينى في طريقنا إلى البيت : هون عليك ياصديقي فإن أكثر الموظفين حالهم مع الناس كحال هذا الموظف معك .

* * *

أيها القلم !

لشدّ ماأتمنى على الله أن يجعلك في يدي سناناً يخز ، ومعولاً يهدم ! لقد عجزنا ياقلم وعجز الكلام !

١٩٤٠



بقلم :
الدكتور عبد الوهاب عزام

كان عام ٦٢٨ فاتحة شر مستطير في العالم الإسلامىّ : سالت فيه جيوش جنكيز من هضاب الصين تغرق كل شيء وتدمر كل شيء ، طغت على التركستان فجرفت عرش ملوك خوارزم ودارت بالمدن العظيمة تخريباً وتدميراً . وفر محمد خوارزمشاه وكان كما قال مسلم بن الوليد :

وطار فى إثر من طار الفرار به
خوف يعارضه فى كل أخدود

وورث ابنه جلال الدين ملكا فى أيدى التتار ، ومجداً بين الطعان والضراب ، فصبر وصابر وجاهد ما بين نهر السند إلى حدود العراق يحاول جهده أن يلمّ الشعل ويرأب الصدع ، ويخلق من الفرقة اجتماعاً ، ومن الضعف قوة ، ومن الذعر ثباتاً ، ومن اليأس رجاء . حتى اغتالته المنون بعد أن أعجزتها مصاولته ، وختلته بعد أن أعيتها مجاهرته .

وانتشر الرعب ، وعمّ الفزع ، ولم يثبت للتتار جيش ولا حصن فى شرقىّ البلاد الإسلامية .

ومالى أكلف نفسى الوصف ولا أستمع لابن الأثير ، وقد عاش على شاطىء هذا الطوفان ،

وأحسّ لفح هذه النار، يحدِّث حديث هذه الوقائع :

هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقمت الأيام والليالى عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل : إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتل بمثلها ؛ لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن مايقاربها ولا مايدانيها ... الخ .

— ٢ —

مات جنكيز خان سنة ٦٢٤ بعد أن قسم بين أولاده مافتح من الأرض وما لم يفتح ، وامتد الفتح فى آسيا وأوربة ، وكانت غير ، حتى أرسل بنكوقا آن حفيد جنكيز — أخاه هولاكو سنة ٦٥١ ليفتح حصون الاسماعيلية ثم يفتح بغداد فأخضع أمراء إيران والقوقاز إلى عام ثلاثة وخمسين واستولى على أكثر قلاع الاسماعيلية .

ثم جاءت الطامة الكبرى فاستولى على بغداد ، ومحا الخلافة العباسية تاسع المحرم سنة ست وخمسين وستمائة (١٦ يناير ١٢٥٨) لقد طوى أجداده الممالك الإسلامية إلى العراق ، ثم أصاب هو المسلمين فى الصميم إذ أخذ بغداد التى لبثت مقر الخلافة وقبلة المسلمين فى العلم والحضارة أكثر من خمسة قرون .

ماذا يصد هولاكو عما يشاء ؟ من ذا يقف للجيوش التى لبثت ثلاثين سنة تسير من ظفر الى ظفر ومن مملكة فتحتها إلى مملكة قدر لها أن تفتحها ؟ إن آسيا ما بين قراقروم وبغداد فى قبضة أبناء جنكيز ، وإن اوربا الشرقية الى البحر الأدرياتى قد عنت لأمرهم . ليس على هلاكو إلا أن يسير الجيوش فتطوى الأرض ، ويثير الحروب فتخر الممالك ، ويوعد الملوك فيخذلها جندها ، وينزل بالمدينة فتسلمها أسوارها . عزمة تسخر له الشام ، وأخرى تقهر له مصر ، ثم عزمات تبلغ به بحر الظلمات .

— ٣ —

سار التتر إلى الشام فلم تستطع حلب لهم دفعاً ، وهؤلاء المعتصمون بقلعتها لن يجديهم الاعتصام . ولا مناص لهم من الاستسلام بعد شهرين . وسارع أهل حماة إلى حلب فأعطوا هلاكو مفاتيح المدينة . ولم تثبت للقوم مدينة بين حلب وغزة .

وأما أمراء الشام من بنى أيوب فمنهم من انحاز إلى التتر مؤثراً العافية ، ومنهم من لجأ إلى مصر مستنجداً . والملك الناصر أكبر هؤلاء ترددت به الحيرة بين حدود مصر والشام فلم يجد إلا المسير إلى هلاكو .

وأبت مصر التى تجاهد الصليبيين منذ مائة وستين عاماً ، أن تذل للتتر ، فجمعت مافيها من إيمان وقوة وخرجت فى رمضان سنة ٦٥٨ وصمدت للقوم فالتقى الجمعان على عين جالوت فى فلسطين . فأما التتر فلم يعرفوا فى الحرب إلا الانتصار منذ سال سيلهم على البلاد الإسلامية قبل ثلاثين سنة . فما يخشون من جيش مصر وقد مزقوا للمسلمين جيشاً بعد آخر ، ولم تصدهم البسالة والاستقتال دون غاية . وأما جيش مصر الذى جمع المصريين وعرب البادية من مصر والشام فقد أيقن أنها الموقعة الفاصلة ، وأن هزيمة فى عين جالوت تفتح طريق العدو إلى مصر فالمغرب ، فصمّموا أن ينتصروا ، وكثيراً ما تلد العزيمة الظفر . ولم يزلزل عزائمهم أن رأوا بعض أمراء المسلمين فى صفوف العدوّ — ذلك الأمير الشقى المتسّمى الملك السعيد .

التقى الجمعان يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان عام ثمانية وخمسين وستمائة . واحتدم القتال وصبر المسلمون ثم صبروا ، ولقوا من حملات التتار ما يوهن العزائم فلم يهنوا . الى من يكلون الدفاع عن الإسلام والمجد إذا لم يستميتوا فى عين جالوت ؟

كتبغا قائد التتر قتيل ، وابنه أسير ، وجنده مصرعون فى حومة القتال ، وبقايا السيوف منهم يلوذون برءوس الجبال .

علم المسلون يومئذ أنه يستطاع هزم التتر فلم يثبت القوم فى بقعة من بقاع الشام وأسرعوا فى الرجوع الى الشرق .

جمع التتر شملهم وأعدوا للحرب عُددهم ثم رجعوا فاستولوا على حلب بعد شهرين من موقعة عين جالوت . ولكن عين جالوت قد فصلت فى القضية من قبل وعلمت المسلمين أن الأمل والعزم والإقدام تغلب كل عدو ولو كان التتر جنود هلاكو حفيد جنكيز .

اجتمع المسلمون على حمص وسار التتر إليهم . فليشهد القارىء قبل المعركة جمعاً من أنجاد العرب يسيرون الى حومة الوغى :

قال الشيخ شهاب الدين الحلبي : كنت فى نوبة حمص فى واقعة التتار جالساً على سطح باب الاسطبل السلطانى بدمشق إذ أقبل آل مرا[1] زهاء أربعة آلاف فارس شاركين فى السلاح على الخيل المسومة والجياد المطهمة وعليهم الكزغندات[2] الحمر ، والأطلس المعدنى والديباج الرومي ، وعلى رؤوسهم البيض كأنهم صقور على صقور ، وأمامهم العبيد تميل على الركائب ويرقصون بتراقص المهارى ، وبين أيديهم الجنائب ، ووراءهم الظعائن والحمول ، ومعهم مغنية لهم تعرف بالحضرمية طائرة السمعة سافرة من الهودج وهى تغني :

وكنّا حسبنا كل بيضاء شحمة
ليالى لاقينا جُذاماً وحميرا
ولما لقينا عصبة تغلبية
يقودون جرداً للمنية ضُمّرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه
ببعض تأبى النبع أن يتكسرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها
ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

ودارت الحرب عند حمص يوم الجمعة خامس عشر المحرم سنة تسع وخمسين وستمائة . فإن تسألنى كيف كانت عاقبتها فهى العاقبة التى بشرت بها موقعة عين جالوت .

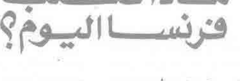
فارق التتار الشام إلى غير رجعة .

١٩٤٠

هوامش :

(١) آل مرا من آل ربيعة من طيء .
(٢) كزغند معرب خزكند وهو قباء محشو بالحرير يلبس فى الحرب .





يقدمها: طلعت الشايب

على ساحة الكتابة الفرنسية هذه الأيام يدور كل الحديث عن مسح الألواح القديمة ورفض القوالب الأيديولوجية وفتح الأبواب أمام التنوع والتعدد. فرغم الفرح الذي غمر الفرنسيين لحصول كلود سيمون على جائزة نوبل في الآداب في العام الماضي ـ وهي المرة التي يحصل فيها كاتب فرنسي على الجائزة منذ أن رفضها سارتر عام ١٩٦٤ ـ إلا أن السخرية كانت شديدة لأن اختيار سيمون جاء في وقت كانت «الرواية الجديدة» التي يمثلها قد سقطت عن عرشها وأفسحت المكان لطراز من روايات القرن التاسع عشر.

تقول المحررة والناقدة الأدبية فرانسواز فيرني francoise verny التي تتبنى جيلاً جديداً من الروائيين في اثنين من كبريات دور النشر الفرنسية «grasset» و«gallimard» إنّ هناك اتجاهاً جديداً للعودة إلى المغامرة والاستقلالية والمباشرة حيث «لاتوجد في هذه الأيام مدارس فكرية أو تيارات أو حتى أماكن للتجمعات الثقافية والمراجعات النقدية» كما تصف المرحلة بأنها مرحلة «تخمر فردي» بعد أن سقطت ديكتاتورية الرواية الجديدة التي عاش الفرنسيون أسرى لها لفترة طويلة.

نفس الشيء تقريباً يقوله الناقد «بيير نورا pierre nora» عن الكتابات الجديدة في مجالات السيرة والفلسفة والتاريخ حيث يرى أن مدارس البنيوية والماركسية التي خلبت العقل الفرنسي يوماً ما بقدرتها على تحسس نبضه قد ذوت وأن الكتاب أصبحوا ينتجون أدباً أقل التزاماً وأقل موالاة للفكر النظري عن ذي قبل. وهذا من وجهة نظره يعكس شعوراً يتنامى لدى الفرنسيين عموماً هذه الأيام وهو أن فرنسا لم يعد لها مكان في مركز الثقافة العالمية... يقول «أشعر أننا نمر بمرحلة مراجعة دقيقة لكل تاريخ فرنسا الذي وصل إلينا من الأجيال الماضية. وفرز شامل للموروث الثقافي يلقي الضوء على فترة مابعد ديجول في وقت تشعر فيه فرنسا في قرارة نفسها بأنها لم تعد قوة عظمى وبأنها مجرد دولة من الحجم المتوسط... وإذا كانت عظيمة فلأنها كانت كذلك يوماً ما».

هذه المحاولة للمراجعة والتمحيص أدت إلى ظهور كتابات تهدف في الأساس إلى إصدار سير ذاتية ونهائية لعظماء الماضي الحديث. فنجد أن الموضوعات الرئيسية للكتابة في العام الماضي (١٩٨٥) كانت عن «ديجول» وعن «سارتر».

والأول (ديجول) شخصية بارزة من اليمين الفرنسي التقليدي. رجل ذو قوة سياسية ضاربة. كرس حياته لاستعادة كرامة الأمة المهزومة وإيقاظ وعيها بالمجد أما الثاني (سارتر) فخصم نموذجي لسلطة الدولة. كان في حالة تمرد فلسفي دائم. وكانت آراؤه ترمز إلى التقاليدالفكرية الفرنسية المتميزة.

ورغم الاختلاف البين بين ديجول وسارتر في مضمون ماجاء به كل منهما ورغم اختلافهما في المنطلقات الأساسية كما في الأساليب. نجد أن الكتابة الفرنسية في العام الماضي تعطيهما مكانة مشتركة كرمزين للهوية الفرنسية.


ديجول


سارتر

فالصحافي وكاتب السيرة الشهير «جين لاكوتيه jean lacouture» أصدر حتى الآن جزءين من مؤلفه الكبير عن ديجول (صدر الجزء الثاني في أواخر ٨٥) ليلقيا ترحيباً كبيراً من اليمين واليسار على حد سواء. ورضا اليمين واليسار معاً في حد ذاته أمر غريب في بلد مثل فرنسا كان فيه اليمين دائماً يميناً وكان اليسار يساراً. (ولم يلتقيا!).

الغريب في الأمر أن لاكوتيه نفسه محسوب على اليسار الفرنسي الذي كان دائماً صاحب موقف غير ودي من ديجول. وهو ذات الموقف الذي لخصه الرئيس فرانسوا ميتران عندما أطلق على دستور ديجول للجمهورية الخامسة اسم «الانقلاب الدائم».

الجزءان اللذان صدرا حتى الآن من كتاب لاكوتيه ـ وهما يغطيان موضوع ديجول حتى قيام الجمهورية الخامسة ـ أثارا جدلاً شديداً في الدوائر الثقافية. فنجد الناقد بيير نوار (محرر الأعمال غير الروائية لدى gallimard) يقول إنّ «لاكوتيه وقع في غرام ديجول وجذبه إلى اليسار ليجعله مقبولاً لديه بعد تحويله إلى نمط جان داركي».

وإذا كان لاكوتيه قد جذب ديجول من اليمين إلى مركز الحياة الفرنسية وجعل منه شخصية مرضية لليسار فإن الكاتبة «آني. ك. سولال annie cohen'solal» حاولت في كتاب لها أن تثبت قدرة الجيل الجديد من الكتاب الفرنسيين على تحويل

أيقونة ـ شريرة في نظر البعض ـ إلى شخصية وطنية متعددة الجوانب تلقى القبول من الجميع .

وهذا مافعلته بالضبط في كتابها عن « سارتر » الذي انتزعته بعيداً عن اليسار الفرنسي الذي ظل من ممتلكاته منذ وفاته من ست سنوات . تقول الكاتبة إن عدداً كبيراً من دور النشر لم يكن متحمساً لنشر الكتاب في البداية لسببين رئيسيين ... ومتناقضين !

الأول وهو أن سارتر ـ الشخصية العامة ـ كان قد أصبح « موضة قديمة » ، والثاني هو أن المثقفين الفرنسيين لم يعودوا على أستعداد لإثارة الجدل من جديد حول شخصية مثيرة للجدل أصلاً ، أحدثت صدعاً كبيراً في فكر اليسار .

أما الصور التي أعادت نشرها في كتابها لجنازة سارتر فقد أعادت إلى الأذهان الشهرة الطاغية لذلك الرجل الذي كان يعتبر في وقت ما فولتير و « ديدرو » و « هوجو » القرن العشرين .

أما عن الكتابات الأخرى في فرنسا في مجال الأدب الروائي فرغم اختلافها في الأسلوب وفي التكنيك ، فإن سمات واحدة تجمعها وهي النرجسية الشديدة والبعد عن السياسة ورفض التجريب ومحاولة إرضاء الناشرين بغية الحصول على الجوائز التي ترصدها دورهم للأعمال الأدبية .

والمعروف أن عدد الجوائز الأدبية في فرنسا أكبر منه في أي بلد آخر في العالم وإن كان كثير من النقاد يعتبر عملية منح الجوائز « مهزلة كل خريف » على حد تعبير « بيير بلفوند pierre belfond » في جريدة الليموند . (وللعلم هو ناشر أيضاً)

أما المؤلفون الذين حصلوا على جوائز من دور النشر في عام ١٩٨٥ وكذلك أصحاب الأعمال الجيدة التي لم تحصل على جوائز فإنهم يمثلون ما تطلق عليه الناقدة « فرانسواز فيرني francoise verny » : « العودة إلى أسلوب السرد والحكايات الشخصية في الرواية الفرنسية » . وبالنسبة للكتاب أنفسهم ـ ومعظمهم تحت الأربعين ـ فلا يزال الوقت مبكراً للحكم عليهم إذا ماكانوا سينجحون في إبداع شكل أدبي مميز لفرنسا كما فعل روائيو منتصف القرن « جيد ـ مورياك ـ كامو » وإن كانت أعمالهم حتى الآن تقول بأن أيديولوجية الأسلاف قد ماتت بالفعل وأن الحياة الخاصة هي الجديرة بالاحتفاء الأدبي والاهتمام الثقافي في فرنسا هذه الأيام .

قمــــة فــــرانكــــوفــــون

سنجور

« الإنجليزية أكثر إحكاماً » ، « الفرنسية أكثر تحديداً » ، « الإنجليزية لغة ديمقراطية وحديثة » ، « الفرنسية لغة الصفوة » ، « الإنجليزية متطورة » ، « الفرنسية وراءها تراث أدبي عظيم » ... !

كانت هذه هي بعض طلقات المدافع التي هزت ساحة الحرب المتواصلة بين اللغتين الإنجليزية والفرنسية في الشهر الماضي .

في أول مؤتمر من نوعه اجتمع في باريس ٣٨ رئيس دولة ناطقة بالفرنسية ليتدارسوا معاً كيفية مواجهة الخطر الذي يمثله انتشار اللغة الإنجليزية وسيطرتها في مجالات العلم والتكنولوجيا ، وليبحثوا معاً السبل الكفيلة بعودة ازدهار وانتشار اللغة الفرنسية .

وأبرز المهتمين بالأمر والمهمومين لحالة الفرنسية اليوم ـ بالطبع ـ هو الرئيس الفرنسي ميتران الذي يتابع إحصائيات تعلم اللغة الفرنسية ومدى انتشارها في العالم ، والذي خصص جزءاً من كتاب صدر له مؤخراً عن السياسة الخارجية للهجوم على الدبلوماسيين الفرنسيين الذين يتحدثون بالانجليزية في الخارج مهملين لغة بلادهم .

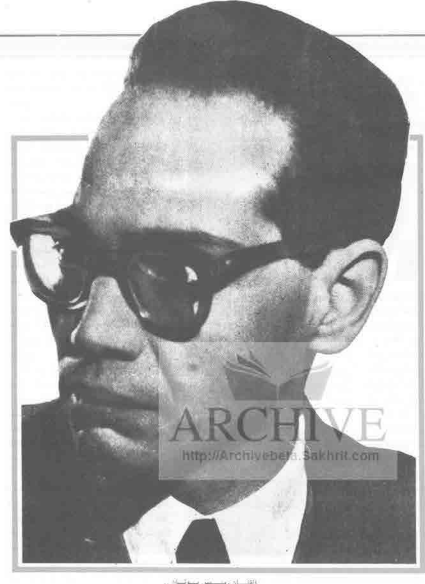
أما اللغة الفرنسية التي كانت لفترة طويلة اللغة الطبيعية للدبلوماسية ، ولغة الطبخ العالمي والأزياء الراقية ، وكانت يوماً ما لغة الأرستقراطية الروسية ولغة ثوار آسيا وكتاب أمريكا اللاتينية .. فقد بدأت في التدهور في السنوات الأخيرة ـ انعكاساً لتقلص دور فرنسا كقوة دولية ـ وإن ظلت حتى اليوم لغة الخطاب في أنحاء كثيرة من العالم من مقاطعة كويبك في كندا إلى جزيرة « فانواتو » في جنوب الباسيفيك .

وطبقاً لتقديرات الحكومة الفرنسية لايزال هناك ١٢٠ مليوناً يتكلمون الفرنسية بطلاقة في العالم (٦٠٪ في أوربا ، ٢٦٪ في أفريقيا ، ١٠٪ في الأمريكتين) ، ولكنها قد بدأت في التراجع في مناطق كثيرة وخاصة في شمال أفريقيا حيث تقبل الأجيال الجديدة في المغرب العربي على تعلم العربية بدلاً من لغة المحتل السابق .

وفي الوقت الذي يتزايد فيه قبول الانجليزية كلغة عالمية ، يتقلص حيز انتشار الفرنسية التي لاتستطيع ـ حتى الآن ـ مسايرة الابداع التكنولوجي ، ولذلك كان أهم مادعت إليه قمة فرانكوفون (الصوت الفرنسي) هو إنشاء بنوك معلومات مشتركة وإنتاج برامج كمبيوتر بالفرنسية والتعاون في مجالات صناعة الأفلام وإنتاج البرامج التلفزيونية ونشر الكتب .

كما اتخذت إجراءات أخرى للمحافظة على نقاء اللغة التي يرى الكثيرون أنها تمثل ثقافة وحضارة وأسلوب تفكير ، وأن نقاءها أهم بكثير من مجرد انتشارها مشوهة مليئة بالمفردات « الفرنجليزية » !

وحتى موعد انعقاد هذا « الكومنولث اللغوي » مرة أخرى في كويبك بعد عامين ستظل صيحة الرئيس الفرنسي مدوية في آذان المهتمين بأمر اللغة الفرنسية .. « إن أحداً لن يستمع إلى شعب يفقد مفرداته » .



الفنان رمسيس يونان..

في العدد الماضي من الدوحة قدمنا دراسة واسعة لنشأة الفنان رمسيس يونان وحياته الفكرية والفنية حتى أوائل الحرب العالمية، وفي هذه الدراسة الجديدة الكاملة بحث شامل عن حياة الفنان وفكره وأعماله الفنية حتى وفاته سنة ١٩٦٦ في الثالثة والخمسين من العمر تحت تأثير الأزمات المتتالية التي تعرض لها... وفي هذه الدراسة الجديدة صورة دقيقة واسعة أو «بانوراما» كاملة للأجواء الفنية والفكرية التي كانت سائدة في مصر والعالم العربي مابين ١٩٣٩ و١٩٦٦.

المثقف المُتَمَرِّد

رمسيس يونان

بقلم
صبحي الشاروني

● بيان يوقعه الرسامون والشعراء بعنوان "يحيا الفن المنحط"

● دور الحلم والرموز والمصادفة في الفن

كان الفكر والفن والسياسة هى أركان الثالوث الذى شغل رمسيس يونان فى شبابه وكرس له كل نشاطه .. فواظب على المشاركة فى معارض صالون القاهرة التى تقيمها « جمعية محبى الفنون الجميلة » من عام ١٩٣٣ حتى ١٩٣٨ .. ثم مارس السيريالية وكان رائدها الأول فى مصر .. وعمل على نقل المفهومات الحديثة فى الفنون الجميلة الى القارئ العربى كما شارك فى الجماعات السياسية التى تكونت قبل الحرب العالمية الثانية وفى بدايتها .. أما جماعة الدعاية الفنية فقد توقف نشاطها عام ١٩٣٩ بعد أن أقامت معرضين جماعيين فى عامي ١٩٣٨ : ١٩٣٩ ـ اشترك رمسيس يونان فى الأخير.

فى نفس السنة التى أصدر فيها رمسيس يونان كتابه « غاية الرسام العصرى » كانت قوى الفاشية والنازية فى أوربا تستعد لاشعال نيران الحرب العالمية الثانية .. ومن بين اجراءات استعدادها لهذه الحرب راحت تحاصر كل فكر متحرر حتى لو لم يكن « ملتزما » .. وكان يبدو واضحا جزعها وتبرمها من حركة الفن الحديث ، فاصطنعت فى مقابله قيودا ومقاييس صارمة راحت تدمر كل مايخرج عنها .. وفى مسرحيات إرهابية جماعية راحت تلك القوى تحطم وتحرق وتمزق ، فى الميادين العامة ، أعمال الفنانين المجددين واغلقت مدرسة الباوهاوس تحت شعار مقاومة « الفن المنحط » . وفى مواجهة هذا الموقف أعلن اندريه بريتون رائد الحركة السيريالية دفاعه عن الفن الحديث فى بيان وقعه أيضا الفنان المكسيكى « دييجو ريفييرا » وكان بعنوان « من أجل فن حر مستقل » .

وكانت اللوحات والتماثيل التى تضمها المعارض فى مصر لاتصلح الا للزينة ، ولاتؤدى أى دور ثقافى أو اجتماعى أو سياسى .. فى حين أحدثت الاضطرابات العالمية أزمة عميقة فى نفوس الشباب .. وتبنى رمسيس يونان وزملاؤه فى تلك الفترة فكرة دعوة المجتمع الى التحرر النفسى والمطالبة بأن يلعب الخيال دوره ، على أساس أن خيال الفرد هو أكبر قوة يجب أن يعبر عنها الفنان وليست الأوهام ، فأصدر مع زملائه بيانا يندد فيه بهمجية القوى الفاشية والنازية التى كانت تريد إعادة البشرية الى ظلام العصور الوسطى ..

وقد صدر البيان فى ٢٢ ديسمبر عام ١٩٣٨ وقع عليه ٣٧ فنانا وشاعرا على رأسهم رمسيس يونان وجورج حنين وكامل التلمسانى وفؤاد كامل وكمال الملاخ وانجلو دى ريز وغيرهم . وكان عنوان البيان هو « يحيا الفن المنحط » باعتباره ردا على الحركة الفاشية التى اتخذت شعارا لها « مقاومة الفن المنحط » (١)

يلاحظ انه بتجمع كل هؤلاء فى التوقيع على هذا البيان تكونت الأرضية الضرورية لقيام أول جماعة تضم الشعراء والرسامين .. بل ان معظمهم كان يمارس الرسم والكتابة جنبا الى جنب.

لقد كان بيان « يحيا الفن المنحط » يمثل دعوة لاقامة جماعة « الفن والحرية » التى تكونت بعد صدوره بأسبوعين فقط ، أى فى ٩ يناير ١٩٣٩ ، وقد حددت أهدافها فى « الدفاع عن حرية الثقافة .. ونشر المؤلفات الحديثة وإلقاء المحاضرات وكتابة خلاصات عن كبار المفكرين فى العصر الحديث ، وإيقاف الشباب المصرى على الحركات الأدبية والفنية فى العالم » .

وفى تلك الفترة كانت لوحات رمسيس يونان ورسومه تصور ، من خلال ألوان بنية داكنة ، أشكالا غريبة تصدم المتفرج .

كانت مجهودات رمسيس يونان الفنية هو وزملاؤه أعضاء جماعة « الفن والحرية » تقوم بدور الموقظ للوجدان الفنى وتثير القلق عند المشاهدين . غير ان التجديد فى الصياغة كان يشمل بالدرجة الأولى ثورة على المذاهب الفنية القائمة عندئذ ، والتى كانت امتدادا للفن الأوربى الأكاديمى والتأثيرى . ولو أن هذه الثورة اقتصرت هى الأخرى على كونها امتدادا للنزعات الجديدة التى سادت اوربا قبل الحرب العالمية الثانية وتقليدا لها . وهكذا كان رمسيس يونان زعيم الناقلين لمذهب السيريالزم من أوربا الى مصر .

وبجانب جماعة « الفن والحرية » الفنية قامت جماعة « الخبز والحرية » السياسية وصدرت مجلة « الخبز » وكتاب « الدفاع عن الثقافة » وعدة نشرات أخرى .. ثم مجلة التطور التى لم تصدر الا سبعة أعداد ثم توقفت . وفى عام ١٩٤٢ تولى رمسيس يونان رئاسة تحرير « المجلة الجديدة » واستمرت هذه المجلة منبرا يعبر عن آرائه ومواقف جماعته حتى صودرت عام ١٩٤٤ .

معارض الفن الحر

وقد أقامت جماعة الفن والحرية معارض سنوية حتى عام ١٩٤٧ تحت اسم « معارض الفن الحر » . وفى معرضهم الأول الذى افتتح فى ٨ فبراير سنة ١٩٤٠ الذى اشترك فيه محمود سعيد بك ورمسيس يونان وكامل التلمسانى وفؤاد كامل وغيرهم وزعت الجماعة بيانا تقول فيه :

« فى الوقت الذى لايهتم فيه الناس فى العالم أجمع إلاّ بأصوات المدافع ، تجد أنه من الواجب علينا أن نعطى لتيار فنى معين فرصة ليعبر عن حريته وحيويته . ان نفوذ الفنان على مادة عمله قد اتسع لدرجة ان خرجت هذه المادة الفنية عن دورها السلبى : فأصبحت عند بعض الفنانين علامة ظاهرة لحقائق مزعجة (جورج دى كيريكو) وأصبحت عند البعض الآخر حلقة من سلسلة صور تسمو على كل المسافات المتباعدة « ايف تانجى » وهذه السلسلة جميعها تربط مأساة الحلم « سلفادور دالى » بمصادفات الحياة الباهرة « بول دلفو » .

الحلم ـ الرموز ـ المصادفة :

هذه الكلمات لاتكون بأى شكل قانونا فنيا سبق تكوينه الا للجهلة ومن على شاكلتهم .. ان كل كلمة من هذه الكلمات يجب ان تكون منبعا لتواليات جبرية هائلة ، لمضخات تبعث على الذهول ، وهى أيضا التى يتحمل سرها الفنان الحر وحده .

إنّ هؤلاء الذين يهاجمون الفن الحر كل يوم ، يتهمون كعادتهم مرة اخرى ، اننا نقوم بأعمال سلبية . إن الأعمال التى قام بها الفنانون الأحرار ، من « محمود سعيد » حتى « فؤاد كامل » والتى بنى عليها هذا المعرض ، فى هذه الأعمال الرد القاطع الذى ليس بعده رد » .

ياشباب .. لقد حان الوقت للاتجاه نحو الآفاق الخصبة .. وعندما نسير جميعا نحو تلك الكنوز الحقيقية التي هي ملكنا . (١)

وقد نجح المعرض الأول « للفن الحر » في إثارة ضجة كبرى .. فقد بلغ عدد الدعوات التي وزعت لحضوره حوالي عشرة آلاف دعوة .. وكانت تقاليد هذه الجماعة أنها توزع في معارضها النشرات والبيانات داخل المعرض وخارجه لاجتذاب أكبر عدد ممكن من الشباب المثقف الى أفكارهم .. وقد نشر رمسيس يونان في إحدى هذه النشرات الجزء الأكبر من ترجمته (فصل من الجحيم) .. « لارتور رامبو » وكان عنوان النشرة « ما زلنا في المعمعة » .

وفي بيان المعرض الثاني الذي أقامته في مارس ١٩٤١ اعلنوا انه لكي يقوم « الفن الحر » برسالته لابد له من هذه الأسس الثلاثة :

أولا : الرد على تلك الموجة من التصوير الكلاسيكي المحافظ الذي لايخجل من سوء مستواه الضحل ولا من جماله البشع ، ولا من تعريته تلك الطبقة من نسائه المحترمات .

ثانيا : إثارة التعجب في أذهان الجماهير . ذلك التعجب الذي يقولون انه لاداعي له لأنه كثيرا مايكون مقدمة لإثارة الوعي ولبعض الانقلابات الفردية والاجتماعية .

ثالثا : ربط نشاط شباب الفنانين بتلك الدائرة الكهربائية الواسعة التي يتكون منها الفن الحديث .. ذلك الفن الذي نحس بنبضاته القوية في نيويورك ولندن والمكسيك وفي كل مكان من العالم يكافح فيه رجال لايتطرق اليأس الى قلوبهم لتحرير الفكر الانساني . (٢)

الا أن ما أثارته جماعة الفن والحرية قد أدى الى نتائج غير التي توقعوها ، كان أخطرها هو سخرية الجمهور من الاتجاهات المعاصرة في الفن التشكيلي .. إذ فشلت الجماعة في توضيح الأسس الفكرية التي تقوم عليها ، ولم تنجح في اجتذاب الجمهور والمثقفين لمشاهدة وتذوق أعمال الفنانين المعاصرين بل لعلها تسببت في موقف السخرية ثم عدم المبالاة من جانب الجمهور بما يدور في مجال الفنون الجميلة ، وانتشر التعبير الدارج « فن سيريالي » وأطلق على كل عمل فني يتضمن أي تحريف او تغيير في النسب الطبيعية .

ولكنهم في نفس الوقت نجحوا في ايجاد عدد من الفنانين المقلدين للأساليب الأوربية الحديثة .. كما يرجع اليهم الفضل في توجيه الفنانين الى البحث عن الأساليب الفردية ، لأن الفن الحديث يعتمد على الأسلوب ، فأصبح كل فنان يدرس ويبحث محاولا الوصول الى أسلوب ذاتي ينفرد به ، لهذا يرجع الى رمسيس يونان وجماعة الفن والحرية الفضل في ظهور أول معالم الشخصية الفنية الفردية وغير المتأثرة بالمدارس الأوربية في جماعتي الفن المعاصر والفن الحديث اللتين ظهرتا بعد الحرب العالمية الثانية .. وان كان ذلك التأثير قد حدث بطريق غير مباشر .

وفي عام ١٩٤٠ كان رمسيس يونان قد استقر في مرسمه ببيت الفنانين بالقلعة ثم مالبث أن استقال من وظيفته كمدرس رسم ليتفرغ لشئون الفكر والفن عام ١٩٤١ ، وكانت مقالاته في ذلك الوقت أشبه بالخطب الحماسية .. ففي مقاله الذي يرد فيه على كتاب الدكتور طه حسين « مستقبل الثقافة في مصر » نستطيع أن نتبين أسلوبه الحماسي في الكتابة ورأيه وموقفه من قضية الثقافة والتعليم في ذلك الوقت المبكر

« الثقافة تعتمد على التربية كما تعتمد على التعليم ، وتعنى بقيم الحياة اكثر مما تعنى بمقادير المعلومات .. وتهتم بالتوجيه والنزعة والسلوك اكثر مما تهتم بالعلم الخالص والأدب الخالص والفن الخالص ـ نريد أن نقول ان موضوع الثقافة يتعلق بالاخلاق كما يتعلق بالمعرفة والعلم . (٣)

وفي مقال آخر بعنوان « الحقيقة والحلم » يوضح منابع مذهبه الفني . (٤)

ثم ينتقل الى مناقشة المشكلة الاجتماعية مناقشة صريحة في مقال آخر بعنوان « مابعد منطق العقل » وفيه يهاجم المجتمع الاستهلاكي مطالبا بتوفير الخبز والفن للجماهير . (٥)

أما الأسباب الاجتماعية لاتجاهه الفلسفي فيفصح عنها في مقال آخر بعنوان « الفن والمجتمع » (٦)

وقد ظل نشاط رمسيس يونان الفني والثقافي من خلال معارض ومطبوعات جماعة الفن والحرية التي كان من بينها مجلة « المجلة الجديدة » لثلاث سنوات ، وقد صودرت معظم هذه المطبوعات . وفي عام ١٩٤٥ تفرغ للرسم وحده وكف عن الكتابة .. ولكن اسماعيل صدقي باشا ، عندما تولى الوزارة قبض عليه في حملة ١١ يوليو ١٩٤٦ مع سلامة موسى ومحمد مندور ومحمد زكي عبد القادر وعشرات غيرهم .. ووجه إليهم الاتهام بالاعداد لثورة ثم أفرج عنهم بعد أسابيع لما لم تثبت ادانتهم .

الحرية العقيمة

في عام ١٩٤٦ تنبه رمسيس يونان الى فلسفة العبث وتعرف عليها من خلال البير كامي وترجمته لمسرحية « كاليجولا » التي نشرت عام ١٩٤٧ . وتمثل هذه الترجمة انقلابا في حياة رمسيس يونان .

وقد أعلن رمسيس يونان عن اتجاهه الى الحرية العقيمة بترجمته لهذه المسرحية . فقد أحس بعدم جدوى كل الجهود التي بذلها .. وسار نحو الانتحار في شكله الوجودي .

صحيح انه شارك بأعماله الفنية في معرض أخير لجماعة الفن والحرية خاص بالفن « الاوتوماتيكي » عام ١٩٤٧ . وصحيح أنه شارك في تكوين جماعة جديدة مغلقة اطلقت على نفسها اسم جماعة « جانح الرمال » . كما شارك في معرض السيريالية الدولي الذي أقيم في باريس عام ١٩٤٧ . ثم أقام معرضا شاملا لأعماله عام ١٩٤٨ . ومعارض أخرى في عدة عواصم أوربية حتى عام ١٩٥٢ . ولكن كل هذا كان بفعل الدفع الذاتي المتبقي من فترة الاندفاع والحماس السابقة .

ذلك انه قرر الهجرة من مصر نهائيا ، وفعلا سافر عام ١٩٤٦ الى باريس حيث رتب أموره ثم عاد لفترة وجيزة سافر بعدها الى مهجره عام ١٩٤٧ حيث استقر هناك وعمل سكرتيرا لتحرير القسم العربي بالاذاعة الفرنسية .. وهناك توقف تماما عن النشاط الفني من عام ١٩٥٢ حتى ١٩٥٦ . وهكذا مارس رمسيس يونان الحرية العقيمة على طريقة البير كامي .

وقد ذهب رمسيس يونان الى باريس مفضلا الوحدة باحثا عنها كبديل للوحشة التي استبدت به في القاهرة .

ويقول الدكتور لويس عوض : « في باريس بدأ رمسيس يونان المرحلة الوسطى من حياته .. كان لابد أن يعيش ، فهادن الحياة واشتغل نحو عشر سنوات من ١٩٤٧ الى ١٩٥٦ . وتزوج من آنسة بولندية الأصل ممن استوطنوا فرنسا هي « جوزفين دورينك » وأنجب منها بنتين .

ثم يضيف : « وفي أغسطس عام ١٩٥٥ كنت أمر في استردام في طريقي الى نيويورك ، وهزني الشوق الى رمسيس يونان فطرت اليه في

باريس لأراه ساعات بين طائرتين واطمئن على أحواله وفنه . فكانت شكواه الوحيدة أن عمله في الاذاعة الفرنسية لايترك له الوقت الكافي للرسم . » (٧)

ورغم هذه الشكوى فان رمسيس يونان الذى استقال من التدريس عام ١٩٤١ هو نفسه الذى هادن الحياة ، واشترى بيتا فى باريس بالأقساط . وهذا يعنى أنه استسلم « للحرية العقيمة » وللحياة الرتيبة واكتفى بمتابعة النشاط الفنى والثقافى فى العاصمة الفرنسية دون أن يشارك إيجابيا فى هذا النشاط .

ولكن مصر فى عام ١٩٥٦ أممت شركة قناة السويس العالمية واضطربت الأمور بين فرنسا ومصر .. وبدأت الأوساط الاستعمارية الفرنسية تستعد للعدوان ، وطالبت هذه الأوساط رمسيس يونان وثلاثة من زملائه العرب فى الاذاعة الفرنسية أن يذيعوا بيانات ضد مصر وهنا استيقظ « الوطنى » الكامن فى أعماق رمسيس يونان منذ عشرة أو خمسة عشر عاما .. ورفض الأربعة الاستمرار فى عملهم : فطردتهم السلطات الفرنسية .. وهكذا عاد رمسيس يونان الى مصر قبيل الاعتداء الثلاثى ليبحث عن عمل .. ولكنه قضى حوالى عشرين شهرا بغير وظيفة .. وامتلأت نفسه بالمرارة ، ولكنه عاد الى إيجابيته ونشاطه عام ١٩٥٨ .

وفى فترة البطالة ترجم كتاب « فن الأراجوز » ورواية « الحب الأول » لتورجنيف . وقد نشرت ضمن مطبوعات « دار الشرق » وكان هذا النوع من الترجمة هو استمرار لما يشبه عمله السابق فى باريس لمجرد أكل العيش . ولكن .. هناك كتاب ثالث يمكن اعتباره نقطة التحول الثانية ، ذلك أنه ترجم « قصة الفن الحديث » لسارة نيوماير ، وقد ظهر تحت اسم « سلسلة الفكر المعاصر » نشر مكتبة الانجلو المصرية » . وهو عبارة عن عرض سريع مختصر للكتاب الأصلى الذى يستعرض المذاهب التي ظهرت فى الفن التشكيلى منذ نهاية القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن العشرين . وقد لعبت هذه الترجمة دور الموقظ للفنان والمفكر رمسيس يونان فعاود نشاطه الفنى ولكن فى مرحلة جديدة تجمع بين الشكل اللامعقول فى الفن والاحساس العميق بالعبث .

لقد عين رمسيس يونان فى نهاية عام ١٩٥٧ أو بداية عام ١٩٥٨ مديرا للشئون الفنية بالمؤتمر الآسيوى الافريقى ، وكانت واجباته هى الترجمة ومراجعة مايترجمه الغير . وهكذا اتصل رزقه مرة أخرى حتى أقيم نظام التفرغ عام ١٩٦٠ فكان أول الحاصلين على منحة التفرغ ، وظلت تتجدد له عاما بعد عام حتى توفى فى ٢٤ ديسمبر ١٩٦٦ .

نحو المجهول

عاد رمسيس يونان الى نشاطه ناقلا الثقافة الغربية فى الفن والفكر الى قراء العربية فى ترجمته لكتاب « قصة الفن الحديث » وكتاباته بمجلة « المجلة » .. ثم « الهلال » و « الفكر المعاصر » بعد ذلك ــ كما عاد الى نشاطه الفنى بمرحلة كان قد بدأها فى باريس اتجه فيها بسرعة نحو الجمع بين الشكل اللامعقول والتعبير عن العبث ؛ فى البداية كان يستعيد خبرته فى الرسم السيريالى فنجد لوحاته أعوام ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ تصور حيوانات وأشكالا خرافية تتحفز لالتهام هياكلها العظمية .. وكائنات تشبه الحيوانات البحرية الدنيا تتدثر وتتمطى فى غلالات رقيقة شفافة مطاطة .

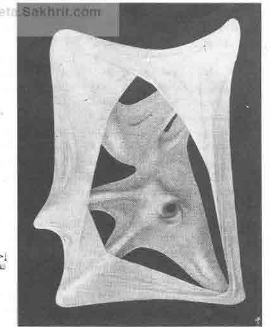
ثم مالبث أن تحول إلى التجريدية المطلقة عندما حصل على التفرغ ليرسم أشكالاً كأنها لجدران متآكلة بفعل الرطوبة ، أو مقاطع أحجار متعددة الألوان ، أوطبقات جيولوجية في الأرض ، أوسحب أوجزر أو جمر ورماد ...

وعاد إلى الجماعة الفنية .. فكون مع زملاء الفن والحرية وغيرهم من الفنانين غير الملتزمين جماعة « نحو المجهول » محاولاً بذلك إحياء تقاليد جماعة الفن والحرية . وأقاموا في (يناير عام ١٩٥٩) معرضاً جماعياً في قاعة « كولتورا » ... وفي معرض حامد ندا (عام ١٩٥٩) وزعوا كتيباً باسم « المجهول لايزال » ...

في كتالوج معرض نحو المجهول كتب رمسيس يونان يوضح فكرة العبث في الشكل والمضمون :

« إن العلم الحديث ليقامر بالعقل سعياً في التوصل إلى مالايمكن أن يتصوره العقل ، وإن الفلسفة الحديثة لتقامر بالمنطق شوقاً للكشف عما لايمكن أن يبلغه منطق ، وإن الفن الحديث ليقامر بالصور والرموز والاسماء أملاً في التعبير عما لايمكن أن تهتدي إليه لغة من اللغات ... وهذا التحليل وهذا الغوص وهذا الانطلاق ... هذه الحرية التي ربما لم تكن إلا وهماً من الأوهام ــ هي كل ما يستطيع أن يفخر به الانسان ... بالحرية نحو المجهول ... إنها القاعدة الوحيدة في الفن ــ كما أنها شيء ثمين لنا إذا أردنا أن نلحق بالركب الاجتماعي ونعطي الخيال صفاته » ... (٨) .

وفي كتيب « المجهول لايزال » كتب تحت عنوان « تفتت الأساطير » يوضح أسباب تحوله من السيريالية إلى التجريدية :



إحدى التجارب الفنية للفنان رمسيس يونان

المثقف المتمرد

رمسيس يونان

(يرجع الفضل إلى الحركة السيريالية في انقاذ الفن من هذه الدائرة المفرغة . لقد اعادت إلى الشاعر شيطانه ، فانطلقت كرائم الجن تمرح على مسرح الفن . وعندئذ هتك الستر واتضح لكل ذي عينين أن الوهم والحقيقة سيان ، وأن حوريات البحر والخيول المجنحة هي خير مرآة لما يدور في خلد الانسان .

وإلى هذه الحركة يرجع الفضل كذلك في أول محاولة جدية لخلق أسطورة جديدة يلتقي فيها الواقع بالخرافة ، والظاهر بالباطن ، والحكمة بالجنون ، والأوج بالحضيض ، والحياة بالموت ، حتى تصبح مبعث نور والهام للنفوس الولهى المتعطشة التي تتاهبتها في هذا العصر شتى عوامل الحيرة والشك والقلق .

غير أن هذه الأحلام والأشواق بالرغم مما أشعلته من مواقد لاتطفأ لم تستطع أن تصمد مع ذلك أمام تلك الوساوس التي أصبحت بمثابة عصب الوعي الحديث وقوته اليومي . وهكذا عاد الانسان وجهاً لوجه أمام طلاسم الكون ، لكأنه قد عاد إلى حيث كان في فجر الخليقة قبل أن يبتدع الأساطير التي تضفي على هذه الأشياء مغزى ومدلولاً .

وهكذا لم يعد في وسع الفنان ذي الوعي في هذا العصر أن يصطنع لنفسه بيتاً بين أحضان طبيعة فقدت في نظره شفافيتها . ولا أن يقنع بالحياة في إطار زائف من الأشكال الهندسية المنسقة ، أو المجازات المستعارة ... ولذلك نراه يعمد الآن إلى تفجير هذه الأشكال عله يعثر تحت الأنقاض على مادة الوجود الأولية وقسماته الخفية . (٩)

إن الوساوس التي أصبحت بمثابة عصب الوعي الحديث وقوته اليومي ، هي غربة الانسان في مجتمعه ... وهكذا كان تفجير الأشكال والبحث تحت الأنقاض هو مضمون وموضوع أعمال رمسيس يونان التجريدية الأخيرة . فكانت لوحاته طوال سبع سنوات هي :

« مزيج من الرؤى والمجردات تتخللها أشكال ذات عروق أو فجوات ترتع في رحاب الحدس وتنشر ظلالها البللورية على الفراغ الذي يخلق للتو فجيعة الشعور بالغربة . » (١٠)

وامتلأت هذه اللوحات ، بعالم لوني خصيب من مياه وصخور ونبات وبقايا من كل الأشياء التي تتحرك وتنمو في هذا الكون الكبير الذي يعيش فيه الانسان ... الكون كله بسمائه وصحرائه وغيومه ومدنه وكائناته جميعاً في التراكم المنظم للكائنات ... » . (١١)

أما ألوانه فقد وصفها الناقد « ديمتري دياكوميدس » بأنها : « تتميز بشفافيتها وتنغيمها الموسيقي وتسبح لوحاته المعمارية البناء في جو غريب تسوده أضواء ذهبية وكأننا بازاء قصور سحرية أو كواكب في سبيل التكوين أو سحب متقدة . »

وهكذا تشابهت لوحات الفنان فيما يتعلق بعطائها للمتذوق طوال سبع سنوات من التفرغ حتى لتغني رؤية بعضها عن مشاهدة الباقي ، ذلك لأنها كانت تعزف نغماً واحداً ، وإن اختلفت أطوال الأوتار في كل عمل .

أما الفنان صاحب هذه الأعمال فكان يرى أن :

« في كل لوحة عنصران جوهريان ... قد نسميهما القالب والمضمون ، أو النظام والخيال ، أو العقل والعاطفة ، أو الحكمة والوجدان ... ونفضل نحن أن نسميهما العنصر المعماري والعنصر الغنائي .

وقد يكون « المعمار » جليلاً شامخاً كالهياكل والجبال ، أو حلزونياً كالزوابع والاعاصير ، أو رشيقاً مرهفاً كالسيقان والأغصان ، أو ملتوياً متسلقاً كاللهب المندفع .. ولكن لايمكن أن يخلو منه عمل فني إلا إنهار وتفتت .

وقد يكون « الغناء » رصيناً رزيناً كما في الفن الكلاسيكي ، أو عاطفياً شجياً كما في الفن الرومانتيكي ، أو مترنماً طروباً كما في الفن السيريالي ... ولكن لايمكن أن يخلو منه عمل فني إلا وحكم عليه بالعقم والإجداب .

ولابد من العشق كي تتحقق هذه المعجزة ، فبدونه لايكون الرسام فناناً ، وانما مجرد « صانع صور » لاتنطق ولا تنبض . (١٢)

وهكذا اقتصرت لوحاته على المعمار والغناء وكلاهما عنصران شكليان .. وهذا الموقف الرافض للموضوع الدارج ، والانصراف كلية عن المضمون إلى الشكل هو الترجمة العملية للموقف الذي ظهر في محاولة إحياء تقاليد جماعة « الفن والحرية » تحت اسم « نحو المجهول » .

وقد كانت هذه المحاولة تمثل موقفاً غير منسجم مع الواقع الاجتماعي في مصر مع نهاية الخمسينات وبداية الستينات . وفي حين كانت جماعة الفن والحرية رغم كل شيء — ايجابية الهدف ، قصدت إلى تحطيم المنطق وبدء البناء من جديد ، وعبرت عن ضياع الانسان وغربته في المجتمع المادي ، وأوضحت قلق الشباب إزاء الأحداث العالمية العنيفة في أعوام الحرب ، ترى أن « نحو المجهول » عام ١٩٥٨ كانت تعبر عن لون من العزلة عن الأحداث والضياع وفقدان الطريق . ولهذا لم تعمر طويلاً وسرعان ماتفتت .

وقد شارك رمسيس يونان بأعماله التجريدية في معارض الفنانين المتفرغين بمتحف الفن الحديث وقصر المانسترلي ثم قاعة الفنون الجميلة بالغرفة التجارية من ١٩٦١ — ١٩٦٦ ، وعرضت بعض أعماله في بينالي « سان باولو » بالبرازيل عام ١٩٦١ ، ثم في معرض جماعي ببلغراد عام ١٩٦٢ .. ثم أقام معرضاً شاملاً لأعماله في قاعة الفنون الجميلة في يونيو ١٩٦٣ .. وفي عام ١٩٦٤ شارك في جناح الجمهورية العربية المتحدة بمعرض بينالي فينسيا الدولي .

وكان الهدف من الاشتراك في هذه الدورة هو محاولة تمثيل أكبر عدد من الاتجاهات الحديثة الموجودة .. وقد احترقت لوحتان من أعمال هذه المرحلة في حريق مسرح الجيب حيث كانتا مثبتتين هناك .

أزمتان

تعرض رمسيس يونان بعد حصوله على التفرغ لأزمتين حادتين : الأولى كانت في النصف الأول من عام ١٩٦٤ ، والثانية قبل وفاته بشهور .

فقد وقع في حبائل « مقلب » صحفي خشن ، قام به بعض محرري مجلة « آخر ساعة » ، عندما عرضوا عليه وعلى أربعة فنانين تجريديين آخرين معظمهم من المتفرغين — رسوماً في إحدى المجلات الانجليزية لقرد مدرب على تقديم الألعاب في تليفزيون لندن وأوهموهم بأنها من رسم « بابلو بيكاسو » ثم نشروا الصور مع كل كلمة قيلت حول هذه الرسوم . وكان رمسيس يونان هو الوحيد من بين الفنانين الخمسة الذي تصدى للدفاع عما قاله من رأي حول هذه الرسوم قبل أن يعرف أنها من رسم قرد . ونشر رده في مقال طويل بجريدة « الجمهورية » حاول فيه توضيح التشابه بين رسوم القرود والمجانين من جهة ، وما يعرف بالفن الحركي أو الفن الاوتوماتيكي أو الفن الصادر عن اللاوعي ، من جهة أخرى .

وأحدثت هذه الواقعة ضجة وسخرية في

جميع الأوساط أدت إلى الالتفات لما يدور في إدارة التفرغ . وكانت من الأسباب غير المباشرة إلى تعديل لجانه بعد عام ونصف عام من هذه الواقعة .

وكان التشكيل الموسع للجنة التفرغ للفنانين بعد التعديل تضم ممثلين للفريقين اللذين كانا يتنازعان الحركة الفنية منذ أكثر من ثلاثين عاماً .. قطب يتزعمه حامد سعيد وقطب يضم راغب عياد ثم فريق في الوسط .

واختلف القطبان وظهر اتجاه إلى تعديل لائحة التفرغ . وكان من المسائل المختلف عليها مسألة تجديد تفرغ رمسيس يونان . وكانت هذه هي الأزمة الثانية ، فقد استمر رمسيس يونان شهوراً بلا مرتب في انتظار حسم الموقف .

وظهرت بعض أشكال الصراع على صفحات الصحف .. وأخيراً اتفقت اللجنة على تجديد تفرغ رمسيس يونان للترجمة بدلاً من التصوير الزيتي .. حيث قام بترجمة ٨٦ صفحة من كتاب أندريه مالرو .. ولكن قلمه جف قبل أن يتمه . وكان أكفأ من يستطيع النهوض بهذا العمل .

رمسيس يونان .. ناقداً

إن نشاط رمسيس يونان كناقد ومترجم للأفكار والمذاهب الفنية في الغرب قد طبعت نقده بطابع خاص . وكان دوره في الترجمة والنقد هو أكثر جوانب نشاطه تأثيراً وفعالية في مجتمعه .. ويكفي ماقاله الفنان محمود سعيد عنه « إنه الناقد التشكيلي الوحيد الذي يعرف مادته . »

لقد بذل رمسيس يونان جهداً عنيفاً في دراسة تاريخ الفن وقراءة ماكتبه النقاد السابقون والمعاصرون . وكان دائم التطلع إلى التيارات الفكرية العالمية متتبعاً لها بأنفاس مبهورة . كما أكسبته الممارسة الفنية قدرة هائلة على امتصاص المعلومات حول الفن بل تعداها إلى الفلسفة وفنون التعبير جميعاً .

وقد اتصلت مجهوداته في النقد والترجمة لتبرير وتدعيم اتجاهه الفني وتقديم الفنانين الأوربيين المجددين وعرض أحدث الآراء النقدية والنظريات الفنية ومناقشتها .. ولكن من السهل على القارئ أن يستخلص المعلومات الخالصة من بين هذه الوجوه المحددة من النظرة وأن يتعرف بدقة على الاتجاهات الحديثة من خلال كتابات ناقد واسع الثقافة متعاطف مع هذه الاتجاهات .

وهكذا شهدنا كتاباته النقدية في جريدة « الشعب » ومجلة « المجلة » ثم « الكاتب » و « الهلال » و « الفكر المعاصر » و « دائرة معارف الأهرام » وملحق الجمعة لجريدة « الأهرام » ونشرات المعارض ..

وفي تقديمه للفنانين الأوربيين كان يركز على مايؤيد وجهات نظره فيقول عن « رمبرانت » : « ذلك أن أهم ما يعبر عنه في رمبرانت في مرحلته الثانية إنما هو الحركة النفسية الخفية من وراء الصمت العميق الذي أصبح يخيم على لوحاته ويسمها بطابع الجلال . » (١٣)

وفي مقالة عن الجريكو يقول :

« وفي سبيل هذا التعبير الروحاني العارم لم يتحرج الجريكو عن تحريف صور الأجسام ولا عن الخروج على قواعد المنظور ، فقد كان يطيل الأجسام إطالة شديدة ، ويلوي عضلاتها وأطرافها لياً ، ولايراعي البتة منطق الرؤية العادية في وضع الشخصيات في فراغ اللوحة . » (١٤)

وقد أوضح رمسيس يونان آراءه في مقال « أصول النقد التشكيلي » : « إن النقد ينبغي أن يكون موضوعياً . غير أن هذا « العالم الآخر » الذي هو الأثر الفني ، ليس « شيئاً » ولا « فكرة » ، فهو لايدرك إلا إذا استحال وجداناً . ومن ثم فلا مفر فيما يبدو من أن يصبح النقد في نهاية الأمر ذاتياً . »

« إن الناقد الفني الذي يؤبه به ليس بالأمر اليسير ، وإنما الانزلاق في النقد هو الأمر الهين ... ومما يضاعف من صعوبة هذا النقد فيما يتعلق بالفن الحديث ، إن حضارتنا الراهنة ــ على خلاف جميع الحضارات التي تقدمتنا ــ لم تستطع أن تصطنع لنفسها كوناً نطمئن إليه . ومانسميه بالطراز في الفنون السابقة لم ينشأ إلا استناداً إلى كون معين .

ولذلك فإن الفن الحديث ، وإن كان قد خلق تيارات عدة واتسم بلهجة تميزه ، إلا أنه لم يصل إلى خلق طراز يحدد قوالبه . » (١٥)

وهكذا كان رمسيس يونان واحداً من أهم نقاد الفن التشكيلي صادقاً مع نفسه في كل كلمة يقولها وتميز بتركيب ذهني متكامل فكان فنه ونقده يصدران من موقف واضح محدد .

صبحي الشاروني

هوامش :

(١) عن كتاب « ٥٠ سنة من الفن » لرشدي اسكندر وكمال الملاخ ــ نشر دار المعارف بمصر ــ صفحة ٦٣ .

(٢) عن دراسة ليوسف الشاروني بعنوان « اللامعقول في أدبنا المعاصر » ــ مجلة « المجلة » العدد ٩٦ شهر ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٤ .

(٣) مجلة التطور ــ العدد الأول ــ يناير ١٩٤٠ .

(٤) مجلة التطور ــ العدد الثالث ــ مارس ١٩٤٠

(٥) مجلة التطور ــ العدد الخامس ــ مايو ١٩٤٠

(٦) المجلة الجديدة ــ العدد ٤٢ الصادر في ٢٨ مايو ١٩٤٢

(٧) د . لويس عوض من مقاله « كان رائداً شجاعاً » عدد الجمعة من جريدة الأهرام ١٩٦٦/١٢/٣٠

(٨) نشرة معرض « نحو المجهول » ١٩٥٨

(٩) نشرة معرض « المجهول لايزال » ١٩٥٩

(١٠) فؤاد كامل ــ من كلمته المنشورة في كتالوج معرض رمسيس يونان بقاعة الفنون الجميلة بمبنى الغرفة التجارية بالقاهرة عام ١٩٦٣

(١١) توفيق حنا ــ من كلمته في نفس المرجع السابق .

(١٢) مجلة المجلة عدد شهر يوليو ١٩٥٧

(١٣) مجلة الهلال عدد شهر أكتوبر ١٩٦٥

(١٤) مجلة الهلال عدد شهر يونيو ١٩٦٦

(١٥) مجلة الفكر المعاصر عدد شهر ديسمبر ١٩٦٦

● عشر سنوات من الهجرة إلى باريس

● عندما طردت السلطات الفرنسية رمسيس يونان من عمله بالإذاعة لرفضه قراءة بيانات العدوان الثلاثي

● رسومات فترد تخلق أزمة عنيفة وتثير ردود فعل قاسية وساخرة

● مات الفنان في الثالثة والخمسين تحت تأثير الهجوم عليه والتردد في تجديد تفرغه

محمود الورداني
فنـان علـى الطريـق

« كنت أواري جثث الجنود مقابر الشهداء ، وكانت أشياؤهم الصغيرة تبقى ، سجاير ، قروش ، قصيدة زجل ، خطاب ، كانت تتحول أمامي إلى أنهار من الوجع المالح وأنا أقوم بإثباتها في السجلات ، كنت مدركاً أنني أشارك في الجريمة بإخفاء معالمها ، فالمعركة كانت لتحريك القضية ، ولم تكن حرباً للتحرير .

تلك كانت مواجهتي الحادة مع الموت . من قبل لم أحس إلا بأقدامه الثقيلة تدوس سنوات عمري باليتم ، فقد مات أبي وأنا لم أتجاوز الثالثة من عمري .

كان « محمود الورداني » يحكي . وكنت أصغي وأنا أتابع ملامحه المغسولة بالشجن ، عندما لقيته أول مرة ظننته أخي .. أو صديقا قديما باعدت بيني وبينه ساحات قاحلة موشومة بقلق الانتظار .

يحكي لكم « الورداني » وأنا معكم أصغي :

• بعد وفاة والدي انتقلت وشقيقي الأكبر للحياة مع عمتي لتخفيف العبء عن أمي التي بقيت مع أخي الأصغر في بيتنا القديم بشبرا .

• كان زوج عمتي يمتلك مكتبة تحوي عدداً كبيراً من الروايات المترجمة وأعداد الرسالة والرواية . كان يكتب الشعر ، لكني كرهت حياتي الجديدة بقوانينها الصارمة . كنت أفتقد أمي التي أصبحت كالحلم الذي قد يتحقق أو لا يتحقق . فكثرت مشاكلي مع نفسي ومع الدنيا بأسرها ، زاد من تعقيدها إلتحاق أخي الأكبر بمدرسة الموسيقى الداخلية بحلوان ، « كنا بنتحمل سوا » فعدت وحيداً .

• كنت ألبس بالطو جماعة الإسعاف ــ في المرحلة الابتدائية ــ واقرأ الخطب العصماء التي كان يكتبها مدرس اللغة العربية في المناسبات الخاصة .

• اكتشفت ــ في المرحلة الاعدادية ــ أن القراءة كانت بالنسبة لي احتياجاً حقيقياً . قرأت تولستوى ، هيمنغواي ، جوركي ــ الذي اكتشفت بعد ذلك انه كاتب « على قد حاله » ــ ، العقاد ، طه حسين ، نجيب محفوظ ، يحيى حقي ، و .. قرأت « الزحف الطويل » لسيمون دي بوفوار وقمت بتلخيصها بناء على طلب أمين المكتبة ، وقد نشره بمجلة المكتبة .

• مع أمي واجهنا ظروفاً صعبة ، لكني كنت راضياً ، اشتركت في دار الكتب التي عرفتني على روائع تشيكوف ، وبدأت أكتب أزجالاً في أفريقيا الثائرة .

• أصبت بلوثة روحية ــ في أولى ثانوي ــ بلغت حد التطرف ، استمرت عاماً . بعدها اكتشفت « أنني مصعب الدنيا على نفسي » فعدت كما كنت .

• عمل أخي الأكبر « عبد العظيم » بمجلة الإذاعة والتليفزيون ، كان قصاصاً ومترجماً ، عن طريقه توالى دخول أهم المجلات والدوريات والكتب والسلاسل ، وأصبح بيتنا مفتوحاً لكل أصدقائه ، يحيى الطاهر الذى أقام معنا عامين وقد تأثرت به ، كما تأثرت باثنين من شعراء العامية : أسامة الغزولي ونجيب شهاب الدين .

• في تلك المرحلة قرأت أهم مجموعة قصصية في حياتي « القاهرة » لعلاء الديب ، وحفظت قصائد السياب ، كما قرأت حجازي ، عبد الصبور ، ودنقل ، ويوسف إدريس وقد أحببته وكذلك « حيطان عالية » لإدوار الخراط التي تأثرت بها .

• بدأت كتابة القصة وأنا في المرحلة الثانوية ، و.. في عام ٦٨ ، ذهبت للقاء الكاتب الفنان عبد الفتاح الجمل الذي كان يشرف على ملحق جريدة المساء الأدبي الشهير ، فلم أجده ، فتركت له قصتي ، وفوجئت بعد يومين بنشرها . ذهبت لأشكره فرفض أن يصدق أنني كاتبها ، فقد كنت في الثامنة عشرة ــ مواليد ١٩٥٠ ــ وكنت أيضاً أبدو أصغر من ذلك ، فظن أنني أخدعه ، فانهال عليّ بالشتائم على طريقته الخاصة ، وبعد أن تأكد من حقيقتي أصبحنا أصدقاء حتى اليوم ، ومن الأمانة أن أقول إنه أعظم إنسان عرفته في حياتي لما يتمتع به من إحساس بالغ الصدق ونكران للذات ، وقدرة عجيبة على التعامل مع الكتاب وأمانته . هناك « عبد الفتاح » واحد في حياتنا نحن الكتاب لن يتكرر أبداً ، وقد نشر لي معظم ما كتبته ، ولن أبالغ إذا قلت إنه « أجمل الكائنات !! » التي عرفتها !

• فاجأتني « جاليري ٦٨ » التي كان يشرف عليها الروائي القدير إدوار الخراط بكتابات جديدة اقنعتني بأنه من الممكن التعبير عن همومنا ببساطة دون تعقيد .

انتهى عام تخرجي من معهد الخدمة الاجتماعية ــ ١٩٧٢ ــ بالاعتصام الشهير بجامعة القاهرة ، الذي كان سبباً في دخولي السجن ــ لأول مرة ــ لمدة أسبوع مع ألف طالب ، وأنا أدين لتلك التجربة بالكثير ، فقد أدركت أن الاحساس الوطني من الممكن أن يتحول إلى موقف .

• بعد انتهاء فترة التجنيد عام ٧٥ ، عينت إخصائيا اجتماعيا في بني سويف . وحدثت أحداث ١٨ ــ ١٩ يناير ، فصدر أمر باعتقالي .



محمود الورداني

لكني هربت حتى هدأت الأمور وعدت لمزاولة عملي.

• صدر قرار بنقلي للعمل في الواحات عام ٧٧ ، رفضت تنفيذه ، تزوجت عام ٧٨ فاضطررت إلى الموافقة . سافرت مع زوجتي للعمل في الواحات وعشنا في بيت تدخله العقارب ولا تدخله الشمس . ولأول مرة في تاريخ تلك المنطقة يصدر قرار باعتقال مواطن وزوجته ــ ١٩٨٠ ــ ومكثنا في السجن ستة أشهر.

• توقفت عن الكتابة منذ عام ٧٦ حتى أواخر عام ٧٨ . اكتشفت أن الكتابة عمل غير مجد في مواجهة التغييرات الخطيرة المتلاحقة السريعة في حياة مصر. لقد أصبحنا تلقائيا ضد كل ما يحدث . لأن ما يحدث كان ضد كل كاتب يحترم قلمه ، وتلك كانت أنبل معارك الكتاب في مصر.

• عدت الى عملي في القاهرة بعد اغتيال السادات ، ثم اعتقالي وزوجتي من جديد ، وأفرج عنا بعد شهرين ، ومنذ ذلك التاريخ انتهت تجربتي مع السجن.

• اكتشفت أن الكتابة فيها جزء من عدم الخوف . الخوف من الاقتراب من موضوعات كنت أظن أن الفن عليه أن لا يقترب منها خشية السقوط في براثن الإعلانات السياسية المباشرة . ربما لأني لم أقرأ عملا أدبيا سياسيا راقيا ، لذلك فقد جاء تسجيلي لتجربة السجن متأخرا في روايتي « نوبة رجوع » التي بدأت كتابتها أواخر عام ٧٨ ، وفرغت منها عام ٨٥ ، وستصدر العام القادم.

• « السير في الحديقة ليلاً » كانت معدة للنشر عام ٧٦ ، لكن الظروف لم تساعد على إصدارها إلا عام ٨٤ ، وصدرت « النجوم العالية » عام ٨٥.

• الكتاب الجيدون قلة ، وكتاباتهم أقل . نحن نفتقد المجلة الثقافية المميزة في مستواها ومحتواها . و .. النقد عاجز عن مواكبتنا . عدا الجهود الجادة التي يبذلها على الراعي ، ادوار الخراط ، فاروق عبد القادر ، لكنهم من المستحيل أن يشكلوا تيارا نقديا محددا.

• ما حدث في « الأتيليه » كان مفاجأة مذهلة لجميع الذين عرفوا عبد الحكيم قاسم مهتما بكتاباتي ، ومحتفيا بها على صفحات المجلات . فلقد وقف بشكل مسرحي استعراضي وتحدث في البداية عن نفسه طويلاً ، وبدأ حديثه عن النجوم العالية من منطلق « إحساس حاقد » كما قال بالحرف . وقد ظن الجميع أنه يمزح . لكن اتضح العكس . وقال : ان الجيل الذي سبق كابس على نفسه والجيل الذي يليه أثبت وجوده ، وهو « حيضيع بين الرجلين » وبدأ بتشريح ثلاث قصص من بين اثنتي عشرة قصة بشكل عدواني أثبت أنه لم يقرأ المجموعة كلها . لقد نجح « عبد الحكيم » بأن يزرع في نفسي الاحساس بالضيق من أن تكون هذه صورة التعامل بين كاتب وكاتب . ولكن حتماً لم ينجح في إحباطي.

• شعراء السبعينات يمشون بخطى واثقة مطمئنة نحو طريق مسدود ، أميزهم ، أحمد طه ، حلمى سالم ، عبد المنعم رمضان ، ولكني أخشى عليهم الطرق المسدودة.

• أبرز ما قرأت من الأعمال المصرية في السنوات الأخيرة : الحرافيش ، مالك الحزين لأصلان ، بيروت ــ بيروت لصنع الله ، « قالت ضحى » لبهاء طاهر ، الزيني بركات للغيطاني ، ومن الروايات القصيرة « محطة السكة الحديد » للخراط ، « الوتر » لخيرى شلبي ، « أيام المطر » للعادلي ، « سبيل الشخص » لعبده حبيب . أما المجموعات القصصية : الضحى العالي لأبورية ، الآتى للمخزنجي ، وحكايات الأمير ليحيى الطاهر.

شـــــهادات

١ ــ د . القط : « والحق أن هذه اللغة التي شغف بها « الورداني » وجيله من الكتاب تقف وسطا بين أساليب العامية والفصحى ، ولا يدرى القارىء كيف يستقبل إيماءاتها . إذ يمتزج فيها البيان العربي الفصيح ببعض تراكيب اللغة العامية امتزاجاً يثير القلق ، ويبقى بعد كل ذلك تساؤل عن طبيعة تلك القصص وإلى أي مدى يمكن أن ينجح هذا الأسلوب الفني ليصبح تياراً كبيراً من تيارات القصة القصيرة التي يغرى اطارها غير المحدود بكثير من المغامرات الفنية ».

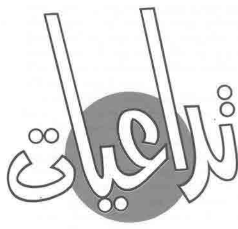
٢ ــ د . الراعي : « عليه أن يفطن إلى حقيقة قدراته وإلى الطبيعة العميقة لفنه ، وهذه جميعاً تضعه في جانب الواقعية المتعددة الألوان ، وعلى رأس هذه القدرات إنعطافه الشديد إلى الناس ، وقدرته على العيش معهم ، ونقل حيواتهم البسيطة إلى أشكال فنية يسهل تلقيها ».

٣ ــ فاروق عبد القادر : « يجهد في أن يشق لنفسه طريقاً مميزاً . لا يقلد أحداً ، ولا يتشبه بأحد . تمثل أفضل انجازات الجيل السابق عليه (خاصة أعمال ابراهيم أصلان وبهاء طاهر) وانني أزعم أنه قطع في هذا الطريق خطى واسعة ، فأصبحت أعماله دالة عليه . وليس هذا بالشيء اليسير».

٤ ــ خيرى شلبى : « لا نبالغ إذا قلنا انه يقف في طليعة كتاب السبعينات ، إذ هو من أنضج الأصوات التي هتفت بمضمون جديد يعكس حساسية جديدة للواقع العربى خلال هذه السنوات الأخيرة من القرن العشرين ».

٥ ــ « ألزم الورداني نفسه على الا يقحم نفسه على القارىء بالتوجيه أو التفسير . لقد أودع قصصه كل أسراره وعلى القارىء أن يتأملها دون تدخل منه » محمود عبد الوهاب ».

٦ ــ جلال السيد : يبدأ أحيانا بالجزئيات الصغيرة التى لا يقف عندها أحد ومن الجزئيات المتناثرة بأشكالها وألوانها وحركة الأشخاص يكون الصورة ومن الدوائر الصغيرة التى يتابعها ويرصد حركتها واتساعها يصل الى قمة المأساة.



شعر: حسن طلب

— ١ —

أضحكُ حتى يتجمَّعَ دمعي الساخنُ في دلتا أحزاني
أتأوَّهُ حتى تحتبسَ الأنفاسْ
أتنهدُ حتى تنفجر الرئةُ الحُبلى بشهيق الوَحْشة :
أو بزفير الإيناسْ

أتبسَّمُ حتى ينفطر الوجدانُ ،
وحتى يلدَ الإحساسُ الإحساسْ
أتوجعُ حتى يتقيأ جلدى العرقَ الباردْ
لكنَّ الناسْ
تمضي ...
لا تأبهُ بالطين المصبوب على شفتي
أتلوَّى ..
أصرخُ ..
يامنْ يُبعدُ عنى هذا الوسْواسْ !

— ٢ —

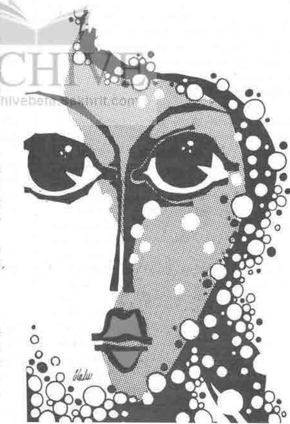
من أبواب المجهول إلى عينيك ،
وبالعكسْ
كانتْ أولى رِحلاتي
أتحرّشُ فيها بالزمن العارى من كلِّ صُنوفِ الإغراءْ
أتشمَّمُ
أكثرَ مما يمكنُ أن تتسمَّعَ نفْسْ

— ٣ —

حينَ عجزْنا عن أن نصلَ الأوقاتَ ببعضْ
قسَّمنا الوقتَ إلى فتراتٍ خمسْ :
الأولى : يتملَّى فيها كلٌّ منَّا الآخرْ
والثانية : نجرِّبُ فيها لغةَ الهمْسْ
والثالثة ..
الرابعة ..
انتبهي ياصاحبتي
فالحاضرُ مازال جنيناً في رَحم الأمسْ !

— ٤ —

ولأنَّ عيوني تعرفُ كيف تُجيدُ اللمسْ
عزفتْ كفِّي عن أنْ تتحسَّسَ فيك مثاراتِ الإغراءْ
عافتكِ أناملُها الخمسْ
ولأنكِ يا واحةَ أشجاني
حطَّمتِ القمقمْ
عرَّيتِ البئرْ







كسرتِ البيضةَ قبلَ أوانِ الفقسْ
يبستْ فى عينيكِ جميعُ معانى الأشياءْ
وتجسّدَ لى طيفُكِ فى هيئةِ خنزيرٍ
مقطوعِ الرأسْ !

— ٥ —

نحنُ سقطنا من أبراجِ النحسْ
نحن أكلْنا من مأدُبةِ الحزنِ
شربنا من ينبوعِ البُؤسْ
نحن نقشنا فى طينِ الأرضِ —
بطينِ الأرضِ —
ملاحمَ نارٍ للشّعراءِ وأبناءِ الشمسْ
هل من أحدٍ يستوعبُ هذا الدرسْ ؟!

— ٦ —

إذ ينقطعُ الخيطُ الواصلُ ما بين الرغبةِ والإحساسْ
تتكشّفُ منكِ أمامى كلُّ تفاصيلِ النوعِ الواحدِ .
كلُّ صفاتِ الأجناسْ
يتساوى فيكِ الظاهرُ بالباطنِ .
والناتىءُ بالغائرِ .
والميّتُ بالحسّاسْ

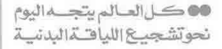
يتمثّلُ لى شعرُكِ فى هيئةِ أعشابٍ بريّةْ
يتجسّدُ لى طيفُكِ فى هيئةِ نسّناسْ !

— ٧ —

أحلُمُ بالأفقِ المفقودِ .
وبالجزرِ النعسانةِ فى خلجانِ الشرقِ ..
على ثبجِ البحرِ الناعسْ
يحملُنى زورقُها النشوانُ ..
إلى حيثُ أعانقُ إشراقاتِ الإحساساتِ البكْرِ ..
وأغرقُ فى نهرِ النورِ المتجانسْ
أحلُمُ ... ...
لكنْ ياضيعةَ أحلامى ..
إذ يُجْهِضُها إحساسٌ كابٍ
يخنُقُ فيها النورَ شعورٌ دامسْ !

— ٨ —

لا بأسْ
فصحارَى الحبِّ الممدودةُ ما بينَ النارِ
وبينَ الفردوسْ
تسكنُها الأشباحُ وتعمُرُها الجنُّ ..
ولكنْ قدْ ينتصرُ الإنسْ
قد ينتصرُ الإنسْ !





بقلم : الدكتور عبد الله الباكر

منذ أوائل الستينات شهد العالم تحولاً كبيراً في الاهتمام باللياقة البدنية ، كمقوم من مقومات الحياة الصحية ، فبعد أن كانت التمارين والتدريبات الرياضية مقصورة ـ الى حد ما ـ على المتنافسين من المحترفين أو الهواة ، أفاق الناس على مجموعات كبيرة في البلدان الأمريكية والأوربية تركض في الشوارع هنا وهناك ، وتتجه الى مختلف المنشآت والمؤسسات والنوادي التي انتشرت في كافة المدن .

وإذا كانت تلك البلدان قد بدأت بأعداد قليلة من ممارسي الرياضة في البداية قد تصل الى العشرات أو المئات في المدن الكبرى ، فإن الذين يمارسون التمارين من أجل اللياقة في أي بلد متقدم دخلوا في خانة عشرات الملايين الآن .

إن هذا الاهتمام الذي اطلق عليه ثورة اللياقة وهوس الرياضة وانطلاقها وغير ذلك من العبارات ، لم يكن على مستوى الأفراد بل تعداه الى المؤسسات الحكومية والخاصة والمصانع والشركات ، حتى أن أمريكا أنشأت «المجلس الرئاسي للياقة البدنية والرياضة» Pepfs كمجلس استشاري لتقدير النصائح التي من شأنها تدعيم البرامج التثقيفية الخاصة باللياقة البدنية .

إن الأمر لم يقتصر على الدول المتقدمة لكنه امتد أخيراً الى عالمنا وبدأت تظهر في شوارعنا ومتنزهاتنا ونوادينا مجموعات من المهتمين باللياقة . والغالبية منهم من المثقفين . وهاهي منظمة الصحة العالمية ترفع شعار : «الحياة الصحية فوز للجميع» ، وذلك بمناسبة يوم الصحة العالمي في ابريل ١٩٨٦ . وهي تنطلق من قناعتها بضرورة الاهتمام بالأصحاء وتوجيههم الى ضرورة صيانة صحتهم والمحافظة عليها واضعة أهدافا إيجابية لتحقيق ذلك . وأول هذه الأهداف هو اللياقة عن طريق النشاط والتمارين البدنية الحيوية .

برنامج رياضي

من هنا يتضح أن رفع الأثقال أو تنمية عضلات الجسم أو الرياضة الاستاتيكية بشكل عام يمكن أن تظهر كمال أجسامنا . ولكننا لسنا بالضرورة أحسن صحياً !

إذن فالمطلوب للوصول إلى اللياقة أن تكون التمارين من النوع الديناميكي الهوائي المثل المتكرر، الذي يزداد تدريجياً في الشدة والقوة والمدة والتأقلم والاحتمال .. وهذا النوع يعرف بتمارين الجلد Endurance ويرتبط هذا النوع من التمارين «الهوائية» بالدكتور «كوبر» حيث اعتمدت فكرته على زيادة القدرة على توصيل الأوكسجين الذي تحتاجه الأنسجة عن طريق زيادة فعالية ونشاط القلب والرئتين لمدة من الزمن كافية لإحداث التغيرات المفيدة في الجسم.

وقد استعمل «كوبر» الرياضات المختلفة كالمشي والركض البطيء والسباحة وركوب الدراجات وكرة اليد والسلة والاسكواش ضمن برنامجه المعروف الذي طبقه على مجموعة كبيرة من الضباط والطيارين ورواد الفضاء في سلاح الجو الأمريكي منذ سنة ١٩٦٨ . هذا البرنامج ماهو إلا نوع من المنافسة الفردية بين المتمرن وبين مستويات وضعها «كوبر» للنشاطات والتمارين المختلفة وعلى أساسها يبدأ النشاط ـ وبشكل منتظم ـ حتى يصل إلى مستوى جيد من الأداء لتتحقق به اللياقة البدنية المطلوبة.

وتتلخص طريقة «كوبر» في التالي :

«إذا كان عمرك ٣٥ عاماً أو أقل من ذلك وأردت التعرف على درجة كفاءتك الجسدية، يمكن القيام بتجربة الاثنتي عشرة دقيقة شريطة أن لا تكون مصاباً بمعضلة صحية».

«إذا كنت تبلغ أكثر من ٣٥ عاماً ولكنك تمارس الرياضة بانتظام، بمعدل ثلاث مرات أسبوعياً، لمدة لا تقل عن ستة أسابيع يمكنك اتباع نفس التجربة كأنك في سن ٣٥ أو دون ذلك».

«أما إذا كان عمرك يزيد عن ٣٥ عاماً ولا تمارس الرياضة بانتظام فانك لاتحتاج لتجربة نفسك وإنما عليك أن تبدأ في التمرين من المرحلة الأولى، أي الضعيف جداً».

ولكي تطبق هذه التجربة على نفسك، عليك ملاحظة التالي :

المسافة التي تقطعها في ١٢ دقيقة	درجة الكفاءة
أقل من ميل	(١) ضعيف جدا
١ ـ ١٫٢٤ ميل	(٢) ضعيف
١٫٢٥ ـ ١٫٤٩ ميل	(٣) حسن
١٫٥ ـ ١٫٧٤	(٤) جيد
١٫٧٥ وأكثر	(٥) ممتاز

ومن جدول الرياضة لمختلف درجات الكفاءة ينصح بالتالي :

(١) ضعيف جداً : في الأسبوع الأول يقطع ميلاً واحداً مشياً أو ركضاً خلال ١٣٫٥ دقيقة يومياً خمس مرات في الأسبوع لمدة ستة عشر اسبوعاً.

(٢) ضعيف : نفس الشيء ولكن لمدة ١٣ أسبوعاً فقط.

(٣) حسن : نفس الشيء ولكن لمدة عشرة أسابيع.

(٤) و(٥) جيد وممتاز : يقطع ميلا واحداً خلال ٨ دقائق فقط ست مرات أسبوعياً وبشكل عام فإن درجة الكفاءة عند الدرجتين الرابعة والخامسة جيدة وتحتاج مواصلة التمرين بإحدى الطرق التالية :

(أ) يقطع ميلاً واحداً في ٨ دقائق ست مرات أسبوعياً.

(ب) يقطع ميلاً ونصف في أقل من ١٢ دقيقة أربع مرات أسبوعياً.

(جـ) يقطع ثلاثة أميال في أقل من ١٦ دقيقة ثلاث مرات أسبوعياً.

هذا بالنسبة للمشي أو الركض، أما بالنسبة للسباحة فينصح بالتالي :

(١) ضعيف جداً : يقطع مسافة ١٠٠ ياردة سباحة خلال ٢٫٥ دقيقة خمس مرات في الأسبوع يزيدها إلى ١٠٠٠ ياردة في ٢٥ دقيقة لمدة ستة عشر أسبوعاً.

(٢) ضعيف : نفس الشيء لمدة ثلاثة عشر أسبوعاً.

(٣) حسن : يسبح ٢٠٠ ياردة في أربع دقائق يزيدها إلى ١٠٠٠ ياردة خلال ٢٢ دقيقة لمدة عشرة أسابيع.

(٤، ٥) ـ جيد وممتاز : يسبح ٢٠٠ ياردة في أربع دقائق يزيدها لمسافة ١٠٠٠ ياردة في ٢١ دقيقة لمدة عشرة أسابيع.

التمارين الرياضية والقلب

ولكن ماهي علاقة التمارين الرياضية واللياقة بالصحة؟..

بداية نتحدث عن علاقتها بالقلب وأمراضه والشرايين.

القلب هو أهم الأعضاء التي تتأثر بالتمارين لدفع أكبر كمية من الدم إلى العضلات، ويتم ذلك بزيادة ضخ الدم «من ٥ ـ ٢٠ لترا في الدقيقة». هذه الزيادة تعتمد أساساً على الزيادة في سرعة ضربات القلب التي قد تصل إلى ٣٠٠٪. وهذه التغيرات توفر كمية من الأوكسجين إلى العضلات تعادل ثلاثة أضعاف المعدل. والمعروف أن الزيادة القصوى في ضربات القلب تعتمد على احتياطي القلب الذي يرتبط بالسن والجدول رقم (١) يبين الحد الأعلى والأدنى لضربات القلب حتى يكون التمرين مفيداً، حسب السن، مع ملاحظة عدم تخطي الحدود النهائية. وعموماً يمكن تقدير سرعة القلب القصوى للفرد بطرح عمره من الرقم «٢٢٠».. وعلى كل فإن استمرار التمرين وانتظامه بالطرق المختلفة «الهوائية» يؤدي إلى تأقلم قلب المتمرن ويظهر ذلك في شكل التغيرات الموجودة في الجدول رقم «٢» الذي يبين الفرق في بعض القياسات قبل وبعد التمرين مع متسابقي الماراثون.

المهم أن المتدربين بعد هذا التأقلم يستطيعون ضخ كمية أكبر من الدم بضربات قلب أقل سرعة من غير المدربين وأن سرعة النبض غالباً ماتكون أبطأ في الرياضيين من غيرهم أثناء الحياة العادية حيث تصل في بعض الأحيان من ٤٠ ـ ٥٠ ضربة في الدقيقة عند ذوي اللياقة العالية. فهذا التأقلم في القلب يساعد على التأقلم في حركة العضلة حيث

أصبح العالم كله يهتم اليوم بالرياضة واللياقة





يؤدي إلى زيادة القوة ، الجَلَد ، قابلية الانثناء والسرعة ، وهذه جميعاً تمكن المتدرب من أداء النشاط البدني بأقل جهد ، ويعرف هذا المستوى بتأثير التدريب .

إذن ماعلاقة التمرينات بأمراض القلب ؟

ترتبط التمرينات بالوقاية من مرض الشريان التاجي والوفاة بسببه ، وترتبط أيضاً بالتأهيل بعد الإصابة به .

والوقاية الأولية من مرض الشريان التاجي والوفاة بسببه ، اتضح أنه بالرغم من تعدد الدراسات واختلاف علاقاتها إلا أنها جميعاً تبين أن التمرين التطبعي المستمر يقلل من خطورة الاصابة بأمراض القلب والوفاة بشكل واضح إذا ماقورن بالحياة الخاملة التي تشكل خطراً مستقلاً واضحاً .

ومن هذه الدراسات الهامة تشتهر دراسات ـ موريس J. Morris من لندن الذي اهتم بهذه القضية منذ عام ١٩٥٣ حتى الآن ، فقد وجد في إحدى الدراسات أن «الكمسارية» في الباصات ذات الطابقين يعيشون أطول من السواقين ، وأن نسبة الوفيات من أمراض القلب فيهم أقل ، ووجد أيضاً في دراسة أخرى أن موزعي البريد المتجولين أقل إصابة بأمراض القلب من موظفي البريد الآخرين ، وفي دراسة كبيرة على ١٧،٩٤٤ من موظفي «الياقات البيضاء» ولمدة تسع سنوات وجد أن الذين كانوا يزاولون الرياضة القوية حدثت بينهم ٣،١٪ واقعة للاحتشاء القلبي بينما حدثت ٦،٩٪ واقعة من الاحتشاء القلبي في زملائهم الخاملين !

أما أهم الدراسات التي أجريت في أمريكا ، فهي دراسات بفبرجر Paffeperger استاذ الوبائيات في جامعة ستانفورد الذي أنهى أخيراً دراسة كبيرة على ١٧٠٠٠ رجل من خريجي جامعة هارفرد والذين كانت أعمارهم بين ٣٥ ـ ٧٤ سنة والذين تمت متابعتهم لأكثر من ١٦ عاماً ، حيث وجد أن الفرق في الحياة كان ١،٥ ـ ٢ سنة بين النشيطين وغير النشيطين ، وأن الذين صرفوا مايقرب من ألفي سعر حراري زيادة عن المعدل على نشاطهم البدني أقل عرضة لخطر الوفاة من جميع الأسباب بـ ٢٨٪ من الذين صرفوا أقل من ٥٠٠ سعر حراري . أما الذين تبين أن صرفهم كان أكثر من ٣٠٠٠ سعر حراري وكانت

العمر	الحد الأدنى لضربات القلب في الدقيقة لتحصل الفائدة في التمرين	الحد الأعلى لضربات القلب في الدقيقة لتجنب التمارين المرهقة
٢٠ ـ ٢٥	١٤٠	١٦٧
٢٦ ـ ٣٠	١٣٤	١٦٣
٣١ ـ ٣٥	١٣١	١٥٩
٣٦ ـ ٤٠	١٢٧	١٥٥
٤١ ـ ٤٥	١٢٤	١٥٠
٤٦ ـ ٥٠	١٢٠	١٤٦
٥١ ـ ٥٥	١١٧	١٤٢
٥٦ ـ ٦٠	١١٣	١٣٨
٦١ ـ ٦٥	١١٠	١٣٣
٦٦ ـ ٧٠	١٠٦	١٢٩

الحد الأدنى والحد الأعلى لضربات القلب

بعض القياسات المتعلقة بالقلب والأوعية الدموية قبل وبعد التمرينات الرياضية

المقاييس	قبل التمرين	بعد التمرين	الماراثون الدولي
● عدد ضربات القلب/الدقيقة في حالة الراحة	٧١	٥٩	٣٦
● عدد ضربات القلب القصوى بالدقيقة	١٨٥	١٨٣	١٧٤
● كمية الدم التي يضخها القلب بالضربة في حالة الراحة بالملتر	٦٥	٨٠	١٢٥
● الكمية القصوى التي يضخها القلب بالضربة بالملتر	١٢٠	١٤٠	٢٠٠
● الكمية التي يضخها القلب في حالة الراحة ملتر/دقيقة	٤،٦	٤،٧	٤،٥
● الكمية القصوى التي يضخها القلب بالدقيقة/ملتر	٢٢،٢	٢٥،٦	٣٤،٨
● ضغط الدم الانقباضي في حالة الراحة بالملمتر زئبق	١٣٥	١٣٠	١٢٠
● الضغط الأقصى الانقباضي بالملمتر زئبق	٢١٠	٢٠٥	٢١٠
● ضغط الدم الانبساطي في حالة الراحة بالملمتر زئبق	٧٨	٧٦	٦٥
● الحد الأقصى للضغط الانبساطي بالملمتر زئبق	٨٢	٨٠	٦٥

نشاطاتهم البدنية عالية المستوى ، فإن خطورة الوفاة النسبية كانت أقل من ٥٠٪ بالنسبة لهم ، مقارنة بالأقل نشاطاً .. ولقد وجد أيضاً أن الرجال تحت الدراسة إذا امتنعوا عن التدخين فإن الخطورة تقل إلى النصف في كل من الثلاثة أنشطة المذكورة أعلاه .

أما بالنسبة للتأهيل بعد الاصابة أو الوقاية الثانوية من أمراض القلب الاحتشائية ، فمنذ عام ١٩٧٠ وفكرة التأهيل عن طريق التحريك المبكر بعد احتشاء عضلة القلب والتدريب بالتمارين البدنية حسب برامج مدروسة ومنتظمة ، تحظى بالاستحسان والقبول ..

هذه البرامج إلى جانب إحداثها للتحسن الفسيولوجي والعرضي فإنها مأمونة الجوانب ، ولقد استعرض الدكتور ، هاسكل ، مدير برنامج التأهيل القلبي بجامعة ستانفورد ثلاثين برنامجاً للتأهيل فوجد حالة تعقيدية واحدة وحادثة وفاة واحدة لكل ٤٣٦٧٣ و ١١٦٤٠٢ ساعات من المرضى في المشتركين على التوالي respectively .

وفي هذا الصدد ــ أيضاً ــ أصدر المشروع الوطني للتمارين وأمراض القلب تقريراً عن نتائج تجربته العشوائية في ثلاث سنوات على ٦٥٠ من الرجال عاشوا بعد احتشاء عضلة القلب : فوجد أن نسبة الوفاة ٧.٣٪ ونسبة الاصابة بالاحتشاء مرة أخرى ٧٪ في مجموعة الضبط بينما هي ٤.٦٪ و٥.٣٪ على التوالي في مجموعة التمارين .

التمرينات وارتفاع الضغط

وهناك اعتقاد في الوسط العلمي بأن التمارين البدنية تقلل من نسبة الاصابة بارتفاع الضغط سواء بالتأثير المباشر أو بالتأثير على العوامل الخطرة الأخرى كالسمنة مثلاً بشكل غير مباشر . فلقد وجد بفيبرجر في دراسته على ١٥٠٠٠ شخص أن المجموعة غير النشطة أكثر استعداداً لخطورة الإصابة بارتفاع الضغط وبنسبة ٣٥٪ زيادة عن المجموعة النشطة ، كما وجد الدكتور بلير S. N. Blair في دراسة حديثة على أكثر من ٦٠٠٠ من الأشخاص الأصحاء أن الذين لديهم لياقة هابطة معرضون لخطر الاصابة بالضغط العالي أكثر من اللائقين صحياً .

أما بالنسبة للمرضى بارتفاع الضغط ، وبالذات النوع الأساسي الخفيف ، فإن الكثير من الدراسات بينت أن هناك فائدة مرجوة من مزاولة التمارين على الضغط ، وصحيح أن الانخفاض كان قليلاً إلا أن نتائجه جيدة . فالمهم في ذلك هو الاستمرار في التمارين من نوع المتساوي التوتر Isotonic لأن الضغط يعود إلى ماكان عليه عند التوقف عن التمارين . وقد أجريت بعض تلك الدراسات على مرضى يستعملون العقاقير ــ أيضاً ــ فكان للتمرين أثر على ذلك ، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن بعض العقاقير تؤثر على الأداء ؛ ولابد من استشارة الطبيب .

التمارين وأمراض الشرايين

يعتقد البعض بأن التمارين تمنع حدوث التصلب العصيدي Atherosclerosis في الشرايين ، إلا أنه ليس من الواضح كيف يحدث ذلك . ولربما يكون بسبب تأثيرات التمارين الأخرى سواء على الدهون أو على التجلط وحركة الدم ، إلا أن دراسة قيمة نشرت مؤخراً وقام بها الدكتور كرامش ، على مجموعتين من القردة لمدة ثلاثة أعوام ونصف ، كان يدربها لمدة ساعة كل يوم تدريباً معتدلاً ، وقارنها بمجموعتين لاتتدرب ، وأعطى الجميع إما طعاماً تخريشياً يحدث العصائد (زبدة وبيض وغيره) أو طعاماً عادياً ، فاتضح أن :

الشرايين التاجية في القردة ذوي الطعام الخاص والخاملة حدث فيها تصلب عصيدي واضح .

• الشرايين التاجية في القردة ذوي الطعام الخاص والتي تتمرن حدث فيها تصلب عصيدي أقل بكثير من الأولى .

• الشريان التاجي الأيسر كان أكثر اتساعاً في القردة التي تزاول الرياضة عن الخاملة بغض النظر عن طريقة تغذيتها .

• وتعتبر هذه الدراسة أول دراسة مباشرة من نوعها على الحيوان ، وقد يكون لها ولنتائجها أثر كبير على تقدم الأبحاث في توضيح التأثير الصحي للتمارين على الجهاز الدوري .

الرياضة والدم والدهون

لوحظ أنه كلما زادت كفاءة التدريب وزاد جلده ، زادت سيولة دمه وقلت لزوجته ، وربما يعتبر ذلك سبباً كافياً لدعوة الناس للتمرين ، هذا إلى جانب ماذكرته الدراسات من تغيرات أخرى أهمها :

• أن التمارين تزيد من قدرة الدم على تحليل مادة الليفين (الفايبرين) مما يساعد على منع الجلطة .

• تؤدي الرياضة القوية إلى زيادة الصفائح الدموية ، ولكنها لاتزيد من قدرة التصاقها . بل على العكس وجد أن تمارين الجلد ولمدة طويلة تقلل من قدرتها على الالتصاق .

وقد لوحظ ــ فقط ــ أن بعض الرياضيين يشكون من فقر الدم ويسمى « بفقر الدم الكاذب » حيث حاولت أكثر الدراسات أن تجد مبرراً لذلك ، ووضعت مختلف التفسيرات إلا أن أكثرها احتمالاً أن يكون السبب زيادة حجم البلازما .

وتعتبر زيادة الدهون في مختلف أشكالها عاملاً خطراً مستقلاً من عوامل الإصابة بأمراض القلب والشرايين ، وتلعب الرياضة دوراً فعالاً في منع ذلك بسبب تأثيرها على أنواع معينة من الدهون ، وبالذات الكلسترول . ولقد أصبح من الأمور الثابتة في أغلب الدراسات أن التمارين ترفع من نسبة الدهون الزلالية عالية الكثافة المصاحبة للكلسترول بسبب تأخير تكسرها وتدميرها لتقوم بالمهمة على الوجه الأكمل . وبالذات النوع HDL_c منه والذي يعرف أن وجوده يتناسب عكسياً مع خطورة الإصابة بمرض الشريان التاجي ويعرف باسم « الطيب » حيث أنه يحمل الكلسترول الخطر إلى الكبد للتخلص منه بمختلف الأشكال المعروفة . أما النوع « المضر » فيعرف باسم (LDL_C) وهي الدهون الزلالية القليلة الكثافة التي تترسب مع الكلسترول في خلايا الأوعية وتحدث المرض .

ولقد ذهب الدكتور هاسكل إلى أبعد من ذلك في القول انه بغض النظر عن مستوى (LDL_c) فإن نسبة ارتفاع أو انخفاض (HDL_2) هي التي تحدد زيادة خطورة الإصابة بالمرض من عدمها .

تخفيف الوزن

إن الذين يقومون بالتمارين الهوائية يحرقون كمية من المواد الغذائية لإصدار الطاقة التي تحرك العضلات ــ والتي تتكون بالنسبة للعضلة وحسب شدة التمرين ــ من الأحماض الدهنية التي في العضلة أو خارجها ، وجلايكوجين العضلة ، وأخيراً في الحالات الشديدة ان وجد جلوكوز الدم .

يتضح إذن أن هناك احتراقاً للشحوم أثناء التمارين ، التي إذا لم تعوض سواء بنفس الكمية أو بأكثر عن طريق الأكل أو أننا قللنا منها ومن تغذيتنا عموماً ، فنحن بذلك قد استعملنا التمارين من أجل التخسيس ، ويعتبر هذا أحسن اسلوب لتخفيف الوزن ــ بغض النظر عن المدة التي يستغرقها ــ لأننا بهذا الأسلوب نفقد الشحم والكتل الشحمية المشوهة ، ولكننا نحافظ بل ونبني العضلات التي تعطينا المنظر الجميل بعكس الحمية الشديدة فقط بدون رياضة ، إذ أنها تؤدي إلى فقدان جزء من الكم العضلي أثناء ذلك إلى جانب الشحوم .

هذا ما وضحه الدكتور وود (P. wood) في دراسة حديثة على مجموعة للتخفيف بالتغذية وأخرى للتخفيف بالتمارين ، وحيث أثبت في نهاية دراسته أن نسبة (HDL) ارتفعت في كلتا الحالتين وكان (HDL_2) أعلى في مجموعة التخفيف بالتمارين .

التمارين والجهاز التنفسي

إن السعة الكبيرة والاحتياطي الضخم في الجهاز التنفسي يساعد كثيراً ، حيث أن التمرين الهوائي ماهو إلا زيادة كمية الأكسجين مع زيادة وسرعة توصيله إلى الأنسجة والقدرة على استهلاك الكمية القصوى منه . لذلك فإن

رصيد الرياضة

الرئة أثناء التمرين تزداد جميع نسبها لتغطي هذا الاحتياج وهي لاتحتاج للتأقلم على ذلك . فالتمارين لها دور مهم في بعض أمراض الجهاز التنفسي وفي تدريب بعض المرضى الذين يعانون من انسداد الجهاز التنفسي .

الفوائد النفسية

هناك دلالات كثيرة على تأثير الحركة على العقل . كما أنه يمكننا اعتبار تأثير الجسم على العقل في نفس مستوى تأثير العقل على الجسم ، وبما أن التوتر قد يكون نفسياً أو جسمانياً فإن علاجه قد يتأتى بوساطة طرق علاج نفسية أوجسمانية .

إن لاكتساب المهارات البدنية والقوة الجسمانية أثر كبير في التقليل من القلق النفسي .

أما من الناحية الفسيولوجية فانه من المعروف أن ممارسة الرياضة باستمرار يدفع المخ بافراز بعض الهرمونات (إندورفين) التي تساعد على شعور الفرد بالارتخاء والرضا عن النفس . وهذه الحقيقة هي السبب وراء اللجوء إلى تشجيع بعض المرضى النفسيين الذين يعانون من القلق والاكتئاب على ممارسة الجري .

من ناحية أخرى فإن تأثير الرياضة على بعض الوظائف العصبية يؤدي بالتالي إلى إزالة القلق والاكتئاب النفسي .

حركة العضلات والعظام

التمرين في أساسه يقوم على حركة العضلات في مختلف أجزاء الجسم . ومع مرور الوقت عندما تتعود العضلة على مقاومة خمولها والشد فيها وتتأقلم للأوضاع الجديدة ويرتفع مستوى أدائها وتزداد تحملها وجلدها وتزداد كمية تدفق الدم فيها . ومعه تزداد كمية الأوكسجين التي تستخرج منه . ويختلف هذا التأثير باختلاف عمل العضلة فإذا كان العمل متساوي القياس Isometric work حيث الانقباض العضلي مصحوباً بزيادة في التوتر دون أن يصاحبه زيادة في طول الألياف فإن هذا يؤدي إلى بناء قوة العضلة ويزيد من حجمها . وغالباً مايكون هذا لاهوائي . ومن أمثلته تمارين الضغط باليد في حمل شيء ثقيل أو دفع جسم ثابت . وتعرف هذه بالأعمال « الاستاتيكية » وهي تصلح لبناء اللياقة لوحدها وقد تفيد الرياضيين المتنافسين ولاينصح باستعمالها لمرضى القلب لأنها ترفع الضغط أثناء التمرين أما إذا كان العمل متساوي التوتر حيث الانقباض مصحوباً بتعصر الألياف العضلية مع زيادة طفيفة في التوتر ، فإن هذا يؤدي إلى زيادة قدرة العضلة على التحمل والجلد والانتاج . ومثال ذلك السباحة والجري والمشي وركوب الدراجة والاسكواش وكرة السلة . وغالباً مايكون هذا العمل « هوائياً » ، ويصلح كأساس للياقة ، وضمن برامج الرياضة للعلاج . إذ أنه لن يرفع الضغط بل على العكس من ذلك .

أما بالنسبة للعظام فإنه يتضح أن التمارين تزيد من كثافة العظام . ولهذا دور كبير بالنسبة لتقدم السن لأن العظام تقل كثافتها فتضعف وتصبح قابلة للكسر وبالذات في النساء بسبب استمرار فقدان الكالسيوم . ولقد بينت الدراسات في هذا الخصوص أن العظم المستعمل أكثر هو الأكثر كثافة واحتفاظاً بالكالسيوم . لذلك فإن التمارين التي تستدعي تحريك أكثر أعضاء الجسم تؤدي إلى توزيع الكثافة على مختلف العظام .

التمارين وجهاز المناعة

هناك اعتقاد بأن التمارين تقوى جهاز المناعة وهذه التقوية لها دور في الحياة الصحية اللازمة للتربية البدنية . فلقد وجد أن التمارين الرياضية تؤدي إلى زيادة مؤقتة في عدد كرات الدم البيضاء خاصة المتعلقة منها بمقاومة الالتهابات « الخلايا الليمفاوية والخلايا الحبيبية » ولقد أظهرت دراستان حديثتان أن التمرينات تؤدي إلى زيادة المواد الداخلية المسببة للحمى في الدم Pyrogens الذي يشابه تماماً مادة الانترليوكين (١) الذي تنتجه الكرات أحادية الخلية ليشجع عمل الخلايا الليمفاوية ، ولاتزال الدراسات في هذا المضمار تحتاج إلى المزيد من الايضاح . ولكن المهم أن الذين يصابون بالتهابات فيروسية عامة ومنها الانفلونزا يجب أن يتقطعوا عن التمرين مؤقتاً ، لأن بعض الدراسات على الحيوانات أظهرت زيادة الحالة سوءاً عند التمرين !



إن أي رياضة في أساسها تقوم على حركة العضلات في مختلف أجزاء الجسم .

التمارين وكبار السن

يقول الدكتور « توماس كورتون » أبو اللياقة البدنية إنه من غير التمرين المستمر بدون توقف لمدة ٣٠ دقيقة على الأقل يومياً تصل النساء إلى قمة لياقتهن في سن الرابعة عشرة ، ويبدأن في الانحدار في الثاني والعشرين من عمرهن . ويصل الرجال إلى قمة لياقتهم في سن السابعة عشرة ، ويبدأون الانحدار في سن السادسة والعشرين . وعلى ذلك فإننا نرى أنه إذا كانت التمارين تحدث التأثيرات التي ذكرناها سابقاً وتأقلم غالبية أعضائنا وتسهل لنا استعمال الاحتياطي منها . فلا بد إذن أن تكون للتمارين واللياقة البدنية دور في تأخير الشيخوخة وزيادة العمر المتوقع . صحيح أنه لاتوجد دراسات مستقبلية عن هذه العلاقة على الانسان . إلا أن الدراسات المختبرية على الفئران وجدت أن حدود عمرها يزداد ، وكذلك عمرها المتوقع عندما تبدأ التمارين في بداية حياتها . وتكون النتيجة أحسن عندما يرافق ذلك تدخل في تغذيتها بتقليل السعرات الحرارية للتمارين البدنية إلى جانب تأثيرها المذكور في استعمالات أخرى . وعلى سبيل المثال منها استعمالها في علاج مرضى السكر . حيث



يتعرض لاعبو كرة القدم أكثر من غيرهم لحدوث الاصابات

كانت تستعمل منذ قديم الزمان في مرض (السكر) الذى يحدث في البالغين والمصحوب بالسمنة واستعمالاتها في برامج رعاية الأمومة وأثناء الحمل . حتى أن الموقف العلمي الحالى يشجع استمرار التمارين المعتدلة على أنها مأمونة بالنسبة للنساء المتعودات عليها ، اذا كان حملهن بدون تعقيدات . أما دور التمارين في تأهيل المصابين من مختلف الفئات وفي مراكز العلاج الطبيعي وإعادتهم إلى مزاولة حياتهم وممارساتهم الطبيعية فأمر معروف .

تعقيدات التمارين الرياضية

مادامت الدعوة قائمة والاتجاه إلى اللياقة من خلال التمارين البدنية ، فإن توقع حدوث بعض الإصابات أمر ضرورى لأن غالبية الإصابات بالإمكان منع حدوثها إن لم يكن جميعها ، إذ أنها تحدث إما لأسباب شخصية يدخل فيها سوء الاستعمال أولأسباب تتعلق بالأدوات المستعملة من ملابس وآلات وغيرها ، ويمكن إجمال الإصابات التي غالباً ماتكون طفيفة في إصابات الجلد والأربطة والعضلات والاوتار والمفاصل والعظام ، أضف إلى ذلك الاجهاد الحراري وضربات الحرارة في البلدان الحارة والبرودة لدرجة التجمد في البلدان الباردة .

الوفاة الفجائية

يبقى بعد ذلك أن نتحدث عن الوفاة الفجائية ، إذ أنها كثير التردد في تكوين الكثيرين عند دعوتهم للتمارين البدنية ، وبالرغم من أنها ليست شائعة إلا أن حدوثها يعتبر نوعاً من التراجيديا في عالم الرياضة . وإذا استثنينا الذين يموتون بالإصابات في الرأس أو بسبب تناول العقاقير أو انفجار الأوعية بسبب خلل ولادي فإن القليل الباقي سبب وفاتهم هو القلب !

وفي هؤلاء وجد أن ٩٠٪ منهم لديهم أمراض قلبية أصلاً أو من الذين فيهم عوامل الخطورة بالإصابة كبيرة ، أو أن لديهم أعراضاً ولكنها كانت مهملة أوهناك تغاضياً عنها بقصد المنافسة والتحدي لتحقيق إنجاز أفضل ، أو بسبب عدم معرفة أعراض الأمراض أو إدراك خطورتها حتى أن التشريح في هؤلاء لايظهر شيئاً كاحتشاء عضلة القلب أو انسداد الشرايين ، ويفترض أن يكون اللاإنتظام هو السبب في الوفاة . كذلك فإن الأمراض الخلقية عند الشباب ، لها دور في الموت المفاجئ ، وقد يكون احتمال إصابة عضلة القلب بالتهابات « فيروسياً » سبباً أيضاً ، وتعزى أحياناً وفاة البعض بغير أسباب واضحة إلى متلازمة القلب الذى زاد تعرضه للضغوط Over stressed Heart Syndrome

إن جميع تلك التعقيدات قليلة الحدوث ، والوقاية منها ممكنة إذا أخذنا الحيطة والحذر واستعملنا الأسلوب والبرنامج الرياضي المناسب وقمنا به بتعقل وبدون إفراط مع الاستشارات الطبية الملائمة ومع معرفة أعراض الأمراض الخطرة والإلمام بها .

إن التمارين الرياضية لم تعد من أجل اللياقة أوالرياضة الترفيهية المحصورة على طلبة المدارس ، يؤدونها أثناء حصة التربية البدنية ، بل أصبحت هواية مئات الملايين ، على طول الدنيا وعرضها .

وعندما أراك تنظر إلى ساعتك بعد عناء يوم شاق طويل ، وتستأذن بلطف من الجالسين معك ، وتترك وراءك على المكتب مايحمله من أوراق وملفات . أتخيلك قد انتظمت في برنامجك المفضل للتمرين . وأخذت ساعة بعيداً عن كل شيء ، ليتقابل جسمك وعقلك في خلوة . فإنني أقول لك :

« هاأنت الآن على طريق الصحة والحيوية ، فسر بعزم ولاتتردد ، لأن استمرارك في التمارين هو الذي يوفر لك اللياقة ، التي ستكون رصيدك الذي يجعلك تصل إلى القرن الواحد والعشرين » ان شاء الله .

عبدالله الباكر

طرائف شرقية وغربية

عملة واحدة

قال الطبيب للمريض بعدما فحصه : أنت مريض بالايحاء الذاتي ، وماعليك إلا أن تقول : أنا شفيت ، فتشفى فعلاً .

فشكره المريض وهمَّ بالخروج من العيادة ، لكن الطبيب استوقفه وطلب منه أجرة المعاينة ، فقال له المريض :

ـ وأنت ياحكيم ماعليك إلا أن تقول لقد قبضت ، لقد قبضت ، لقد قبضت ، حتى تقتنع بأنك قد قبضت فعلاً !!

أربعة لايلحق غبارهم

قال ابن سيار : الملوك عيال على عمر إذا ساس ، والفقهاء عيال على أبي حنيفة إذا قاس ، والمحدثون عيال على أحمد بن حنبل إذا أسند ، والبلغاء عيال على الجاحظ إذا أعرب .

جواب مفحم

حضر أشعب مرة مائدة بعض الأغنياء ، فقدم للآكلين جديا مشويا ، فجعل أشعب يسرع في أكله منه ، فقال له المضيف :

ـ أراك تأكله بحرد كأن أمه نطحتك ...

فقال أشعب :

ـ أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك !

وا أسفاه ... ياسيدي

كان الموسيقار الروسي الكبير تشايكوفسكي في زيارة لباريس ، وكان على موعد مع أحد كبار الموسيقيين الباريسيين ولكن هذا جاء متأخراً عن موعده بيوم كامل وأخذ يعتذر لتشايكوفسكي قائلاً :

ـ أعذرني ياسيدي ، فقد توفيت زوجتي بالأمس ...

ورد تشايكوفسكي في تأثر عميق :

ـ وا أسفاه ياسيدي ...

ثم أخذ يكرر وا أسفاه ياسيدي ، وا أسفاه ياسيدي ... وأغلق عينيه وهو ينقر بأصبعه على الكرسي الذي جلس عليه وإذا بوا أسفاه ياسيدي تتحول إلى نغم موسيقي !

من القلب إلى المعدة

قيل لرجل من الأعراب : « مابال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ » فأجاب بقوله : « نعم ، كان الحب بالأمس في القلب فانتقل اليوم إلى المعدة ! »

الأمر ليس بالسن

قدم على عمر بن عبدالعزيز وفد من العراق فنظر إلى شاب منهم يريد الكلام قبل غيره وقال :

ـ فليتكلم أكبركم ..

فقال الفتى : يا أمير المؤمنين ، إن الأمر ليس بالسن ، ولو كان كذلك لكان في المسلمين من هو أسن منك ..

قال عمر : ـ صدقت ، فتكلم ..!

الصديق الصالح

من حكم ذي النون المصري قوله : « عليك بصحبة من تذكرك الله رؤيته ، وتقع هيبته على باطنك ، ويزيد في عملك منطقه ، ويزهدك في الدنيا عمله ، ولا تعص الله تعالى مادمت في قربه ، يعظك بلسان فعله ، ولا يعظك بلسان قوله » .

أربع خصال للتوكل

سئل حاتم الأصم : على أي شيء بنيت أمرك في التوكل ؟

فقال : على خصال أربع ، علمت أن رزقي لايأكله غيري ، فاطمأنت به نفسي ، وعلمت أن عملي لايعمله غيري فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره ، وعلمت أني لاأخلو من عين الله تعالى حيث كنت فأنا أستحيي منه » .

عمر والقضاء

عين أبوبكر الصديق رضي الله عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضياً على المدينة .. فمكث سنة لم يفتح جلسة واحدة .. ولم يختصم إليه اثنان ... فذهب يطلب من أبي بكر إعفاءه من منصب القضاء ، فقال له أبوبكر الصديق : أمن مشقة القضاء تطلب الإعفاء ؟

قال عمر بن الخطاب : لاياخليفة رسول الله ، ولكن لاحاجة بي عند قوم مؤمنين ، عرف كل منهم ماله من حق ، فلم يطلب أكثر منه .. وما عليه من واجب فلم يقصر في أدائه .. أحب كل منهم لغيره مايحب لنفسه .. إذا غاب أحدهم تفقدوه .. وإذا مرض عادوه .. وإذا افتقر أعانوه .. وإذا احتاج ساعدوه .. وإذا أصيب واسوه .. دينهم النصيحة .. وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

السبب الخامس

سئل طلبة إحدى مدارس الطب أن يذكروا خمسة أسباب ، تجعل لبن الأم أفضل للطفل من اللبن الصناعي .. فكتب أحدهم : ١ ـ لأنه أسرع في الوصول ، ٢ ـ لأنه أنظف ٣ ـ لأنه أكثر أمناً ، ولا تستطيع القطة الوصول إليه ، ٤ ـ لأن الحصول عليه سهل أثناء السفر ، ٥ ـ لأنه يأتي في أوعية أكثر جمالاً من أوعية اللبن الصناعي !!

من كلمات العقاد

• المصلح : شخص يصر على أن يكون ضميره هاديا لك ومرشداً في الحياة !

• لا أحب الكتب لأنني زاهد في الحياة ، ولكني أحب الكتب لأن حياة واحدة لا تكفيني !

• ما أسهل الواجب لو كان معروفاً !

• من الناس رجال للبيع والايجار وفي الناس رجال للتضحية والايثار !

• النفس الحرة المريدة .. هي أعز موجود .. وأعز مفقود !

• آفة الشهرة أنها تخلق السيئات كما تخلق الحسنات !

• الموسر أقدر على التسلية والمعسر أقدر على الفكاهة !

• لا أطيق التواضع الكاذب : فهو رياء في المتكلم .. وهو نفاق في السامع !

• اسمى درجات الايمان : أن تصل ـ بالعقل ـ إلى معرفة الله .

عبقرية الموسيقى

ذهب غلام إلى الموسيقي العظيم « موزار » وسأله ماذا يفعل لكي يؤلف سيمفونية ؟

فقال موزار : إنك مازلت صغيراً يابني ، فلم لاتبدأ بتأليف ألحان بسيطة ؟!

فقال الفتى : ولكنك ألفت سيمفونيات حين كنت في العاشرة !

فقال موزار : نعم ، ولكنني لم أسأل كيف أؤلفها !

أين ينفع المال ؟

عندما لايحسن الانسان استعمال المال الذي يملكه يكون قد وضع حجراً ثقيلاً في عنقه . فالمال بذاته بدون حياة ، مجدب ، غير عامل . ولكن الانسان بشجاعته وحسن تخيلاته وحكمته يستعمله خادماً يغيث الملهوف ويقيت الجائع ويشفي المريض ويحيل الصحارى إلى واحات ويجلب السرور والسعادة إلى النفس . (من مذكرات جون روكفلر)

بعض الناس

بعض الناس كالبحر الميت ، يأخذون ولا يعطون ! فكما أن البحر الميت لاتعيش فيه الأسماك لملوحته الشديدة ، هكذا بعض الناس فهم يعيشون على الأخذ ، وهدف حياتهم انما هو خدمة الذات ، أما العطاء والبذل والمشاركة فهي من خصائص ومميزات الذين عرفوا كيف يسعدون ويسعدون في الحياة .

سوانح

إن خوف الله وحده في قلوبنا هو الذي يحررنا من خوف الانسان (ويزربون)

ليست الشجاعة أن تقول كل ماتعتقد ، وإنما الشجاعة أن تعتقد كل ماتقول . (أرسطو)

لاتدع اليأس يتسرب إلى نفسك ، ولاتتكلم كمن فقد رجاءه بل تكلم واعمل وكأن إيمانك لايمكن أن يقهر . (هوايت)

لاشيء في الحياة غير نافع فكل شيء في مكانه جميل ، ومايبدو لافائدة فيه يسند غيره ويقويه . (شاعر أمريكي)

خمسة لاتصحبهم

يقول جعفر الصادق : إن صاحبت فصاحب الأخيار ، فإن الفجار صخرة لايتفجر ماؤها ، وشجرة لايخضر ورقها ، وأرض لاينبت عشبها .

ويتحدث - رضي الله عنه - عن صفات الأخيار والأشرار نقلاً عن والده الإمام محمد الباقر فيقول :

قال لي أبي : لاتصحبن خمسة ولاتتخذهم لك إخواناً .

قلت : من هم ؟

قال : الفاسق ، فإنه يبيعك بأكلة فما دونها .

قلت : وهل دون الأكلة شيء ؟

قال : نعم ، يطمع فيها ثم لاينالها .

ثم قال : والبخيل فإنه ينخذ لك بماله وأنت أحوج ماتكون إلى معونته .

والكذاب فإنه كالسراب ، يبعد عنك القريب ، ويدني البعيد . والأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك . وقاطع الرحم فإنه ملعون في كتاب الله .



• روى البيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي » .

• قال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه : « يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك » .

• قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله » .

• قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لاتتهاونوا بالحلف بالله فيهينكم الله » .

• قال أبوالحسن علي بن سهل الطبري : « التكلف يورث الخسارة » .

• قال ابن سيار : « اذكر دائماً تلوّن الأحوال » .

• قال أبوعيسى بن يحيى : لاتعب ولا تُهجّن كلاماً لابرهان لك على تهجينه » .

• قال بزرجمهر : « إذا كان الغدر في الناس طبعاً فالثقة بالناس عجزاً » .

• قال أبو الخطاب الصائبي : « خير الثياب مارق غزله وراق نسجه ولان مسه وطاب لبسه » .

• قال العنتري أبوالمؤيد : « الجاهل سكران ، لايفيق إلا بالمعرفة » .

• قال الامام الأوزاعي : « إذا أراد الله بقوم سوءاً أعطاهم الجدل ومنعهم العمل » .

• قال فضيل بن عياض لسفيان الثوري : « دلني على جليس أطمئن إليه » قال : « هيهات تلك ضالة لاتوجد » .

• قال أسعد الميهني : « أفضل الجود أن لايضن بالحقوق على أهلها » .

• قال المأمون : « الجود بذل الموجود ، والبخل سوء الظن بالمعبود » .

• قال أزد شير : أربعة تحتاج لأربعة . الحسب للأدب والسرور للأمن والقرابة للمودة والعقل للتجربة » .

• قال ابن المقفع : « لم أر ظالماً أشبه بالمظلوم ، من الحاسد ! » .

ثورة المعلومات في عصر الفضاء

بقلم : المهندس سعد شعبان



تعاظم شأن الإرسال المباشر من الأقمار الصناعية

إن هوة التخلف بين الدول المتقدمة والنامية تزداد عمقا واتساعا بمرور الزمن ، وليس من قبيل المغالاة القول بأن هوة التخلف أصبحت الآن حقيقة واقعة بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا من جانب ، واليابان وكثير من الدول الأوروبية من جانب آخر . ولن تمر غير بضع سنوات قليلة حتى تصبح أغلب أوروبا في عداد الدول النامية . ذلك أنه بعد أن بدأ عصر الفضاء منذ ما يقرب من ربع قرن ، فقد انفردت الدولتان الكبيرتان ، أمريكا وروسيا ، بحلبة الصراع في مجال الفضاء وحدهما ، ولا تستطيع الدول الأخرى مجاراتهما في هذا الميدان ، لأن تكاليفه باهظة ، وفوق قدرة هذه الدول . غير أن استخدامات الفضاء السلمية المعلنة ، قد أصبحت شاملة ومتعددة . ومن ثم فقد تبوأت تكنولوجيا الفضاء مكانة عجزت عن اللحاق بها التكنولوجيات الأخرى .

فقد انتقلت تكنولوجيا الفضاء من مرحلة البحث العلمي ، واستكشاف المجهول في أغوار الفضاء إلى مجالات تطبيق كثيرة . ويلعب الدور الأساسي في هذا المضمار سيل منهمر من الأقمار الصناعية بما حققته من ابداع في عالم الاتصالات . فالقمر الصناعي الواحد أصبح يغني عن آلاف الكيلو مترات من الكوابل التليفونية ، ويحقق تغطية شاملة وبثا تليفزيونيا واضحا لعديد من قنوات الاتصال المرئي تستطيع أن تغطي قارات بأكملها ، فضلا عن عدد آخر من قنوات الاتصال الاذاعي بما يغني عن مئات من محطات الارسال .

وأصبح للأقمار الصناعية اسهامات أخرى تجل عن الحصر ، منها الرصد الجوي للحصول على تنبؤات جوية دقيقة وطويلة



الحاسب الاليكتروني أصبح رساماً



صغرت الوحدات الاليكترونية إلى حدٍّ مذهل في عصر ثورة المعلومات ، وقد أسلم ذلك البشرية إلى نوع جديد من الوحدات الصغيرة التي تتحكم في حياة الإنسان

الأمد ، وتغطي رقعة أرضية شاسعة ــ فضلا عن المسح الجوى بالتصوير الدقيق المرئي الذى يفصح عن كل التفاصيل الطوبوغرافية فوق الأرض ، والتصوير الاشعاعى الذى يستعان به في اكتشاف المعادن والكنوز والآثار المطمورة تحت سطح الأرض إلى أعماق ليست بالهينة .

ولقد لعبت أقمار التصوير الفضائي دورا متعاظما في كافة ضروب التنمية ، بما توفره من امكانيات بشمول مساحة كبيرة ، وتوضيح تفاصيل دقيقة ، والغوص إلى أعماق كبيرة . بل لقد أصبحت تستطيع أن تعطى الدلائل عن وجود آبار البترول والمياه الجوفية . والكشف عن الأنهار القديمة والمطمورة تحت رمال الصحراوات .

ولذلك أخذت الأقمار الصناعية مكانها في كافة مجالات التنمية كالتوزيع السكانى بانتقاء أماكن التعمير وشق الطرق والقنوات .

■ أصبح للأقمار الصناعية إسهام في التنمية بقدر إسهامها في التجسس العسكري

■ الاستعمار والأمن القومي لهما مفهوم جديد في عصر ثورة المعلومات

■ الحواسب الإلكترونية تحكم الحياة في الولايات المتحدة بدءًا من الطب والزواج حتى اتخاذ القرار العسكري بإطلاق الصواريخ النووية

عصر الفضاء

ومكافحة الآفات الزراعية ورصد الظواهر النحر على الشواطىء وتحديد المساحات المنزرعة والقاحلة ، وتحديد الزحف العمراني . بل لقد تفرعت إلى تطبيقات أخرى جزئية ودقيقة مثل متابعة هجرة الحيوانات . وتحديد أماكن انتشار الآفات الزراعية في الغابات والحقول . وتصوير ومتابعة حركة بقع الزيت في المحيطات . بل لقد أصبحت هناك أقمار صناعية تقدم الخدمة الملاحية للبواخر في المحيطات والطائرات في الجو ، وأقمار أخرى تتعامل مع السيارات في حركتها على الطريق وأقمار أخرى تنقل صور الصحف عبر القارات لتصويرها في نفس وقت صدورها في قارة أخرى . وهناك مجالات أخرى عديدة بلغت حد إمكان رصد الزلازل من الفضاء ، وتنظيم مستوى المياه في الترع والقنوات ومتابعة هجرة الطيور . ورصد أماكن تجمعات أسراب الأسماك في المحيطات . كل ذلك أعطى تكنولوجيا الفضاء أبعادا تطبيقية جعلت مجالها من الاتساع إلى حد يكاد يشمل كل شيء في الحياة ، الأمر الذى ينذر بأن كل أنواع التكنولوجيا النمطية التي تعارف عليها العالم منذ بدء الثورة الصناعية في عصر النهضة الأوروبية ستصبح في خبر كان في أوائل القرن المقبل . ولو تطرقنا إلى الجانب العسكري من هذه التطبيقات فيمكن القول إنها تفوق كل التطبيقات المدنية بمراحل بل وتتعداها ، لأن الثابت أن أعمال التجسس من الفضاء أصبحت تهتك كل الأسرار سواء في الليل أو في النهار ، بفضل استخدام الأشعة تحت الحمراء ، واستخدام عدسات تصوير قوية الغاية هبطت بمعامل التمييز إلى حد رؤية تفاصيل كل المعالم الأرضية والتي تزيد أبعادها عن عشرة أمتار ، ومع وضوح تام في رؤية كل ما هو معدني أو تدخل المعادن في تكوينه .

ولكن هذا التقدم في تكنولوجيا الفضاء قاصر على أمريكا وروسيا وحدهما ، ومازالت أغلب الدول الأخرى تحاول اللحاق بهما في نطاق محدود لم يتعد نطاق المشاركة أو التباري الجزئي . ولم يستطع خوض غمار المباراة غير بعض الدول الأوروبية بقدر محدود ، وقليل من الدول النامية .

ثورة في عالم الحواسب

الذى لاشك فيه أن تكنولوجيا الفضاء قد أثرت على كثير من التكنولوجيات الأخرى وتفاعلت معها . ويقف على رأس هذه التكنولوجيات الالكترونيات ، وأهم استخداماتها الحواسب . ولقد بدى ذلك واضحا في تصغير كل المكونات الاليكترونية في الأجهزة حتى أصبحت في حجم صغير يعادل في سمكه ورقة ولا يزيد في طوله عن حشرة . ويؤدى ما كانت تؤديه أجهزة ضخمة الحجم . ولقد أدى ذلك إلى التقدم المذهل الذى حدث في تكنولوجيا الاتصالات ، الأمر الذى ينعت بأنه قد أحدث ثورة في فن جمع المعلومات مما يدفع الكثيرين إلى القول بأننا نعيش « عصر ثورة المعلومات » ويضرب المثل في هذا المجال باليابان التي صنعت تقدما مذهلا مازال يتطور يوما بعد يوم .

وحلبة الصراع العالمية بلغت أوجها في التنافس على امتلاك الأسواق العالمية في تعريف المنتجات الالكترونية سواء أجهزة الاتصالات أو الحواسب الالكترونية التي تطورت بصورة مذهلة وانتقلت من عدا انتاج الحواسب الكبيرة إلى انتاج الحواسب الصغيرة (الميني كومبيوتر) . ثم إلى انتاج الحواسب الصغيرة جدا (الميكروكومبيوتر) ثم انتقلت إلى (الحواسب الشخصية) التي يستخدمها شخص واحد .

وخلال السنوات الخمس الأخيرة سيطر انتشار الحواسب الالكترونية بشتى أنواعها على كافة أوجه الحياة في الولايات المتحدة . ما صغر منها وما كبر .

ويلمس ذلك كل زائر للولايات المتحدة منذ تطأ قدماه أرض المطار ، فالتأشيرات والمعلومات عن القادمين سواء من أجهزة الأمن أو الشرطة أو السفارات ترد عبر الحواسب ، واسم الراكب ورقم مقعده ونوع غذائه وموعد طائرته كذلك . وأي شخص يدخل محلا تجاريا أو فندقا أو مكانا عاما يجد لوحات النهايات المتصلة بالحواسب الاليكترونية أمام العاملين الذين يتعاملون معها في بساطة تتمثل في الضغط على الأزرار والنظر إلى شاشات تتدفق منها المعلومات في سهولة وغزارة ، وفي ثوان معدودة ، الأمر الذى جعل الحاسب الاليكتروني يشبه خاتم سليمان في أساطير العرب .. يؤمر فيطيع . وحسبك وانت تشترى أى شيء من أى محل كبير مهما كانت أهميته ومهما كان حجمه سواء كانت علبة سجائر أو قطعة حلوى أو قطعة ملابس أو قطعة صابون ، فإن خزينة تحصيل النقود في هذا المحل تسجل الثمن عبر الحاسب الالكتروني . ويقوم هو بخصم ضريبة الانتاج المستحقة على المشتروات في نفس الوقت ابلاغ مصلحة الضرائب عن نسبتها في الأرباح المحققة ، ويخصم ما بيع من رصيد مخزن الجملة ، ويبلغ المخزن الفرعي ليستعوضه . كل ذلك يتم دون أي تدخل بشرى ودون جلبة . وحركة أزرار نهايات الكومبيوتر كمثل أزرار ماكينات الطباعة ، وتظهر معلوماتها وبياناتها مطبوعة على أسطوانات من الورق المنزلق أو مكتوبة بحروف مقروءة فوق شاشات تليفزيونية . ولقد بدأت اليابان مؤخرا انتاج نهايات كومبيوتر يعمل بحروف اللغة العربية . وشاشات ، تظهر كتاباتها باللغة العربية أيضا وأصبح مجال التنافس الدولى على اجتذاب الأسواق مستعرة بين الدول المنتجة .

ومهما حاولنا الحصر أو العد عن مجالات استخدامات الكومبيوتر في الولايات المتحدة فسنعجز عن ذلك فيكاد لا يوجد عمل واحد لا يدخل الكومبيوتر في أحد مراحله أو في المراحل كلها .

- فالأطباء يستخرجون منه التشخيص لأمراض بعض المرضى بعد أن يتعاملوا مع أزراره لوضع العناصر الضرورية عن ضغط دم المريض ، ونسبة الكوليسترول والهيموجلوبين وحمض البوليك ووظائف الكبد ونسبة السكر وعصارات المعدة . فيحدد الكومبيوتر المرض ويصف له أنسب الأدوية التي يمكن أن يتعاطاها .
- وتوجد شركات متخصصة في تحقيق الزواج بالكومبيوتر ، وعندما يحدد الخاطب شروطه في الزوجة التي يريدها ، من حيث الطول ولون البشرة والشعر والمواصفات الخلقية والثروة فتحدد له عدة اختيارات زوجات يمكن أن تصلح له كما أرتأت بنات أحلامه .
- ولا توجد مصلحة جماهيرية في الولايات المتحدة إلا وتختزن المعلومات عن المواطنين في كومبيوتر يستخرج هذه البيانات في دقائق سواء الأسماء أو أرقام البطاقات أو العناوين أو المؤهلات أو السن أو الهوايات أو الحرف والمهن أو فصيلة الدم أو عدد الأبناء أو أدق التفاصيل .
- كما لا يوجد بنك واحد في أمريكا لا يودع ذاكرة الكومبيوتر تفاصيل ودائع ومسحوبات وحسابات عملائه وحركة المال صعودا وهبوطا كل يوم .
- وأصبح الكومبيوتر قادرا على رسم

اللوحات الهندسية في ثوان . عوضا عما كان يقوم به عشرات المهندسين خلال عدة أيام . فيكفي أن تعطيه مواصفات أجزاء الآلات أو الماكينات وأبعادها .. ليوضحها لك على الشاشة .

• ولا توجد شركة أو مكتب توظيف أو إدارة حكومية أو دار صحفية أو فندق تتعامل مع آلاف الاشخاص وتعمل بالوسائل النمطية القديمة الورقة والقلم والمحاة والمسطرة والعد في المخ والضرب والطرح بجدول الضرب .

• كما لا توجد جامعة أو مركز بحث علمي أو معمل يسجل قراءات وبيانات ومعادلات أبحاثه على الورق بل تودع في ذاكرة الكومبيوتر . وهو الذي يقوم بحل المعادلات وإعطاء النتائج واستنباط الحلول والاحتمالات . كل ذلك يتم بديلا عن المخ البشري .

• وعلى الجانب العسكري فحدث ولا حرج . لأن قرار تحريك أسطول أو إعلان أهبة الاستعداد النووي أو تحريك حاملات الرؤوس النووية أو اطلاق الصواريخ العابرة للقارات لم يعد أمرا يتخذه القادة بعد تفكير ، بل أصبح أمرا تحدد حجمه ومواعيده أزرار وشاشات الحواسب الاليكترونية العسكرية .

ولم يعد القائد العسكري على أي مستوى يعتمد في اتخاذ قراراته على القدرة البشرية وحدها لتحديد اتجاه الهجوم أو أخذ قرار الانسحاب . بل يتعامل مع الحواسب والصاروخ الذي تطلقه الطائرة له رأس يتعامل مع حاسب صغير في الطائرة ليحدد هدفه ليصيبه بدقة . والصاروخ العابر للقارات يتعامل مع كومبيوتر في قاعدة الاطلاق ليحكم التوجيه إلى الهدف . وكذلك الشأن بالنسبة للمدفع والبارجة واللنش وجهاز الرادار .

الانسان الآلي والتصنيع

لقد أصبح في كل من أمريكا وبعض دول أوروبا وفي اليابان مصانع تتم فيها أغلب خطوات التصنيع بتحكم من الكومبيوتر دون أن تمسها يد بشر . ولقد أصبح في انجلترا واليابان عدد كبير من المصانع تحولت إلى التصنيع الكامل بواسطة الكومبيوتر . الأمر الذي جعل الكومبيوتر صانعا جديدا ، وسببا مباشرا لخلق البطالة وزيادة نسبتها في أوساط العمال . بل لقد تطور الأمر وبدأت كثير من المصانع تتحول تدريجيا من مرحلة التحكم الجزئي في التصنيع إلى التحكم الكلي بحيث ما كان يقوم به مئات بل ألوف العمال أصبح بديلا عنه الأجهزة المتحركة والاجزاء المنزلقة والأذرع الميكانيكية . الأمر الذي جعل التصنيع الآلي الكامل على وشك أن يعم . ولقد شاع استخدام « الروبوت » أو الانسان الآلي في عدة صناعات وأصبح التحول إليه مصيريا لتحقيق سرعة الانتاج وملاحقة المنافسة على فتح الأسواق الجديدة والصمود أمام رأس المال الكبير الذي يحكم هذه الصناعات .

ولقد ركزت اليابان جهودها على التخصص في صناعة أجهزة الانسان الآلي نفسها باعتبارها الصيحة التالية أو الجيل الجديد من أجيال الحواسب الاليكترونية لكي تحقق التفوق في مجال المنافسة الأمريكية بلون من ألوان التخصص .

كل ذلك أسلم البشرية إلى دنيا جديدة صنعتها الحواسب الاليكترونية التي لم يقتصر أداؤها على الانتاج وحقوق التصنيع وأعمال التجارة والبنوك ودواوين الحكومة بل انسابت إلى المنازل ودور العلم والأندية وأماكن اللهو . ولقد أصبح في كثير من هذه الدول مدارس يتعلم الشباب فيها دروسهم بالكومبيوتر . ويشاهدون على شاشات تليفزيونية برامج تعليمية وتسجيلية يتحكم فيها الكومبيوتر . وتحول الكومبيوتر من الاجيال الضخمة والكبيرة الحجم إلى أنواع الميني ثم الميكروكومبيوتر وشاع استخدام الكومبيوتر الشخصي الذي يمكن أن توضع فيه كاسيتات برامج تنتقى للمتعة أو التسلية أو التعليم أو التثقيف أو الدعاية أو الرياضة أو حتى المقامرة .

ويستطلع اليابانيون اليوم إلى تصنيع الكومبيوتر الصوتي الذي يعطى الأوامر الصوتية فينفذها . ونجحوا في تحقيق ذلك في بعض الاستخدامات المنزلية لانسان آلي يتلقى الاوامر وينفذها .

الحواسب .. لها لغات

ويقودنا هذا إلى القول بأن التعامل مع الكومبيوتر يلزم له لغة معينة لأنه ليس جهازا إذاعيا تسأله فيجيبك أو انسانا يمكن أن يرد عليك . ولقد تعارف الخبراء على وضع لغات للكومبيوتر تناسب أوجه استخداماته . ومنذ عشرات السنوات شاع استخدام « لغات الفورتران FORTRAN » لأهل العلم ومراكز البحوث » . « ولغة الكوبول COBOL » لأهل المال والاقتصاد » ولغة الباسيك BASIC » للاستخدامات العامة . ولأن هذه الاستخدامات قد تعددت وتشعبت . فإن اللغات أيضا قد تعددت وظهرت لغات أخرى مثل « الفورث FORTH » . « ولغة







الانسان الآلي حاسب يتحرك

■ الروبوت أو الإنسان الآلي سيحل محل عامل المصنع وسيّدة البيت

■ كل شيء في عصر الفضاء صَغُر حجمُه ولكن كبرت دِقّتُه



ر . ب . جـي » (RPGLL) واصبح الكومبيوتر ذا الذاكرة والتى تقاس بملايين الأحرف أو الأعداد لا لزوم له فى كثير من الاستخدامات وشاع استخدام الكومبيوتر الصغير الميني أو الميكرو لتتلاءم ذاكرته المحدودة التى تختزن عدة آلاف من البيانات فقط. ولذلك غمرت الأسواق فى السنوات الأخيرة بهذه الأنواع ودخلت يد التطوير عليها. فبعضها يحقق للمستخدم كل الوسائل السهلة لتحقيق سهولة طرح السؤال ، وسهولة أخذ الاجابة. فقد أصبحت هناك حواسب يمكن أن تعطى البيان المطلوب بلمس الشاشة التليفزيونية بأصبع اليد فى أماكن محددة. وأصبح المهندسون يبرمجون أعمالهم الهندسية بحيث توضح الرسوم الهندسية مهما تعددت على شاشات التليفزيون المرتبط بالكومبيوتر ويدخلون عليها التعديلات ويسألون الكومبيوتر ما يريدون من تصميمات جديدة للتطوير والتحسين.

وما تحققه الحواسب الاليكترونية فى عصر الفضاء يستوجب أن نقول إننا نعيش عصر ثورة المعلومات. فالبيانات التى كان يلزم جمعها خلال سنوات طويلة أصبح الكومبيوتر يعطيها خلال ثوان معدودة. والأضابير التى كانت تملأ مئات الغرف ليسجل عليها هذه البيانات على أوراق يمكن أن تبلى مع الزمن أصبحت ذاكرة الكومبيوتر تحفظها فوق عدد محدود من الاسطوانات ، ولذلك أصبح ممكنا أن ننعت عصرنا بعصر ثورة المعلومات.

ويمكنك أن ترى اليوم كاتبا وهو يؤلف كتابا خلال بضع ساعات ولا يستخدم ورقا ولا قلما إذ يستدعى المعلومات من الكومبيوتر بالضغط على الأزرار فتتدفق فوق اسطوانات ورقية ، فهو يختصر منها ما يريد ، ويلصق الأوراق ببعضها لتكتمل له فقرات الكتاب خلال ساعات. وكل جهده يتمثل فى استجواب الكومبيوتر والتعامل مع ذاكرته بحنكة وإعطائه الأسئلة اللازمة التى تجعل جلب المعلومات من هذه الذاكرة ميسورا. ولذلك أصبح فن التعامل مع الكومبيوتر أو « برمجة » المعلومات فى ذاكرته هو الفن أو الدراسة ذات الأهمية. ولذلك انقسم المهندسون والمستخدمون لهذه الأجهزة إلى فئتين : فئة تتعامل مع الكومبيوتر كوحدة اليكترونية من حيث التشغيل والصيانة والأداء الاليكترونى وهذا عمل مهندسى « التشغيل » (HARD WARE). وفئة أخرى تتقن فن التخاطب أو التعامل مع الجهاز وظيفيا لايداع المعلومات فى ذاكرته واستجلابها منه وهى فئة المبرمجين أو « مهندسى الاداء » (SOFT WARE).

وفى عصر ثورة المعلومات ، أصبحت البيانات والاحصاءات طوع ضغطة صغيرة على زرار فى نهاية الكومبيوتر. ولكن لو نظرنا إلى الامر نظرة عكسية فإن الوعاء الفارغ لا يمكن أن يفرز شيئا ، والعقل المسطح لا يمكن أن يعطى بيانا.

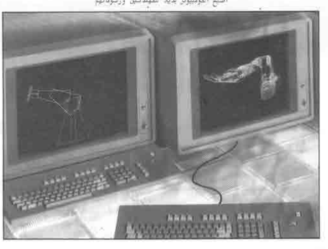
كذلك ذاكرة الكومبيوتر لا يمكن أن تجلب منها معلومات دون أن تكون قد اودعت فيها من قبل وبأسلوب لغة التعامل. لذلك فالكومبيوتر ليس كمصباح علاء الدين ، تضغط عليه فينطلق كمارد من جان ليعطى ما يسأله أى انسان. ومن ثم فقد تحول العلماء إلى جمع البيانات ومنهجتها حتى تودعها ذاكرة الكومبيوتر بنظام وترتيب واضح لكل حاسب ذاكرة لها سعة تتكون من عدة الآف أو ملايين من الحروف بمقدار اتساع هذه الذاكرة ، يختلف حاسب عن آخر.

المعنى الجديد للاستعمار فى عصر الفضاء

فى عصر الفضاء .. وفى ظل ثورة المعلومات أصبح للاستعمار معنى جديدا بعيدا عن معناه التقليدى الذى يرتبط بالجندى والبندقية والمدفع والمستعمرات على أراضى الغير. فقد تحولت دعامات الاستعمار إلى هتك أسرار الدول الأخرى ومعرفة البيانات والموارد والاحصاءات والتفاصيل عن الدول الاخرى ، فيما يتعلق بأرضها وما تحت أرضها وما فى سمائها وفضائها وجوها ومناخها وما تزخر به بحارها وعناصر التسليح فى جيشها واوجه القصور والقوة فى اقتصادها وما يتوفر لديها من طاقة ـ والقوى العاملة فيها واعدادها وتراثها وعاداتها والطاقات البشرية والمادية فى شعوبها والتناقضات الاجتماعية فيها. كل ذلك يمكن أن يمثل الركائز للاستعمار الاقتصادى الذى يعد بمثابة الجذور الاساسية للاستعمار العسكرى الذى يمكن أن يتمثل فى صورة من صور السيطرة قبل أن يكون أسلوبا من أساليب القهر العسكرى.

ولذلك تحرص الدول المتقدمة على جمع البيانات عن الدول المتخلفة لتمد لها يد العون أحيانا ولتفكر كيف تستعمرها أو تستعبدها بمعنى أدق ولو شاءت كما يقول المثل أن تعرف أتفه الأشياء فى بلد متخلف أو نام. فاسأل ذاكرة كومبيوتر لدولة متقدمة جمعت هذه البيانات بدقة فسيعطيه لك خلال ثوان. ولذلك تتدفق المعلومات إلى ذاكرة الكومبيوتر من خلال الكلمة المقروءة والمسموعة والصحف والاحصائيات والنشرات. ولكن الأهم من ذلك أن التجسس أصبح له وجه آخر ومعنى آخر غير وجود المندوب أو العميل أو الوسيط الذى يمكنه أن ينقل الخبر أو البيان خلسة. فالتجسس أصبح ميسورا آناء الليل وأطراف النهار من الفضاء ، ولا يقف أمامه حائل أو

أصبح الكومبيوتر بديلا للمهندسين ورسوماتهم





صالة للحواسب الاليكترونية في أحد المصانع



تشخيص الامراض بالكومبيوتر

عقبات . وكل ما تريد أن تخفيه تحت الأرض أو تحت الجدران تستطيع أن تفضحه الأقمار الصناعية التى أصبح لها عدسات وكاميرات وأعين بعضها مائل وبعضها رأسى لتجسم الصور وتترجم هذه الصور الى اشارات اليكترونية ترسل بها إلى مراكز تحليل على الأرض . تجمع هذه الصور وتترجم ما عليها من تفاصيل الى بيانات .

ولقد انطبع لدينا أن التجسس يرتبط فى الاذهان بالمعلومات عن النواحى العسكرية . وهذه حقيقة فلم يعد ممكنا اخفاء طائرة أو صاروخ أو دبابة عن عدسات الأقمار الصناعية مهما موهت أماكنها ومهما وضعت فى تحصينات أو حتى لو أخفيت تحت الأرض أو فى باطن الغواصات . ولكن المعنى الجديد للاستعمار فى عصر ثورة المعلومات أخذ أبعادا أكثر شمولا وأكبر اتساعا فكل المعادن والآثار والموارد والتوزيعات السكانية والحشود العسكرية تصور من الفضاء ان نهارا فى ضوء الشمس المرئى أو ليلا بالأشعة تحت الحمراء التى تتعامل مع الاشعاعات الحرارية من هذه الأجسام . وأصبحت وسائل الاستشعار والتصنت أحد ثمرات الالكترونيات الدقيقة فى عصر ثورة المعلومات . ولذلك تجمع بوسائل الاستشعار من بعد اليكترونية وصوتية وفضائية . وأصبحت أقمار الاستشعار من بعد . تتمثل فى أجيال تأتى من بعد أجيال . فقد تحولت من أقمار (الموارد الأرضية) (.E .R. T. S) إلى أقمار لانـدسـات (LANDSAT) . وأصبحت الدول الكبرى القادرة على اطلاق هذه الاقمار تنتهك أسرار كل الدول الأخرى على غير ارادتها ، أو دون أن تدرى أو تستطيع ايقاف هذا الانتهاك . ليس بالصورة وحدها ولكن بكل الوسائل العلمية المعلومة وغير المعلومة لنا . ولذلك كثيرا ما تطلق هذه الأقمار دون ما سابق اعلان أو دعاية ـ بعضها ليحقق أغراضا خاصة أو مهام خاصة وبعضها الآخر ليجمع البيانات عن كل ما فوق الكرة الارضية تحت مسار هذا القمر أو هذا الكوكب أو هذه السفينة .

وعلى سبيل المثال مثلا نجد أقمار سلسلة (كوزموس) السوفيتية التى تعد بالآلاف . قد أطلق بعضها ليعيش فى الفضاء أياما وبعضها الآخر أطلق ليظل سابحا مئات الأيام أو عشرات السنين وبعضها لآلاف السنين . وتحت مسميات لطيفة يختفى الغرض منها من أجل « الاستطلاع » أحيانا أو « الانذار المبكر » أحيانا أخرى ، أو « الاستشعار من بعد » أو « اكتشاف الموارد » . وكل ذلك بالمعنى الفصيح هو « جمع البيانات » أو « جمع المعلومات » . وعلى سبيل المثال أيضا لقد كان لهذه الأقمار أدوارا فى حرب فيتنام ، وحرب (رمضان — أكتوبر) . ومازالت لها أدوار فى حرب ايران والعراق وحرب (اسرائيل — لبنان) . ولكن ما هو أهم أن لها أدوارا أعظم وأدق فى جمع كافة البيانات غير العسكرية والتى تفيد الاقتصاد والتنمية والموارد عن كافة الدول شاءت أم لم تشأ .

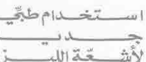
ان التزاوج بين الحواسب الاليكترونية والانجازات الفضائية قد وضع البشرية أمام عصر جديد تمثل فيه وفرة المعلومات كل معانى المدنية والتقدم . أفلا يحق لنا كعرب أن نسائل أنفسنا : أين موقفنا من هذه الحلبة التى لا مكان فيها لضعيف أو متفرج ؟

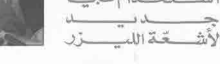
سعد شعبان



العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي





استخدام طبي جديد لأشعة الليزر

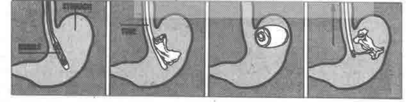
• توصل الأطباء الألمان إلى طريقة مبتكرة لتفتيت حصي الحويصلة الصفراوية باستخدام أشعة الليزر.

فمن المعروف طبيا أن هذا النوع من الحصي على عكس حصي الكلى لا يقبل التفتيت ولا يستجيب للعلاج الكيمائي مما يضطر الأطباء إلى اللجوء لاستئصال الحويصلة الصفراوية ذاتيا.

ويستخدم التكنيك الجديد منظاراً غير تقليدى لكى يمر شعاع الليزر خلال ليفة ضوئية شديدة المرونة لا يزيد قطرها عن ٣,٠ م عبر تلافيف الاثنى عشر ليصل إلى القناة الصفراوية ويمر الشعاع خلال كل هذه التعريجات دون أن تتأثر شدته.

ويستغرق التفتيت ما بين ثانيتين وستين ثانية ويتميز جهاز توليد أشعة الليزر المستخدم بأنه يولد نبضات قصيرة جدا لا يزيد زمن كل منها عن واحد على مليار من الثانية في حين تصل طاقتها إلى ١٠,١٢ وات لكل سنتيمتر مربع وهى طاقة ضخمة ويسمح هذا الليزر النبضى بتفتيت الحصوة دون احراق جدار الحويصلة الصفراوية على عكس أشعة الليزر التقليدية التى تولد تأثيرا حراريا كبيرا مما يعرض الأنسجة المحيطة للتلف.

وبعد نجاح التجارب العملية التى أجريت على الحيوانات سيبدأ استخدام هذا التكنيك على المرضى خلال عام.





بالون لعلاج السمنة

• أحدث وسيلة للتخلص من السمنة هى ادخال بالون من البلاستيك في المعدة لاشعار من يعانى من السمنة باحساس الامتلاء والشبع أثناء فترة اتباعه لنظام غذائى معين.

يتم ادخال هذا البالون المرن تحت التخدير الموضعى إلى الجزء العلوى من المعدة باستخدام انبوب ضوئى يشبه إلى حد بعيد المنظار. ويكون البالون غير منفوخ ولكنه ينتفخ تدريجيا بمجرد وصوله إلى موضعه المحدد من المعدة ليصبح اسطوانة في حجم علبة العصير الصغيرة وبعد أربعة شهور يفرغ البالون وينزع من المعدة بواسطة نفس الانبوب الضوئى ويمكن استبداله ببالون آخر إذا كان لا يزال هناك حاجة إليه.

ولقد تمت تجربة هذا البالون بنجاح على ٤٠٠ شخص فتأثيره يعتمد على تنبيه الخلايا العصبية المبطنة للمعدة بحيث يولد احساسا بالامتلاء.

ويؤكد الطبيب الامريكى صاحب الابتكار أن هذا البالون مجرد أداة مساعدة لمن يعانون من السمنة المفرطة فهو يمنحهم فرصة اتباع نظام غذائى لفترة طويلة بحيث يمكنهم تغيير سلوكياتهم الغذائية واكتساب عادات جديدة.

ويتميز هذا العلاج المساعد بامكانية استخدامه عدة مرات متتالية دون أى خطر على الصحة . مثله مثل أى نظام غذائى متوازن يمكن تكراره عددا غير محدود من المرات.



المنزل الدوّار

• صمم مهندس الكترونيات فرنسى بيت المستقبل، فهو يضم كل تقنيات القرن الحادي والعشرين ويتخذ شكل كرة دوارة تدور حول محور رأسي بواسطة محرك كهربي يستهلك فى كل دورة كاملة خمسين وات/ساعة.

ولقد روعى في تصميم هذا المنزل الآلى أن يدور الهيكل الخارجي فقط بينما يظل داخل المنزل ثابتا.

ويتولى الكمبيوتر الذى يمثل المخ المركزي للمنزل تنظيم عملية الدوران تبعا للاضاءة وذلك على أساس العوامل والثوابت المسجلة فى ذاكرته مثل فصول السنة وخط العرض والارتفاع عن مستوى البحر والأحوال المناخية كما يتم تنظيف زجاج النوافذ أتوماتيكيا بعد هطول الأمطار وجمع المياه لإعادة استخدامها. ولقد غطيت جدران هذا المنزل الدوار بخلايا شمسية لتخزين الطاقة اللازمة لتشغيله بحيث يصبح مكتفيا ذاتيا في مجال الطاقة الكهربية.

اما بالنسبة لاحتياطات الأمن فيتم اغلاق كل منافذ المنزل بجعله يدور حول نفسه إلا أنه يمكن الدخول إلى المنزل من البدروم حيث يوجد الجراج ومصعد يخدم طوابق المنزل الثلاثة. ويباع هذا المنزل على شكل أجزاء يستطيع أى شخصين تركيبها معا وإقامة هذا المنزل المستقبل.

اختبار جديد للخصوبة

• كان ينقص الأطباء من أجل علاج حالات العقم المستعصية وإجراء عمليات الإخصاب خارج الرحم تحديد لحظة التبويض بشكل دقيق. ولكنهم تمكنوا مؤخرا من ابتكار اختبار يرصد هذه اللحظة التي يصعب رصدها.

ويتميز هذا الاختبار بسهولة استخدامه فهو يتكون من شريط صغير من الكرتون ينتهى بقرص أبيض (كما هو مبين فى الصورة) يغمر هذا القرص فى أنبوبة تحتوى على بضع قطرات من البول ثم يترك ليجف ثلاثين دقيقة فإذا تغير لون القرص إلى اللون الأزرق فمعنى ذلك أن عملية التبويض ستتم بعد ثلاثين ساعة.

وبالرغم من بساطة الاختبار فإن تحضيره يتطلب تكنولوجيا متطورة تعتمد على استخدام الأجسام المضادة المنتجة عن طريق تقنيات الهندسة الوراثية. وهى مواد قادرة على التعرف على الفور وبشكل محدد ودقيق على أغلبية الهرمونات التى يفرزها الجسم. وهى ترصد في هذا الاختبار وجود الهرمون الذى ينشط المبايض ويؤدى إلى خروج البويضة ويمثل ظهور نسبة معينة من هذا الهرمون فى البول علامة مبشرة بوجود بويضة قابلة للاخصاب فى الأبوق وهى لحظة عابرة يصعب تحديدها لانها لا تدوم اكثر من بضع ساعات على أقصى تقدير.

ومن المتوقع طرح اختبار الخصوبة في الأسواق خلال ستة شهور. ومن ناحية أخرى طرح فى الأسواق اختبار آخر لمعرفة نوع الجنين ـ ذكر أم أنثى ـ وذلك منذ الشهر السادس. ويشبه هذا الاختبار إلى حد بعيد اختبار الحمل.

ولكن يعيب هذا الاختبار أن درجة ثباته لا تتعدى ٢٠٪ وتجرى حاليا أبحاث لتطوير استخدامه منذ الشهر الرابع.

الشريط المستخدم فى اختبار التبويض

بقلم: رءوف توفيق

قراءة على الشاشة لموضوع هام

عودة مواطن

ومن المسئول عما حدث؟

الشقيق العائد من السفر (يحيى الفخراني)

المسافرون للعمل في الخارج . مسألة شغلت ــ ومازالت ــ المجتمع المصري .. حتى إنه قيل على سبيل تجسيد حجم المسألة . إنه لاتوجد أسرة مصرية لم يسافر أحد أبنائها للعمل في الخارج .. ولا يخلو بيت مصري من قصة تروى عن مسافر . أو عن عائد بعد غياب طويل .

ورغم تشابه الكثير من تلك القصص . في الظروف التي دعت للسفر والاغتراب .. إلا أن الاختلاف الحقيقي ، في التفاصيل الإنسانية للتجربة في حد ذاتها .. سواء بالنسبة للأسرة . أو بالنسبة للمسافر .. وآثار هذا الغياب على كل الأطراف .. بالاضافة إلى التغييرات السريعة والمتلاحقة التي حدثت للمجتمع المصري في سنوات السبعينات .



الشقيقتان في نقاش حول قرار اتخذته احداهما بالزواج من زميلها

انه يتأمل ماحدث في غيابه وشقيقه يقتل فراغه بالشطرنج



وكل هذه العناصر تكشف عن مدى ثراء هذا الموضوع . وتغري بمعالجات أدبية وفنية مختلفة . ورغم ذلك ظلت السينما المصرية تتجنب هذا الأغراء دون سبب معقول . حتى جاء فيلم « عودة مواطن » ليفتح الباب أمام هذا الموضوع الحيوي الهام .

وقد شاهدت نسخة العمل الأولى لهذا الفيلم . وهو مازال تحت التجهيز : وقبل أن يبدأ الموسيقار كمال بكير في تأليف الموسيقى التصويرية له .. (من المتوقع أن يعرض الفيلم جماهيرياً في منتصف يونيو القادم) .

وأحسست بسعادة غامرة . وأنا أتابع فصول الفيلم .. وقلت لنفسي . إنه من حسن حظنا . وحظ السينما المصرية .. أنها لم تتطرق لهذا الموضوع من قبل . على يد أحد الجهلاء فاقدي الحس الاجتماعي والفني . فما أسوأ ابتذال القضايا الجادة وتشويهها وانتهاكها . حتى تصبح مكروهة من الجميع !

وميزة البداية بفيلم « عودة مواطن » .. أن كاتبه « عاصم توفيق » فنان معروف برؤيته الاجتماعية الناضجة الواعية .. بالاضافة الى أنه خاض شخصياً تجربة السفر للعمل خارج مصر . واختار لنفسه . كما اختار لبطل فيلمه . أن يكون مكان عمله الجديد في دولة قطر .. وهو يتحدث عن تجربته في « الدوحة » . كما يتحدث بطل فيلمه .. بكل التقدير والاعتزاز .

ويجسد الموضوع . المخرج الموهوب « محمد خان » أحد أبرز المخرجين في السينما المصرية الجديدة . والذي يؤكد بكل فيلم يقدمه . أنه يزداد نضجاً ورسوخاً .

ويتحمس لانتاج الفيلم وتمويله . الفنان الممثل القدير « يحي الفخراني » في أول تجربة انتاج له .. وكأنه يريد أن يعبر عن السينما الجادة التى يحلم بها . فدخل التجربة بلا



تردد ، وباقتناع كامل .. ليضيف إلى رصيده الفني وساماً جديداً .

إنهم نفس الثلاثة الذين التقوا من قبل في فيلم « خرج ولم يعد » ، الذي مازالت أصداؤه الطيبة تردد حتى الآن .

هاهم يعودون معاً .. ثلاثة فرسان وموضوع جديد وهام .

العودة إلى الأهل

ويبدأ الفيلم من لحظة العودة إلى الوطن .. وإلى الأسرة .. بعد غياب طال لثماني سنوات ، وحساب في البنك هو حصيلة جهده وعمله طوال هذه السنوات .. وسيارة فاخرة حديثة .. وأحلام بالاستقرار والدفء العائلي .

فما الذي يتحقق من هذه الأحلام ؟

في تلخيص ذكي وبارع يقدم لنا الفيلم في مشاهده الأولى .. ملامح الشخصيات والمكان .

فمع هبوط الطائرة القادمة من الدوحة لتلامس أرض مطار القاهرة ، نتعرف على شاكر (يحي الفخراني) العائد إلى الوطن .. وعلى وجهه ابتسامة لهفة وتفاؤل .. حقائبه العديدة تفصح عن كمية الهدايا .. لمعة العينين تحاول أن ترصد كل التغييرات التي حدثت في الطريق والمباني .. والبشر ..

بيت الأسرة في ضاحية حلوان .. البيت طابق واحد من الطراز القديم .. والأثاث أيضاً قديم ومتواضع .. يقيم في البيت الأخوة الأربعة لشاكر ..

الأخت الكبرى (ميرفت أمين) التي يبدو أنها ترعى شئون البيت .. وقد تفرغت لهذه المهمة عن حب واقتناع .. وكثيراً ما تفاجئ اخوتها بصنع « تورتة » تتفنن في توزيعها .. فأعمال الحلوى تستهويها ..

الأخت الصغرى (ماجدة زكي) تخرجت من الجامعة وتعمل مضيفة في كافيتريا أحد الفنادق بالعاصمة .. ومن الواضح استقلالها بشخصيتها وشئونها .. وأنها اختارت زميلاً لها يعمل في نفس المكان لترتبط معه بالزواج ..

وهناك الشقيق (أحمد عبدالعزيز) الذي تخرج من الجامعة .. ومازال ينتظر فرصة العمل وقرار الحكومة بتوزيع « القوى العاملة على المصالح والمؤسسات » وهو في فترة الانتظار الطويلة الممتدة يحاول استهلاك الوقت في لعب « الشطرنج » .. ويتناول الحبوب المهدئة ليغيب في نوم طويل !

أما الشقيق الأصغر (شريف منير) فهو مازال طالباً في الجامعة .. وهوايته تربية الحمام الزاجل .. وقد بنى له أبراجاً صغيرة فوق سطح البيت .. يطعمه ويرعاه ويطيره محملاً بالرسائل إلى بيت خاله في نفس المنطقة ..

وهذا الخال (عبدالمنعم ابراهيم) يعيش بمفرده حياة بسيطة .. يعمل في مصنع الحديد والصلب .. ومن الواضح أن علاقته بالشقيق الأصغر هي أوضح العلاقات وأكثرها فهماً وتواصلا ..

المكـان واحـد .. ولكن الحوار مقطوع

وهكذا تتجمع هذه الخيوط الأولى للشخصيات والمكان .. ويحدث التقاء شمل الأسرة بعودة الشقيق الأكبر .. الذي يحمل بداخله مشاعر حميمة صادقة بتعويض أخوته عن غيابه الطويل ..

ولكن تدريجياً يكتشف ـ كما نكتشف نحن ـ أن الأخوة الذين يضمهم بيت واحد .. أصبح المكان وحده هو الذي يجمعهم .. أما كل واحد منهم فقد تحول إلى جزيرة معزولة لها عالمها الخاص واهتماماتها وهمومها .. الحوار ماإن يبدأ حتى يتقطع وينسحب كل إلى داخله .

الأخت الكبرى (ميرفت أمين) تدرك هذه الحقيقة .. وتحاول أن تمد الجسور وتخلق فرص المشاركة حتى ولو على مائدة الطعام .. ولكن سرعان ماتتبدد محاولاتها .. ولكن دون أن تغضب أو تشكو .. فقد تعودت على المسئولية والتضحية بعد رحيل الأب والأم .

ويحاول الشقيق العائد أن يخفف عنها بعض العبء .. ويمارس دوره كمسئول عن الأسرة .. ولكنه يفاجأ بالأمر الواقع الذي يصعب تغييره بين يوم وليلة ..

نفس الأمر الواقع الذي صدمه عندما ذهب إلى مقر العمل الذي كان يعمل به كمحام قبل أن يسافر .. ففوجئ بأن مقر العمل تحول إلى صالة رقص (ديسكوتيك) .. وأن مديره السابق هو نفسه صاحب ومدير صالة الرقص .. وأن زميلته التي أحبها وكان يتمنى الزواج منها .. قد تزوجت من المدير !

كل هذه المتغيرات التي فوجئ بها .. أصبحت جزءاً من الأمر الواقع الذي يجب أن يتعامل معه .

لقد غاب ثماني سنوات .. وفي هذه السنوات حدثت أشياء كثيرة في المجتمع المصري .. بالقطع سمع عنها وهو في غربته .. ولكن أكثر ما أفزعه أن يمتد تأثير هذه التغيرات إلى داخل بيت الأسرة .. وبين أخوته !

فهو يقف مذهولاً حائراً أمام حالة الغيبوبة التي يعيشها شقيقه .. سواء في قتل الوقت بلعب الشطرنج .. أو بابتلاع الحبوب المهدئة للانفصال التام عن الواقع .

ولايملك حتى الثورة أو الغضب إزاء هذه الحالة الموجودة داخل البيت .. وتصفعه في كل لحظة يشاهد فيها شقيقه وقد ألقى بجسده على المقعد أو السرير في تخاذل ووهن شديد .. وكأنه أصبح جثة فاقدة النبض والحيوية تردد كابوساً مزعجاً عن خبر قرأه في إحدى الصحف يقول إن تعداد مصر عام ٢٠٠٠ سيصل إلى تسعين مليوناً .. وإنه يتصور أن الناس في ذلك الوقت ، ستأكل بعضها !!

ماذا يفعل الشقيق العائد أمام هذا المنطق المتشائم .. والمبرر المرفوع لاختيار الغيبوبة ؟

هل يسخر ؟ .. هل يناقش ؟ هل يمد يد العون لاجتياز الأزمة ؟ وما الذي يجب أن يفعله ؟

إنه يبدأ في فتح حقائب نقوده .. متصوراً أن النقود ستصحح الأخطاء السابقة واللاحقة .. ستعوض مافات .. وتقيم ماهو قادم .

ولكن هل هذا هو الحل السعيد المنقذ ؟

الانطلاق لتحقيق الذات

الوحيدة التي استجابت لنداء النقود .. هي الأخت الكبرى : فهناك حلم قديم كان يراودها بأن تستغل هوايتها في صنع الحلوى بأن يكون لها مكان مستقل تصنع فيه الحلوى وتبيعها للجمهور .

النقود موجودة.. والأخ العائد يعرض بقلب مفتوح وباحساس من رد الجميل للأخت التي ضحت طوال هذه السنوات.. «هل تريدين المبلغ.. عملة مصرية.. أم دولارات؟».

والمكان موجود.. فلنقتطع جزءاً من بيت الأسرة.. مجرد جزء يصلح كمحل للعرض والبيع..

والآن بقي اسم المحل.. الأخ المتشائم الغائب باختياره عن الوعي.. يقترح أن يكون الاسم «ماري انطوانيت».

لماذا هذا الاسم بالذات؟ يرد بسخرية مريرة.. لأن ماري انطوانيت واجهت ثورة شعبها الجائع بأن اقترحت عليه أن يأكل البسكويت والجاتوه بدلاً من الخبز!

مهما كانت حكايات التاريخ.. إلا أن الاسم «ماري انطوانيت».. اسم جديد لمحلات الحلوى.. وهكذا ارتفعت اللافتة بالاسم على جزء من بيت العائلة!

ويعلق الأخ المتشائم بنفس نبرة السخرية المريرة: «الله يرحمك يا أبويا.. تعال شوف بيت العيلة والي جراله»!

وتندفع الأخت الكبرى في نشاطها الجديد.. وكأنها انتظرت طوال هذه السنين لتحقق حلمها الشخصي.. ومالت واتتها الفرصة حتى أمسكت بها تماماً.. وتصرفت بثقة شديدة.. ونجحت.. وأغراها النجاح بالتوسع والانتشار.. وبدلاً من المحل الواحد أصبح هناك ثلاثة محلات..

وتغيرت شخصيتها.. وبدأت تبحث عن مسكن مستقل لتعيش بمفردها.. وعندما غضب منها شقيقها العائد.. بررت سلوكها المفاجئ بأنها أصبحت «سيدة أعمال».

الاختيار الصعب

وتتزايد الاحساس بالغربة والانفصال داخل البيت الواحد.. والأسرة الواحدة.. ولم يعد هناك وقت أو رغبة ليلتقي الواحد بالآخر.. وقد عبرت الأخت الصغرى (ماجدة زكي) عن هذه الحالة بقولها: «هوه فيه حد فاضي للتاني علشان نقوله؟» وكانت بعباراتها هذه تبرر قرارها بالزواج من زميلها، واستئجارهما لشقة، وتجهيزها معاً، دون انتظار موافقة أفراد الأسرة — وبالذات الشقيق الأكبر — الذي فوجئ بهذه القرارات.. ولم يستطع حيالها إلا أن يرضى بالأمر الواقع!

إن كل الأمور تمضي من أمامه، لتلقي بظلالها عليه.. وتزيده احساساً بالدهشة والحزن.. وتصيبه أكثر بالعجز.

ويكثف المؤلف عاصم توفيق كل الخيوط الدرامية ويتصاعد بالأحداث.. ليجعل بطلنا العائد يواجه الاختيار الصعب.

فهو يتلقى خطاباً من قطر تطلب منه المؤسسة التي كان يعمل بها أن يعود للعمل معهم..

في نفس الوقت.. الذي تتمادى فيه حالة شقيقه مدمن الحبوب المهدئة والشطرنج.. إنه يصل إلى مرحلة الحقن المخدرة والادمان.. وينقل إلى المستشفى في حالة من الغيبوبة الكاملة!

وتأتي الصدمة الأخرى.. من جانب شقيقه الأصغر، هاوي الحمام الزاجل.. فالشرطة تقبض عليه وتفتش البيت.. ليكتشف أن وراء هذا الشقيق المرح المتفائل دائماً: قصة مثيرة.. فهو عضو في تنظيم سري.. ويتخذ من هواية الحمام الزاجل ستاراً لنشاطه، وأحياناً وسيلة للاتصال بأعضاء التنظيم!

واحد في مستشفى للعلاج من الادمان.. والآخر في السجن انتظاراً للمحاكمة!!

وهكذا تفككت كل الأسرة.. وأصبح البيت خالياً ومهجوراً.

وفي مشهد من أبرع مشاهد الفيلم.. ينقل لنا المخرج محمد خان هذه النتيجة من خلال حركة الكاميرا وتوزيع الاضاءة.. وبطلنا العائد (يحيى الفخراني) يدخل البيت الصامت الخاوي من الحياة.. ويحاول أن يتلمس الاجابة لسؤاله الحائر.. ماالذي حدث؟ يفتح أبواب الحجرات.. ويضيء الأنوار.. ويتوقف حزيناً أمام الصور التذكارية للأب والأم والأسرة عندما كانت تجتمع معاً.. لم يعد باقياً غير الصمت الثقيل.. والحزن.. السرائر خالية.. التليفزيون مغلق.. المائدة منتصبة في الفراغ.. يفتح النافذة المغلقة كأنما يتأكد من وجود الهواء بالخارج.. ثم يلقي بجسده على السرير في اعياء واحساس بالفشل والمرارة.

ويبقى السؤال قائماً: هل يستجيب للرحيل مرة أخرى؟

يحمل سؤاله وحزنه.. ويذهب إلى شقيقه في مصحة العلاج من الادمان.. يجده يتماثل للشفاء ولكن الشقيق يطلب منه أن يظل فترة



ماجدة زكي في دور مضيفة الكافتيريا وابراهيم يسرى جرسون بخمسمائة جنيه



أطول في المصحة فقد وجد هذا العالم أفضل من العالم الخارجي .. وبنبرة يأس ينصحه الشقيق بأن يسافر مرة أخرى .. وعلى حد تعبيره : «الزمن مابقاش زماننا .. فيه ناس فوق .. وناس تحت .. أما اللي في الوسط راحت عليهم» .

يذهب الى شقيقته التي أصبحت سيدة أعمال تعيش في مسكن بمفردها .. وتمارس حياتها كما تشاء .. تقول له بلا اهتمام : «كنت عايزنا نتلم في بيت واحد زي زمان .. لكن دي سنة الحياة» .

يقول لها كأنه يذكرها بوجوده : «كنت مستعداً أن أمد يدي لكم ، ولكن يبدو أن حياتي مالهاش قيمة عندكم» .

وتشعر هي كسيدة أعمال لم تعد تجيد غير لغة البيع والشراء .. إن العواطف لم يعد لها مكان .. وإن الكلام والتبريرات والمشاعر ، تأخرت كثيرا ولم تعد تصلح لحل الموقف .

يحمل سؤاله وحزنه .. ويذهب إلى شقيقه الأصغر داخل زنزانة سجنه .. فيجده مازال متماسكاً .. صلباً .. متفائلاً .. يقول له لاتسافر .. فأنا احتاجك ..

هل يسافر .. أم لا ؟

إنه يحمل حقيبته ويذهب الى المطار .. وينهي اجراءات الرحيل .. ولكنه لايستطيع أن يتقدم الى بوابة الخروج الى الطائرة ..

يجلس في مكانه شارداً .. محاصراً بكل التساؤلات .. وتقلع الطائرة .. وهو مازال في مكانه .. وتقترب منه الكاميرا .. وبزاوية تصوير مختارة بعناية شديدة .. نرى وجهه وقد تجمدت تعبيراته على الحيرة والحزن .. والظلال تحيط به لتحبس وجهه داخل هذا الكادر .. وينتهي الفيلم ..

سؤال بلا إجابة

هل يسافر .. أم لا ؟

ليس هذا هو السؤال المهم .. ولكن الأهم هو لماذا سافر أصلاً ؟ وماالذي حدث في غيابه ؟ هل هو مسئول عما حدث لأخوته .. أم أن ماحدث كان نتيجة طبيعية لما حدث في المجتمع ؟

والفيلم لايقدم إجابات محددة .. وإنما يترك لنا حرية التفسير والاستنتاج .

ولعل هذا المنهج الفني .. هو الذي أكسب الفيلم تلك الأهمية .. فنحن لسنا متفرجين عاديين .. ولكننا أصلاً مشاركون فيما حدث .. والمسئولية نتحملها جميعا .. والموقف مازال في أيدينا وعلينا أن نضع النهاية السعيدة ..

هل نختار الحل الشخصي .. وأن يسعى كل منا ليأخذ نصيبه ويجري ؟ أم أننا نتوقف عن اللهث ونعود إلى بعضنا البعض لنبحث عن الحل الجماعي ؟



آخر لقاء بين العائد وشقيقته التي أصبحت سيدة أعمال ، انه يشعر بالذنب لغيابه الطويل



الخال (عبد المنعم ابراهيم) العامل بالحديد والصلب وبجواره ابن شقيقته المتأثر به

النهاية السعيدة .. الكاذبة

إن أسوأ ماتعلمناه من السينما الأمريكية .. هو اصطناع تلك النهايات السعيدة المخدرة .. لكي يخرج المتفرج من دار العرض وقد تخفف من كل الأعباء .. ولايبقى في ذاكرته شيء سوى أن الأقدار ستحل لنا المشاكل وتجعلنا سعداء كما حدث لأبطال تلك الأفلام ..

وما أسهل تلفيق الأحداث .. وتدبير الصدف والملابسات التي تجعل كل الأشياء جميلة ومبهجة .

ولكن هذا النوع من الفن .. أشبه مايكون بالمخدرات التي تسلب الوعي والتفكير .. وتخلق تلك السلبية التي تعتمد على المنقذ القادم بلاشك لحل جميع المشاكل والهموم ..

إن هذا المنقذ لاوجود له .. في الحقيقة إلا في الأساطير وحواديت ماقبل النوم .

أما الفن الذي يدعو لليقظة والتفكير .. فهو الفن الأبقى والأجدى .

دور الطبقة المتوسطة

وصياغة فيلم « عودة مواطن » تشهد للكاتب الفنان عاصم توفيق .. بتلك البراعة في طرح العديد من علامات الاستفهام حول دور الطبقة المتوسطة في المجتمع المصري .. وأحلام تلك الطبقة بالأمان الاقتصادي .. وخوفها الفظيع من الوقوع إلى الطبقة الدنيا .. وشهوتها الجامحة للوثوب إلى الطبقة العليا ..

ومن هذا الخوف والشهوة : جاءت عمليات السفر للخارج للحصول على فرص أكبر للعمل واكتناز النقود وتحقيق المظاهر (السيارة .. الشقة التمليك .. الثياب الغالية)

وعمليات السفر المتعددة .. والاغتراب الطويل .. أحدثت بالقطع خلخلة في كيان البيت المصري .. وخلقت أيضا المزيد من التطلعات لتحقيق المزيد من الأمان الاقتصادي .. وعندما عاد الغائبون بالنقود كانت النقود لاتصلح لإعادة ما اهتز !

والنموذج الذي قدمه الكاتب عاصم توفيق .. متمثلاً في شخصية الشقيق الأكبر (يحيى الفخراني) .. نموذج لايمكن إدانته في سلوكه الشخصي .. بل إنه تعمد تقديمه في صورة الانسان الطيب ، البريء ، النقي .. الذي فعل مايفعله الآخرون في البحث عن الرزق خارج حدود الوطن .. وكان نموذجاً مشرقاً في عمله بالخارج .. بدليل أنهم طلبوا عودته للعمل معهم مرة أخرى .. ولكن هذا النموذج لم يكن واعياً بالدرجة الكافية لكي يستشعر الخطر على إخوته بغيابه الطويل .. ولم يكن حكيماً أو إيجابياً بالدرجة الكافية ليحسم بعض المواقف التي تعرض لها بعد عودته ..

ورغم ذلك فقد كان هذا النموذج ــ الذي تقمصه ببراعة الفنان يحيى الفخراني ــ هو المفتاح الذي فتح لنا الأبواب المغلقة لكي نرى ماحدث لنماذج الشباب التي عبر عنها أفراد الأسرة والتنوع في الشخصيات والاهتمامات وبحث كل منهم عن الطريق (سواء بالهروب من الواقع واللجوء إلى المغيبات ــ أو الانضمام لتنظيم سري ــ أو النموذج العملي جداً المستقل بقراراته ــ أو النموذج الذي وجد العمر يفلت منه فتشبث بفرصة لتحقيق الذات ونسي كل ماحوله وانفرد بتنمية مصالحه) .

وكل هذه النماذج .. تتحرك في غياب من الرعاية الحكيمة .. وأيضاً من غياب المثل الأعلى والقدوة .

وبالتالي كانت تصرفاتهم لاتحكمها بوصلة عامة .. وإنما كل منهم اختار بوصلته .. وسار في اتجاهه .

ولم تعد هناك قضية مشتركة .. ولالغة حوار متصلة .

وحدثت الانهيارات .. وكان لابد أن تحدث .. لتضعنا أمام حقيقة أزمة الشباب في زمن الصراع المادي .. وفي غياب الهدف القومي .

اكتشافات فنية

وقد تعامل المخرج محمد خان مع هذا الفيلم .. بنظرة فنية واعية ، مستخدما كل براعته في اختيار الممثلين وقيادتهم .. واختيار أماكن التصوير من الواقع الحي .. ودون اللجوء إلى عنصر الابهار الشكلي .. ولهذا يتسلل الفيلم هادئاً وعميقاً .. حتى تكتشف في النهاية أنه تحول إلى زلزال عنيف يهزك من الأعماق !

بجوار يحيى الفخراني وقدراته الطبيعية على احتواء مشاعر المتفرجين .. لعبت ميرفت أمين دوراً مركباً وتنقلت من شخصية مستسلمة إلى شخصية ديناميكية ، وأعطت ملامح الشخصية بمهارة ودون لحظة افتعال ..

أحمد عبدالعزيز في دور الشقيق الغائب عن الوعي باختياره .. هو مفاجأة الفيلم .. وشهادة ميلاد لممثل جديد ومتميز .

علي الغزولي مدير التصوير .. إعادة اكتشاف لفنان حقيقي ..

إنه ــ في النهاية ــ فيلم يدعو للاحترام والثقة فيما يمكن أن يفعله السينمائيون الشبان ..

رءوف توفيق

أخبار ثقافية

يقدمها: يوسف الحرمي


محمود مفتاح

قضايا معاصرة في كتاب لمحمود مفتاح

● صدر للكاتب القطري الشاب محمود عبدالرحمن مفتاح كتابه الثاني بعنوان « قضايا معاصرة » . تضمن ١٥ مقالاً سياسياً واجتماعياً بالاضافة إلى الحقائق العلمية .

كما صدر لنفس الكاتب كتاب يحمل اسم « السماء والأطباق الطائرة » .. ويشتمل على ثلاثة أبواب الباب الأول العرب والفضاء ، والثاني غزو الفضاء ، والثالث ظاهرة الأطباق الطائرة .. وقد قدم له العالم العربي فاروق الباز إذ قال إنه لمن دواعي سروري أن أقدم هذا الكتاب الذي أخرجه شاب عربي نشيط ضمم على استخدام تدريبه في العلوم لكي يبث العلم والمعرفة عن الفلك والفضاء بين أفراد المجتمع العربي . ثم أقدم شجاعاً على معالجة موضوع صعب حير العلماء وهو احتمال وجود كائنات أخرى في الكون . وأضاف د. فاروق الباز قائلاً ومما سلف نجد أن ماقدمه لنا المؤلف محمود عبدالرحمن مفتاح يفسح مجالاً واسعاً للنقاش والتعمق والتمعن والخيال . ولذا فإنني سعيد جداً بتقديم هذا الكتاب إلى القارئ العربي .

معرض الكتاب الدولي في بغداد

افتتح في بغداد معرض الكتاب الدولي الرابع الذي أقامته الدائرة الوطنية للتوزيع والاعلان تحت شعار العلم والبندقية قوة واحدة .

وشاركت في المعرض أكثر من ثلاثمائة دار نشر عراقية وعربية وأجنبية . اضافة إلى الناشرين العراقيين وقد عرض فيه مايقارب خمسة وعشرين ألف عنوان لمختلف الكتب والمواضيع والمعاجم بالاضافة إلى كتب الأطفال المختلفة .

٣٠ لوحة فنية تشكيلية في معرض بنادي الأهلي

افتتح الشيخ محمد بن عيد آل ثاني سكرتير عام المجلس الأعلى لرعاية الشباب معرض الفن


الشيخ محمد بن عيد

التشكيلي الأول الذي يقيمه النادي الأهلي بالتعاون مع الجمعية القطرية للفنون التشكيلية .. وشارك فيه مجموعة من الفنانين القطريين ..

وقد ضم المعرض نحو ثلاثين لوحة فنية مستوحاة من البيئة والحضارة والتراث القطري والخليجي .. والهدف منه هو ابراز هذا التراث وإلقاء الضوء على الابداعات التي يتمتع بها الشباب القطري في مجالات الفنون والآداب ، كما أتاح للمشاركين فيه الالتقاء الفكري الميداني المباشر والتفاعل مع معطيات المجتمع .

شعر « البودهيم » في ديوان يصدره مركز التراث



ضمن سلسلة الدراسات المتخصصة التي تصدر قريباً عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية بالدوحة أحد الكتب المتميزة بعنوان « ديوان البودهيم » وهو عبارة عن مؤلف يحتوي على أهم ماأبدعه شعراء عائلة البودهيم في دولة قطر من شعرهم المتميز ، وقد تولت وحدة الأدب الشعبي بالمركز بالتعاون مع عيسى البودهيم الوريث الوحيد لمادة هذا الديوان أمر تسجيل مادة الكتاب ثم تدوينها وفهرستها وشرح معانيها . وتأتي أهمية هذا الكتاب من أنه يحتوي على مجموعة قيمة من القصائد والمواويل التي غطت بشمولها جوانب عدة من طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة ، بشكل عام وفي دولة قطر بشكل خاص ، وعبرت قصائد الديوان ومواويله بصدق عن معاناة أهل هذه المنطقة ومشاعرهم في فترة حاسمة من تاريخ الخليج شكلت مرحلة تحول في طبيعة تكوين العديد من الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية التي أصبح لها الأثر البالغ في صياغة الاطار العام لمكونات مجتمع الخليج والجزيرة العربية .

محاضرة عن الزخارف في قطر



ألقى الفنان التشكيلي القطري محمد علي عبدالله بنادي الدوحة محاضرة عن الزخارف في قطر وعلاقتها بالزخارف العالمية . عرض الفنان مجموعة كبيرة من « السلايدات » عن الزخارف في منطقة الخليج والجزيرة العربية ، كما تطرق أيضاً إلى التصميم وعلاقته بالرياضيات والفلك والهندسة عند الفنان الخليجي ومدى تأثره وظهور هذا التأثر على الزخرفة بشكل خاص .

٥ آلاف عنوان كتاب في معرض نادي الوكرة



• تحت رعاية سعادة الشيخ ثامر بن محمد آل ثاني نائب رئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب افتتح في الشهر الماضي معرض الكتاب الذي أقامه نادي الوكرة لأول مرة وشاركت فيه ٢٥ من دور النشر المحلية .. وضم المعرض نحو خمسة آلاف عنوان من مختلف العلوم والفنون والآداب بالاضافة إلى الكتب الدينية ، ويأتي هذا المعرض في إطار خطة النادي للبرامج والأنشطة الثقافية التي تقوم بتنفيذها لدعم هذا المجال لدى الشباب وتنمية أفكارهم وملكاتهم وتزويدهم بالمعرفة لتعزيز عطائهم لمجتمعهم.

١٦٠ مفكراً وأديباً شاركوا في المهرجان السعودي للتراث والثقافة

• نظم الحرس الوطني بالمملكة العربية السعودية في الشهر الماضي المهرجان الوطني الثاني للتراث والثقافة .

وقد اشتمل المهرجان على العروض الفنية والمناظرات الشعرية ومعارض للكتاب وتنظيم سباق للهجن كما شمل على إقامة أمسيتين شعريتين وست ندوات الأولى عن « الجزيرة العربية وتراثها القديم » ، والثانية عن القصة القصيرة في الجزيرة ، بدايتها وتطورها » ، والثالثة عن الرقص والأغنية الشعبية والرابعة عن الخصومات الأدبية وبدايتها ودوافعها وغاياتها » والخامسة عن التنمية الثقافية في الخطة الخمسية الرابعة ، والسادسة عن « الفن التشكيلي في السعودية حاضره ومستقبله » بالاضافة الى محاضرة عن المسرح الخليجي كما أقيمت أمسية شعرية شاركت فيها أربع شاعرات سعوديات ومحاضرة عن تاريخ الدولة السعودية المعاصرة ألقتها إحدى المتخصصات في التاريخ السعودي .

وقد دعي إلى المهرجان أكثر من ١٦٠ أديباً وصحفياً ومؤرخاً وإعلامياً وناقداً من مختلف الدول العربية والاسلامية بالاضافة إلى الحشد الكبير من نخبة المفكرين والكتاب العرب والمثقفين في العالم العربي والاسلامي .

كتاب جديد لباحث اسلامي

صدر للدكتور عبدالله عبدالرحيم العبادي الباحث الاسلامي القطري كتاب جديد ضمن جهوده الشرعية والعلمية المتواصلة بعنوان « العلم الحديث حجة للانسان أم عليه ؟ » وقال الباحث القطري في مقدمته : « لاشك أن التوصل إلى الشواهد والحقائق الثابتة بالبراهين العلمية سواء مايتعلق منها بخلق الإنسان ، أم مايتعلق بهذه الأرض التي نعيش عليها ، أم بالاجرام العلوية نصرة للدين الاسلامي ، وحجة عظيمة وقوية للانسان المسلم الذي آمن بكل ماجاء على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا القرآن حقاً من عند الله ، وأيقن اليقين التام أن ذلك لايمكن أن يصطدم أبداً بالحقائق الكونية ، سواء أكان في الماضي ، أم في الحاضر ، أم في المستقبل والكتاب جديد في موضوعه وجدير بالقراءة ، وذلك لما فيه من مادة علمية دقيقة وجديدة وأسلوب جذاب في ربط العلم بالدين ..

نحو تواصل خليجي أفضل مهرجان ثقافي لجامعات الخليج بأبوظبي

استضافت في الشهر الماضي جامعة الامارات بالعين المهرجان الثقافي والفني الثاني لجامعات دول الخليج العربية ، تحت عنوان « نحو تواصل خليجي أفضل » الذي نظمه مكتب التربية العربي لدول الخليج في إطار تحقيق التلاحم والتقارب بين طلاب الجامعات الخليجية . وشارك في المهرجان (٥٠٠) طالب من ١٦ جامعة خليجية وساهم المشاركون في المهرجان بالأنشطة الأدبية والعلمية والثقافية والفنية .

ويهدف المهرجان إلى تشجيع أبناء الدول الأعضاء في الجامعات الخليجية على البحث في مجال العلم والثقافة والفنون والاعتماد على أنفسهم في العمل المشترك وتنمية روح الأخوة والمودة والألفة بالاضافة الى تعريف الشباب بالتطور والتقدم التي شهدته دولهم في مختلف المجالات .. وتضمن المهرجان عروضاً مسرحية وعدداً من عروض الفنون الشعبية وندوات فكرية ومحاضرات علمية ومعارض للكتاب .

مختارات من شعر الأبنودي بالفرنسية

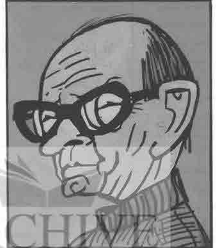


• المستشرق الفرنسي « جاك كلود » أنجز مؤخراً ترجمة مختارات من قصائد الشاعر العربي المعروف عبدالرحمن الأبنودي انتقاها من دواوين « الزحمة » ، « الفصول » ، « الأرض والعيال » والأبنودي لن يكون جديداً على قراء الفرنسية إذ سبق للتونسي الطاهر قيقه أن ترجم له كتاباً منذ خمس سنوات حول سيرة بني هلال .

استراحة الدوحة

أصل وصورة





• بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى لمؤسس المسرح الكويتي والعربي زكي طليمات سبعة اختلافات طفيفة .. حاول التعرف عليها .. لتحصل على جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



• أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة .. تعرف عليها وارسل لنا الحل لتحصل على جائزة .

لوحة لم تتم



• هذه اللوحة التي لم تتم لفنانة راحلة . حاول إكمالها والتعرف على شخصية هذه الفنانة ، لتحصل على جائزة .

لعبة الظلال



• حاول ان تساعد هذا اللاعب في العثور على ظله الحقيقى ، فى انتظارك جائزة.

هات أجمل تعليق



هل يمكنك ان تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ أرسله الينا لتفوز بجائزة.

المثل يقول



• هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى ، إن عرفته ، اكتبه لنا ، فى انتظارك جائزة.

يخلق من الشبه أربعين









• الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية الشيخ عبد العزيز البشري ، من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما .. وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف عليها .. ؟



بقلم : مريم آل سعد

وَيَبْقى الإبْداع ..!

تختلف معايير الابداع بين جيل وآخر وتتطور أدوات التعبير بين مرحلة وأخرى .. وتولد لغة مستحدثة لكل عصر جديد لتصبح هي السائدة وهي المقبولة وهي المحتضنة لقمة الابداع والتطور .. ولايمكن أن تفتقر الساحة الثقافية والاقتصادية والفكرية ولا أن يصيبها القحط والجفاف لأن الابداع الانساني زاخر بتركيبته العظيمة الغامضة التي وإن اختلفت نسبيا إلا أن الابداع دائما يتألق برمز جديد وبإيحاء مختلف .. فالأدب المكتوب في عصر المنفلوطي وطه حسين وعباس العقاد تختلف مواصفاته وصياغته ورموزه عما قدمه بعد ذلك يوسف ادريس وغادة السمان والطيب صالح .. والشعر الذي اعترف بأحمد شوقي أميرا له تختلف بحوره وتفعيلاته وشموسه لدى محمود درويش ومحمد الفيتوري وأدونيس .. كذلك النفوس التي كانت تهتز طربا لعبده الحامولي كانت تنظر بريبة وشك إلى الموسيقار محمد عبدالوهاب وإلى السيدة أم كلثوم باعتبارهما دخلاء صغارا على الأصالة السائدة في ذلك العصر .. وهكذا تتباين وقد تتضاد الصور والأبنية والأوعية التي يضمها نتاج كل عصر ولكن تبقى كل منها هي المؤثرة في أوانها ذات الدلائل والاسقاطات والموحيات التي تحتاجها كل مرحلة في دفعها الحضاري .

فما كان يستقبل بخوف وحذر وشك ورفض في بداية ظهوره .. ويعامل كدخيل يحارب الأصالة الموجودة يصبح على مر الأيام هو (الجذور الرابضة في الأرض) في وجه القادم الذي سيأتي في مرحلة أخرى وقد ارتدى رداء عصره وقد استفاد من تجارب وتراث وفكر من سبقوه .. ولايغيب عن الأذهان أنه بالرغم من الفراغ الذي سيخلفه غياب قمم في الأدب أوالموسيقى أوالفكر أوالفلسفة .. الخ إلا ان أمواجا قادمة سترفد الشاطئ بمبدعين ومجتهدين ومفكرين جدد لهم أدواتهم وحرفيتهم واضافاتهم التي ستحمل عبق تراث مختلف لايخلو من فنية وجدة وإبداع .. سوف يكون له عشاقه ومتذوقوه من أجيال أخرى قادمة ستأتي ويصبح معها تقليد متطور يواكب كل جوانب الحياة .

فالمتابع للمؤلفات الجديدة المتوالية الصدور والطبع يفاجأ بظهور ارهاصات واعدة لأصوات موهوبة لايتوقع أبدا بروزها كأنها خرجت فجأة من رحم الغيب ويراها تتصدر بتمكن قائمة مبدعي المستقبل في كل مجالات أدب وفن وفكر الحياة بأشكاله المتنوعة .. إنها تحدث أحيانا في فترة ما كأنها قدر منتظر حدوثه أو كأنها حدث جاء في غير زمانه لتخلق هذه المفارقة جيلا من المبدعين يعرفون اتجاه عصرهم ويصنعون علامته الواضحة .

إن المواهب الحقيقية تتشكل في هدوء ظاهري وتنصهر بين ثنايا بركان داخلي جارف يموج بالانفعالات الصاخبة الشرسة المتصارعة داخل محارته الذاتية ذات المغارات العتيقة والمفاوز القديمة لتنهمر بعد ذلك شهدا من الابداع يتخطى الذات وينتشر كابداع حر ملك للمجموع له تاريخه الانساني المميز وخصوصيته وتجربته وأسلوبه .

إن الابداع موجة طليقة لاتستشير أحداً عند مدها وجزرها ولاتنتظر رهان أحد على تميزها أو صدقها ولايهمها بأن يترك أي كان بصماته عليها أويهملها .. إنها هكذا تتبلور وتنحت لها أسلوبها ومنهجها الخاص ثم تنضج ثم تتابع مهمتها الحضارية ودورها المؤثر وجريانها المتدفق حسب رؤيتها لتطوير واقعها في ظل تداعي الحواجز بين الأمم والحضارات وتحت وطأة حدة الصراع بين النظريات والمصالح والمعتقدات .

إن الحياة البشرية تتطور وتتحرك وتتوسع بنقلات تاريخية لاتحتمل التأجيل بل تفرض تحولاتها الاقتصادية والاجتماعية بقوى كونية تحدث التغيير وتلزمه .والمستقبل دائما واعد يحبل بالمواهب وإن اختلفت أوعيتها وتغيرت أشكالها وأساليبها ولكن إبداعها يبقى كما هو لايتغير .. واضافتها للتاريخ الانساني واسهاماتها في التنمية الحضارية للشعوب تبقى شاهدا على أن العقل البشري لايعرف التحجر والجمود .